بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : تفسير النسفى موافق للمطبوع داخل الصفحات
المؤلف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
دار النشر : دار النفائس . بيروت
عدد الأجزاء / 4
تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار
تنبيهات مهمة بخصوص هذا الكتاب
أولا : الكتاب للأسف لا يوجد موافقا للمطبوع بأى صيغة إلى الآن وحتى نسخة شركة التراث لم تذكر فى بطاقة الكتاب أى بيانات وهذه نسخة المرجع الأكبر لشركة العريس وسأسعى فى الأيام المقبلة إن شاء الله لتوثيق نسخة شركة التراث
ثانيا : الترقيم داخل الصفحات موافق للمطبوع وترقيم الشاملة آلى
ثالثا : ترقيم الأجزاء موافق للمطبوع بمعنى أن الجزء الأول يبدأ من أول سورة الفاتحة وحتى آخر سورة الأنعام
والجزء الثانى يبدأ من أول سورة الأعراف وحتى آخر سورة الإسراء
والجزء الثالث يبدأ من أول سورة الكهف وحتى آخر سورة فاطر
والجزء الرابع يبدأ من أول سورة يس وحتى آخر سورة الناس
رابعا : الترقيم فى أسفل الصفحة
خامسا : بعد كل مجموعة من الآيات تجد . على سبيل المثال . جزء : 1 رقم الصفحة : 29
لا عبرة بهذا الترقيم لأنه دائما يأتى متأخرا بعد تفسير مجموعة من الآيات إنما العبرة بالترقيم المنفرد
وهذا مثال :
اسم موصوف بها
31
جزء : 1 رقم الصفحة : 29
وذا لا يجوز.
قوله " اسم موصوف بها " نهاية لصفحة 31
وقوله " وذا لا يجوز " بداية لصفحة 32
أما " جزء : 1 رقم الصفحة : 29 "
فهو متأخر كما ترى. أ هـ
تعريف بالمؤلف :

عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ,أبو البركات, حافظ الدين : فقيه حنفي, مفسر , من أهل إيذج (من كور أصبهان) ووفاته فيها.

نسبته إلى " نسف " ببلاد السند, بين جيحون وسمرقند.

له مصنفات جليلة, منها " مدارك التنزيل . ط " ثلاثة مجلدات المشهور " بتفسير النسفي " , في تفسير القرآن, و " كنز الدقائق . ط " في الفقه, و " المنار في أصول الفقه . ط " في أصول الفقه, و " كشف الأسرار . ط " شرح المنار , و " الوافي . خ " في الفروع, و " الكافي . خ " في شرح الوافي, و " المصفى . خ " في شرح منظومة أبي حفص النسفي, في الخلاف, و " عمدة العقائد . خ " .

(28/1)

فاتحة الكتاب

مكية وقيل مدنية ، والأصح أنها مكية ومدنية ، نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة حين حولت القبلة إلى الكعبة.

وتسمى أم القرآن للحديث قال عليه السلام " لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن " ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن ، وسورة الوافية والكافية لذلك ، وسورة الكنز لقوله عليه السلام حاكياً عن الله تعالى : " فاتحة الكتاب كنز من كنوز عرشي " ، وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام : " فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام " ، وسورة المثاني لأنها تثنى في كل صلاة ، وسورة الصلاة لما يروى ولأنها تكون واجبة أو فريضة ، وسورة الحمد والأساس فإنها أساس القرآن.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالأساس.

وآيها سبع بالاتفاق.

اسم الكتاب : تفسير النسفي

{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة : 1] قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور ، وإنما كتبت للفصل والتبرك للابتداء بها ، وهو مذهب أبي حنيفة ومن تابعه رحمهم الله ، ولذا لا يجهر بها

عندهم في الصلاة.

وقراء مكة والكوفة على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله ، ولذا يجهرون بها في الصلاة وقالوا : قد أثبتها السلف في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عما ليس منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله.

ولنا حديث أبي هريرة قال : سمعت النبي عليه السلام يقول : " قال الله تعالى قسمت الصلاة ـ أي الفاتحة ـ بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة : 2] قال الله تعالى : حمدني عبدي.

وإذا قال { الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة : 3] قال الله تعالى : أثنى عليّ عبدي.

وإذا قال { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة : 4] قال : مجدني عبدي.

وإذا قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة : 5] قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل.

فإذا قال { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّآلِّينَ } قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " فالابتداء بقوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ } دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة ، وإذا لم تكن من الفاتحة لا تكون من غيرها إجماعاً ، والحديث مذكور في صحاح المصابيح.

وما ذكروا لا يضرنا لأن التسمية آية من القرآن أنزلت للفصل بين السور عندنا ذكره فخر الإسلام في المبسوط.

وإنما يرد علينا أن لو لم نجعلها آية من القرآن وتمام تقريره في " الكافي " .

جزء : 1 رقم الصفحة : 29

وتعلقت الباء بمحذوف تقديره : باسم الله أقرأ أو أتلو ، لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حل وارتحل فقال باسم الله والبركات كان المعنى باسم الله أحل وباسم الله أرتحل ، وكذا الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله باسم الله كان مضمراً ما جعل التسمية مبدأ له.

وإنما قدر المحذوف متأخراً لأن الأهم من الفعل

30

(29/1)

والمتعلق به هو المتعلق به ، وكانوا يبدأون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات وباسم العزى ، فوجب أن يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذا بتقديمه وتأخير الفعل.

وإنما قدم الفعل في { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [العلق : 1] (العلق : 1) لأنها أول سورة نزلت في قول ، وكان الأمر بالقراءة أهم فكان تقديم الفعل أوقع.

ويجوز أن يحمل { اقْرَأْ } على معنى افعل القراءة وحققها كقولهم فلان يعطي ويمنع غير متعدٍ إلى مقروء به ، وأن يكون { بِاسْمِ رَبِّكَ } [العلق : 1] مفعول { اقْرَأْ } الذي بعده.

واسم الله يتعلق بالقراءة تعلق الدهن بالإنبات في قوله { تَنابُتُ بِالدُّهْنِ } [المؤمنون : 20] (المؤمنون : 02) على معنى متبركاً باسم الله أقرأ ففيه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يعظمونه.

وبنيت الباء على الكسر لأنها تلازم الحرفية والجر فكسرت لتشابه حركتها عملها ، والاسم من الأسماء التي بنوا أوائلها على السكون كالابن والابنة وغيرهما ؛ فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفادياً عن الابتداء بالساكن تعذراً ، وإذا وقعت في الدرج لم يفتقر إلى زيادة شيء.

ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال " سم " و " سم " وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله " سمو " بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت.

واشتقاقه من السمو وهو الرفعة لأن التسمية تنويه بالمسمّى وإشادة بذكره ، وحذفت الألف في الخط هنا وأثبتت في قوله : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } [العلق : 1] لأنه اجتمع فيها ـ أي في التسمية ـ مع أنها تسقط في اللفظ لكثرة الاستعمال ، وطولت الباء عوضاً عن حذفها ، وقال عمر بن عبد العزيز لكاتبه : طول الباء وأظهر السينات ودور الميم ، والله أصله الإله ونظيره الناس أصله الأناس ، حذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف.

والإله من أسماء الأجناس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بالحق ، كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا.

وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ، وهو اسم غير صفة لأنك تصفه ولا تصف به ، ولا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل ، وتقول الله واحد صمد ، ولأن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات لبقيت صفات غير جارية على اسم موصوف بها

وذا لا يجوز.

ولا اشتقاق لهذا الاسم عند الخليل والزجاج ومحمد ابن الحسن والحسين بن الفضل.

وقيل : معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعداً معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم " أله " إذا تحير ينتظمهما معنى التحير والدهشة ، وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذا كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح.

وقيل : هو من قولهم أله يأله إلاهاً إذا عبد فهو مصدر بمعنى مألوه أي معبود كقوله { هَاذَا خَلْقُ اللَّهِ } [لقمان : 11] (لقمان : 11) أي مخلوقه.

وتفخم لامه إذا كان قبلها فتحة أو ضمة ، وترقق إذا كان قبلها كسرة.

ومنهم من يرققها بكل حال ، ومنهم من يفخم بكل حال والجمهور على الأول.

والرحمن فعلان من رحم وهو الذي وسعت رحمته كل شيء كغضبان من غضب وهو الممتلىء غضباً ، وكذا الرحيم فعيل منه كمريض من مرض.

وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم لأن في الرحيم زيادة واحدة وفي الرحمن زيادتين ، وزيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى ، ولذا جاء في الدعاء يا رحمن الدنيا لأنه يعم المؤمن والكافر

ورحيم الآخرة لأنه يخص المؤمن.
وقالوا : الرحمن خاص تسمية لأنه لا يوصف به غيره ، وعام معنى لما بينا.
والرحيم بعكسه لأنه يوصف به غيره ويخص المؤمنين ولذا قدم الرحمن وإن كان أبلغ والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى.
يقال : فلان عالم ذو فنون نحرير لأنه كالعلم لما لم يوصف به غير الله ، ورحمة الله إنعامه على عباده وأصلها العطف وأما قول الشاعر في مسيلمة.
وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا ، فباب من تعنتهم في كفرهم.
ورحمن غير منصرف عند
32

(30/1)

من زعم أن الشرط انتفاء فعلانة إذ ليس له فعلانة ، ومن زعم أن الشرط وجود فعلي صرفه إذ ليس له فعلى ، والأول الوجه { الْحَمْدُ } الوصف بالجميل على جهة التفضيل ، وهو رفع بالابتداء وأصله النصب.
وقد قرىء بإضمار فعله على أنه من المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكراً وكفراً.
والعدول عن النصب إلى الرفع للدلالة على ثبات المعنى واستقراره والخبر.
{ لِلَّهِ } واللام متعلق بمحذوف أي واجب أو ثابت.
وقيل : الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها.
تقول : حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على شجاعته وحسبه ، وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال :
جزء : 1 رقم الصفحة : 29
أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا
أي القلب ، والحمد باللسان وحده وهو إحدى شعب الشكر ومنه الحديث " الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده " وجعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان أشيع لها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ، ونقيض الحمد الذم ونقيض الشكر الكفران.
وقيل : المدح ثناء على ما هو له من أوصاف الكمال ككونه باقياً قادراً عالماً أبدياً أزلياً ، والشكر ثناء على ما هو منه من أوصاف الإفضال والحمد يشملهما.

والألف واللام فيه للإستغراق عندنا خلافاً للمعتزلة ، ولذا قرن باسم الله لأنه اسم ذات فيستجمع صفات الكمال وهو بناء على مسألة خلق الأفعال وقد حققته في مواضع.

{ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الفاتحة : 2] الرب المالك ومنه قول صفوان

33

لأبي سفيان : لأن يربني رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن.

تقول ربه يربه رباً فهو رب ، ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل.

ولم يطلقوا الرب إلاّ في الله وحده وهو في العبيد مع التقييد { إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ } [يوسف : 23] (يوسف : 32) { قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ } [يوسف : 50] (يوسف : 05) ، وقال الواسطي : هو الخالق ابتداء ، والمربي غذاء ، والغافر انتهاء.

وهو اسم الله الأعظم والعالم كل ما علم به الخالق من الأجسام والجواهر والأعراض ، أو كل موجود سوى الله تعالى سمي به لأنه علم على وجوده.

وإنما جمع بالواو والنون مع أنه يختص بصفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام لما فيه من معنى الوصفية وهي الدلالة على معنى العلم.

{ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ } [الفاتحة : 1] ذكرهما قد مر وهو دليل على أن التسمية ليست من الفاتحة إذ لو كانت منها لما أعادهما لخلو الإعادة عن الإفادة.

.

{ مُلْكُ } : عاصم وعليّ ملك : غيرهما وهو الاختيار عند البعض لاستغنائه عن الإضافة ولقوله : { لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ } [غافر : 16] (غافر : 61) ولأن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكاً ، ولأن أمر الملك ينفذ على المالك دون عكسه.

وقيل : المالك أكثر ثواباً لأنه أكثر حروفاً.

وقرأ أبو حنيفة والحسن رضي الله عنهما ملك { يَوْمِ الدِّينِ } [الفاتحة : 4] أي يوم الجزاء ويقال كما تدين تدان أي كما تفعل تجازى ، وهذه إضافة اسم الفاعل إلى

34

الظرف على طريق الاتساع كقولهم :

جزء : 1 رقم الصفحة : 29

يا سارق الليلة أهل الدار

أي مالك الأمر كله في يوم الدين.
والتخصيص بيوم الدين لأن الأمر فيه لله وحده ، وإنما ساغ وقوعه صفة للمعرفة مع أن إضافة اسم الفاعل إضافة غير حقيقية لأنه أريد به الاستمرار فكانت الإضافة حقيقية ، فساغ أن يكون صفة للمعرفة ، وهذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه رباً أي مالكاً للعالمين ومنعماً بالنعم كلها ومالكاً للأمر كله يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به في قوله : { الْحَمْدُ لِلَّهِ } [فاطر : 34] دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه.
{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [الفاتحة : 5] إيا عند الخليل وسيبويه اسم مضمر ، والكاف حرف خطاب عند سيبويه ولا محل له من الإعراب.
وعند الخليل هو اسم مضمر أضيف إيا إليه لأنه يشبه المظهر لتقدمه على الفعل والفاعل.
وقال للكوفيون : إياك بكمالها اسم وتقديم المفعول لقصد الاختصاص ، والمعنى نخصك بالعبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ونخصك بطلب المعونة ، وعدل عن الغيبة إلى الخطاب للالتفات ، وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى : { حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ } [يونس : 22] (يونس : 22) ، وقوله : { وَاللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ } [فاطر : 9] (فاطر : 9) ، وقول امريء القيس :
جزء : 1 رقم الصفحة : 29
تطاول ليلك بالإثمد
ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبإٍ جاءني
وخبرته عن أبي الأسود
فالتفت في الأبيات الثلاثة حيث لم يقل ليلي وبت وجاءه ، والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القلوب
35
عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملأ لاستلذاذ إصغائه ، وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا للحذاق المهرة والعلماء النحارير وقليل ما هم.
ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد والثناء ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نعبد ونستعين لا غيرك.

وقدمت العبادة على الاستعانة لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة أقرب إلى الإجابة ، أو لنظم الآي كما قدم الرحمن ، وإن كان الأبلغ لا يقدم.

وأطلقت الاستعانة لتتناول كل مستعان ، فيه ، ويجوز أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادات ويكون قوله : اهدنا بياناً للمطلوب من المعونة كأنه قيل : كيف أعينكم؟ فقالوا : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6] أي ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم : قم حتى أعود إليك أي أثبت على ما أنت عليه.

أو اهدنا في الاستقبال كما هديتنا في الحال.

وهدى يتعدى بنفسه إلى مفعول واحد ، فأما تعديه إلى مفعول آخر فقد جاء متعدياً إليه بنفسه كهذه الآية ، وقد جاء متعدياً باللام وبإلى كقوله تعالى : { هَدَانَا لِهَاذَا } [الأعراف : 43] (الأعراف : 34) وقوله : { هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (الأنعام : 161).

والسراط : الجادة من سرط الشيء إذا ابتلعه كأنه يسرط السابلة إذا سلكوه.

والصراط من قلب السين صاداً لتجانس الطاء في الإطباق لأن الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الإطباق ، وقد تشم الصاد صوت الزاي لأن الزاي إلى الطاء أقرب لأنهما مجهورتان وهي قراءة حمزة ،

والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن وهي الأصل في الكلمة ، والباقون بالصاد الخالصة وهي لغة قريش وهي الثابتة في المصحف الإمام ، ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل ، والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام.

جزء : 1 رقم الصفحة : 29

{ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } [الفاتحة : 7] بدل من الصراط وهو في حكم تكرير العامل ، وفائدته التأكيد والإشعار بأن الصراط المستقيم تفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده وهم المؤمنون أو الأنبياء عليهم السلام أو قوم موسى صلى الله عليه وسلّم قبل أن يغيروا { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّآلِّينَ } [الفاتحة : 7] بدل من الذين أنعمت عليهم ، يعني أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة للذين ، يعني أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال.

وإنما ساغ وقوعه صفة للذين وهو معرفة و " غير " لا يتعرف بالإضافة لأنه إذا وقع بين متضادين وكانا معرفتين تعرف بالإضافة نحو عجبت من الحركة غير السكون.

والمنعم عليهم والمغضوب عليهم متضادان ، ولأن الذين قريب من النكرة لأنه لم يرد به قوم بأعيانهم وغير المغضوب عليهم قريب من المعرفة للتخصيص الحاصل له بإضافته ، فكل واحد منهما فيه إبهام من وجه واختصاص من وجه فاستويا.

وعليهم الأولى محلها النصب على المفعولية ، ومحل الثانية الرفع على الفاعلية.

وغضب الله إرادة الانتقام من المكذبين وإنزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على ما تحت يده.

وقيل : المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى : { مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ } [المائدة : 60] (المائدة : 06) والضالون هم النصارى لقوله تعالى { قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ } [المائدة : 77] (المائدة : 77) ، ولا زائدة عند البصريين للتوكيد ، وعند الكوفيين هي بمعنى غير.

آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد اسم لأمهل.

وعن ابن

37

عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن معنى آمين فقال : " افعل " وهو مبني وفيه لغتان : مد ألفه وقصرها وهو الأصل والمد بإشباع الهمزة قال :

يا رب لا تسلبّني حبها أبدا

ويرحم الله عبداً قال آمينا

وقال : آمين فزاد الله ما بيننا بعداً.

قال عليه السلام : " لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب " وقال : إنه كالختم على الكتاب.

وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف.

38

(32/1)

سورة البقرة

مدنية وهي مائتان وست أو سبع وثمانون آية

{ الم } ونظائرها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم ، فالقاف تدل على أول حروف قال ، والألف تدل على أوسط حروف قال ، واللام تدل على الحرف الأخير منه وكذلك ما أشبهها.

والدليل على أنها أسماء أن كلاً منها يدل على معنى في نفسه ويتصرف فيها بالإمالة والتفخيم وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير وهي معربة ، وإنما سكنت سكون زيد وغيره من الأسماء حيث لا يمسها إعراب لفقد مقتضيه.

وقيل : إنها مبنية كالأصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب ، ثم الجمهور على أنها أسماء السورة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أقسم الله بهذه الحروف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : إنها اسم الله الأعظم.
وقيل : إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.
وما سميت معجمة إلا لإعجامها وإبهامها.
وقيل : ورود هذه الأسماء على نمط التعديد كالإيقاظ لمن تحدى بالقران.
وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا إن لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم يظهر عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم أمراء الكلام إلا لأنه ليس من كلام البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر ، وهذا القول من الخلافة بالقبول بمنزل.
وقيل : إنما
39

(33/1)

وردت السور مصدرة بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلاً بوجه من الإغراب وتقدمة من دلائل الإعجاز ، وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام الأميّون منهم وأهل الكتاب ـ بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصاً بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم ، وكان مستبعداً من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة ، فكان حكم النطق بذلك من اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئاً من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن يضاهيهم في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد لصحة نبوته.
واعلم أن المذكور في الفواتح نصف أسامي حروف المعجم وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.
وهي مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ، فمن المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ، ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ، ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ، ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ، ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ، ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ، ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ، ومن المنخفضة نصفها واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ، ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء وغير المذكورة من هذه

الأجناس مكثورة بالمذكورة منها.
وقد علمت أن معظم الشيء ينزل منزلة كله ، فكأن الله تعالى عدّد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما مر من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم.
وإنما جاءت مفرقة على السور لأن إعادة التنبيه على المتحدى به مؤلفاً منها لا غير أوصل إلى الغرض ، وكذا كل تكرير ورد في القرآن فالمطلوب منه تمكين المكرر في النفوس وتقريره.
ولم تجيء على وتيرة واحدة بل اختلفت أعداد حروفها مثل : ص و ق و ن وطه وطس ويس وحم وألم وألر وطسم وألمص وألمر وكهيعص وحم عسق.
فوردت على حرف وحرفين وثلاثة وأربعة وخمسة كعادة افتنانهم في الكلام.
وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين إلى خمسة أحرف فسلك في الفواتح هذا المسلك.
جزء : 1 رقم الصفحة : 39
و { الام } آية حيث وقعت ، وكذا { الاماص } آية و { الامار } لم
40

(34/1)

تعد آية وكذا { الار } لم تعد آية في سورها الخمس و { طسام } آية في سورتيها و { طه } و { يس } آيتان و و { طس } ليست بآية و { حم } آية في سورها كلها و { حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } آيتان و { كاهيعاص } آية و { } و { } و { ق } ثلاثتها لم تعد آية وهذا عند الكوفيين ومن عداهم لم يعد شيئاً منها آية ، وهذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور ويوقف على جميعها وقف التمام إذا حملت على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده ، وذلك إذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالأصوات ، أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف كقوله { الام } (آل عمران : 1) أي هذه الم ثم ابتدأ فقال : { لا إِلَاهَ إِلا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ } [البقرة : 255] (آل عمران : 1) ولهذه الفواتح محل من الإعراب فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الأعلام وهو الرفع على الابتداء ، أو النصب أو الجر لصحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ، ومن لم يجعلها أسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجملة المبتدأة وللمفردات المعددة.
{ ذَالِكَ الْكِتَابُ } [البقرة : 2] أي ذلك الكتاب الذي وعد به على لسان موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، أو ذلك إشارة إلى الم ، وإنما ذكّر اسم الإشارة والمشار إليه مؤنث وهو السورة ، لأن الكتاب إن كان خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز إجراء حكمه عليه بالتذكير والتأنيث ، وإن كان صفته فالإشارة به إلى الكتاب صريحاً لأن اسم الإشارة مشار به إلى الجنس الواقع صفة له

، تقول : هند ذلك الإنسان أو ذلك الشخص فعل كذا ، ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم إن جعلت الم إسماً للسورة أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانياً والكتاب خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول ، ومعناه أن ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص كما تقول : هو الرجل أي الكامل في الرجولية الجامع لما

41

جزء : 1 رقم الصفحة : 39

يكون في الرجال من مرضيات الخصال ، وأن يكون الم خبر مبتدأ محذوف أي هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة أخرى ، وإن جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب أي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل { لا رَيْبَ } [الأنعام : 12] لا شك وهو مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة.

وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه قوله عليه السلام : " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك " فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة ، أي فإن كون الأمر مشكوكاً فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر ، وكونه صحيحاً صادقاً مما تطمئن له وتسكن ، ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه.

وإنما نفى الريب على سبيل الاستغراق وقد ارتاب فيه كثير لأن المنفي كونه متعلقاً للريب ومظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب أن يقع فيه لا أن أحداً لا يرتاب ، وإنما لم يقل لا فيه ريب كما قال لا فيها غول لأن والمراد في إيلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه وإثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار ، ولو أولى الظرف يقصد إلى ما يبعد عن المراد وهو أن كتاباً آخر فيه ريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى : { لا فِيهَا غَوْلٌ } [الصافات : 47] (الصافات : 74) ، تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بأنها لا تغتال العقول كما تغتالها هي.

، والوقف على فيه هو المشهور.

وعن نافع وعاصم أنهما وقفاً على ريب.

ولا بد للواقف من أن ينوي خبراً والتقدير : لا ريب فيه.

{ فِيهِ هُدًى } [البقرة : 2] فيه بإشباع كل هاء مكي ووافقه حفص في فيه مهاناً وهو الأصل كقولك مررت به ومن عنده وفي داره.

وكما لا يقال في داره ومن عنده وجب أن لا يقال فيه.

وقال سيبويه ما قاله مؤد إلى الجمع بين ثلاثة أحرف سواكن : الياء قبل الهاء ، والهاء إذاً الهاء المتحركة في كلامهم بمنزلة الساكنة

42

لأنها الهاء خفية والخفي قريب من الساكن ، والياء بعدها.
والهدى مصدر على فعل كالبكى وهو الدلالة الموصلة إلى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله : { أُولئك الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى } [البقرة : 16] (البقرة : 61) وإنما قيل هدى { لِّلْمُتَّقِينَ } والمتقون مهتدون لأنه كقولك للعزيز المكرم : " أعزك الله وأكرمك " ، تريد طلب الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله :
جزء : 1 رقم الصفحة : 39
{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } [الفاتحة : 6] ، أو لأنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقوله عليه السلام " من قتل قتيلاً فله سلبه " وقول ابن عباس رضي الله عنهما : إذا أراد أحدكم الحج فليعجل فإنه يمرض المريض ، فسمى المشارف للقتل والمرض قتيلاً ومريضاً.
ولم يقل : هدى للضالين.
لأنهم فريقان فريق علم بقاءهم على الضلالة ، وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى وهو هدى لهؤلاء فحسب ، فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين إلى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين مع أن فيه تصديراً للسورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن بذكر أولياء الله.
والمتقى في اللغة إسم فاعل من قولهم : وقاه فاتقى ، ففاؤها واو ولامها ياء ، وإذا بنيت من ذلك افتعل قلبت الواو تاء وأدغمتها في التاء الأخرى فقلت اتقى.
والوقاية فرط الصيانة ، وفي الشريعة من يقي نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك.
ومحل هدى الرفع لأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو خبر مع لا ريب فيه لذلك ، أو النصب على الحال من الهاء في فيه والذي هو أرسخ عرقاً في البلاغة أن يقال : إن قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها ، وذلك الكتاب جملة ثانية ، ولا ريب فيه ثالثة ، وهدى للمتقين رابعة.
وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف عطف وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض ، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهلم جراً إلى الثالثة والرابعة ، بيان ذلك أنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريراً لجهة التحدي ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلاً بكماله لأنه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ،

ولا نقص أنقص مما للباطل والشبهة.
وقيل لعالم : فيم لذتك؟ قال : في حجة تتبختر اتضاحاً وفي شبهة تتضاءل افتضاحاً.
ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله ، وحقاً لا يأتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه ، ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق ونظمت هذا النظم الرشيق من نكتة ذات جزالة.

ففي الأولى الحذف والرمز إن المطلوب بألطف وجه ، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة ، وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف ، وفي الرابعة الحذف ، ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو " هاد " كأن نفسه هداية وإيراده منكراً ففيه إشعار بأنه هدى لا يكتنه كنهه. والإيجاز في ذكر المتقين كما مر.

جزء : 1 رقم الصفحة : 39

{ الَّذِينَ } في موضع رفع أو نصب على المدح أي هم الذين يؤمنون أو أعني الذين يؤمنون ، أو هو مبتدأ وخبره " أولئك على هدى " ، أو جر على أنه صفة للمتقين ، وهي صفة واردة بياناً وكشفاً للمتقين كقولك " زيد الفقيه " المحقق لاشتمالها على ما أسست عليه حال المتقين من الإيمان الذي هو أساس الحسنات ، والصلاة والصدقة فهما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ، ألا ترى أن النبي عليه السلام سمى الصلاة عماد الدين ، وجعل الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة ، وسمى الزكاة قنطرة الإسلام فكان من شأنهما استتباع سائر العبادات ، ولذلك اختصر الكلام بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها مع ما في ذلك من الإفصاح عن فضل هاتين العبادتين ، أو صفة مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها كقولك : زيد الفقيه المتكلم الطبيب ، ويكون المراد بالمتقين الذين يجتنبون السيآت { يُؤْمِنُونَ } يصدقون وهو إفعال من الأمن وقولهم : آمنه أي صدقه وحقيقته

أمنه التكذيب والمخالفة ، وتعديته بالباء لتضمنه معنى أقر واعترف.

{ بِالْغَيْبِ } بما غاب عنهم مما أنبأهم به النبي عليه السلام من أمر البعث والنشور والحساب وغير ذلك ، فهو بمعنى الغائب تسمية بالمصدر من قولك " غاب الشيء غيباً " .

هذا إن جعلته صلة للإيمان ، وإن جعلته حالاً كان بمعنى الغيبة والخفاء أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيبة ، والإيمان الصحيح أن يقر باللسان ويصدق بالجنان والعمل ليس بداخل في الإيمان.

{ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَواةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } أي يؤدونها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت وهو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها ، أو أريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود إذا قومه ، أو الدوام عليها والمحافظة من قامت

السوق إذا نفقت لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ، وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه ، والصلاة فعلة من صلى كالزكاة من زكى ، وكتابتها بالواو على لفظ المفخم.

وحقيقة صلى حرك الصلوين أي الأليتين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده.

وقيل للداعي مصل تشبيهاً له في تخشعه بالراكع والساجد { وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ }

جزء : 1 رقم الصفحة : 39

أعطيناهم.

و " ما " بمعنى " الذي " { يُنفِقُونَ } يتصدقون.

أدخل " من " التبعيضية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه وقدم المفعول دلالة على كونه أهم والمراد به الزكاة لاقترانه بالصلاة التي هي أختها أو هي غيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقاً ، وأنفق الشيء وأنفده أخوان كنفق الشيء ونفد ، وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب.

ودلت الآية على أن الأعمال ليست من الإيمان حيث عطف الصلاة والزكاة على الإيمان والعطف يتقضي المغايرة.

{ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ } [الأنعام : 92] هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا بكل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال معه ما كانوا عليه من أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا

45

أياماً معدودات ، ثم إن عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا في جملة المتقين ، وإن عطفتهم على المتقين لم يدخلوا فكأنه قيل : هدى للمتقين ، وهدى للذين يؤمنون بما أنزل إليك ، أو المراد به وصف الأولين ووسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك : هو الشجاع والجواد ، وقوله :

إلى الملك القرم وابن الهمام

وليث الكتيبة في المزدحم

والمعنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه { بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ } [النساء : 166] يعني القرآن المراد جميع القرآن لا القدر الذي سبق إنزاله وقت إيمانهم ، لأنه الإيمان بالجميع واجب.

وإنما عبر عنه بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد ، ولأنه إذا كان بعضه نازلاً وبعضه منتظر النزول جعل كأن كله قد نزل.

{ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } [النساء : 162] يعني سائرالكتب المنزلة على النبيين عليهم الصلاة والسلام { وَبِالاخِرَةِ } وهي تأنيث الآخر الذي هو ضد الأول وهي صفة والموصوف محذوف وهو الدار بدليل قوله : { تِلْكَ الدَّارُ الاخِرَةُ } [القصص : 83] (القصص : 38) وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا.

وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة وألقى حركتها على اللام.
{ هُمْ يُوقِنُونَ } [البقرة : 4] الإيقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه.
{ أُولئك عَلَى هُدًى } [البقرة : 5] الجملة في موضع الرفع إن كان " الذين يؤمنون بالغيب " مبتدأ وإلا فلا محمل لها ، ويجوز أن يجري الموصول الأول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الإبتداء وأولئك خبره ، ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بأهل الكتاب الذين لا يؤمنون بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله.
ومعنى الاستعلاء في " على هدى " مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه

ونحوه " هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم : جعل الغواية مركباً ، وامتطى الجهل ، واقتعد غارب الهوى.
ومعنى هدى { مِن رَّبِّهِمْ } [محمد : 3] أي أوتوه من عنده.
ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه كأنه قيل على أي هدى ونحوه " لقد وقعت على لحم " أي على لحم عظيم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 39
{ وَأُولَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة : 5] أي الظافرون بما طلبوا الناجون عما هربوا ؛ فالفلاح درك البغية والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ، والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذا أخواته في الفاء والعين نحو " فلق وفلز وفلى " ، وجاء العطف هنا بخلاف قوله : { أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف : 179] الأعراف : 971) لاختلاف الخبرين المقتضيين للعطف هنا واتحاد الغفلة والتشبيه بالبهائم ثمّ ، فكانت الثانية مقررة للأولى فهي من العطف بمعزل ، وهم فصل.
وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لاصفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره ، أو هو مبتدأ و " المفلحون " خبره ، والجملة خبر " أولئك " فانظر كيف قرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهي ذكر إسم الإشارة وتكريره ، ففيه تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح.
وتعريف المفلحون ففيه دلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنساناً قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو؟ فقيل : زيد التائب أي هو الذي أخبرت

بتوبته.
وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا.
اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة (الآيتان : 6 ، 7).
لما قدم ذكر أوليائه بصفاتهم المقربة إليه ، وبيّن أن الكتاب هدى لهم قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى.
بقوله
جزء : 1 رقم الصفحة : 39
{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } [النساء : 56] الكفر ستر الحق بالجحود ، والتركيب دال على الستر ولذا سمي الزراع كافراً وكذا الليل.
ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله : { إِنَّ الابْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ } (الأنفطار : 31 ، 41) لأن الجملة الأولى هنا مسوقة بياناً لذكر الكتاب لا خبراً عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا ، فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه ، ولئن كان مبتدأ على تقرير فهو كالجاري عليه ، والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون كأبي جهل وأبي لهب وأضرابهما.
{ سَوَا ءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ } [البقرة : 6] بهمزتين كوفي ، وسواء بمعنى الاستواء ، وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى : { إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآء } [آل عمران : 64] (آل عمران : 46) ، أي مستوية ، وارتفاعه على أنه خبر لإن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل : إن الذين كفروا مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه.
أو يكون سواء خبراً مقدماً وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء أي سواء عليهم إنذارك وعدمه ، والجملة خبر لـ إن وإنما جاز الإخبار عن الفعل مع أنه خبر أبداً لأنه من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى.
والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأساً.
قال سيبويه : جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء في قولك " اللهم اغفر لنا أيتها العصابة " يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى ذلك على صورة النداء ولا نداء.
والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر على المعاصي
جزء : 1 رقم الصفحة : 48
{ لا يُؤْمِنُونَ } [البقرة : 6] جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبر لإن ، والجملة قبلها اعتراض أو خبر بعد خبر.
والحكمة في الإنذار مع العلم بالإصرار إقامة الحجة وليكون الإرسال عاماً وليثاب الرسول صلى الله

(38/1)

{ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } [البقرة : 7] قال الزجاج : الختم التغطية لأن في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه تغطية له لئلا يطلع عليه.

وقال ابن عباس : طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير.

يعني أن الله صعد عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان.

وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق في صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة في قلبه.

وعند المعتزلة أعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير.

وقال بعضهم : إن إسناد الختم إلى الله تعالى مجاز والخاتم في الحقيقة الكافر ، إلا أنه تعالى لما كان هو الذي أقدره ومكنه أسند إليه الختم كما يسند الفعل إلى السبب فيقال : بنى الأمير المدينة ، لأن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له ، فإسناده إلى الفاعل حقيقة.

وقد يسند إلى هذه الأشياء مجازاً لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الأسد في جرأته فيستعار له إسمه وهذا فرع مسألة خلق الأفعال { وَعَلَى سَمْعِهِمْ } [البقرة : 7] وحد السمع كما وحد البطن في قوله :

كلوا من بعض بطنكم تعفوا

لأمن اللبس ولأن السمع مصدر في أصله يقال : سمعت الشيء سمعاً وسماعاً ، والمصدر لا يجمع لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير فلا يحتاج فيه إلى التثنية والجمع فلمح الأصل.

وقيل : المضاف محذوف أي وعلى مواضع سمعهم وقرىء " وعلى أسماعهم " .

{ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } [البقرة : 7] بالرفع خبر ومبتدأ ، والبصر : نور العين وهو ما يبصر به الرائي ، كما أن البصيرة نور القلب وهي ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله تعالى فيهما آلتين للإبصار والاستبصار.

والغشاوة : الغطاء فعالة من غشاه إذا غطاه ، وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة

والقلادة.
والأسماع داخلة في حكم الختم لا في حكم التغشية لقوله : { وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } [الجاثية : 23] (الجاثية : 32) ، ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم.
ونصب المفضل وحده غشاوة بإضمار " جعل " وتكرير الجار في
49
قوله وعلى سمعهم دليل على شدة الختم في الموضعين.
قال الشيخ الإمام أبو منصور بن علي رحمه الله : الكافر لما لم يسمع قول الحق ولم ينظر في نفسه وفي غيره من المخلوقات ليرى آثار الحدوث فيعلم أن لا بد من صانع ، جعل كأن على بصره وسمعه غشاوة ، وإن لم يكن ذلك حقيقة وهذا دليل على أن الأسماع عنده داخلة في حكم التغشية.
والآية حجة لنا على المعتزلة في الأصلح فإنه أخبر أنه ختم على قلوبهم ولا شك أن ترك الختم أصلح لهم.
{ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة : 7] العذاب مثل النكال بناء ومعنى لأنك تقول أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ، والفرق بين العظيم والكبير أن العظيم يقابل الحقير والكبير يقابل الصغير فكأن العظيم فوق الكبير كما أن الحقير دون الصغير.
ويستعملان في الجثة والأحداث جميعاً تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره.
ومعنى التنكير أن على أبصارهم نوعاً من التغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ، ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم من العذاب لا يعلم كنهه إلا الله.
جزء : 1 رقم الصفحة : 48

(39/1)

{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الاخِرِ } [البقرة : 8] افتتح سبحانه وتعالى بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ، ثم ثنى بالكافرين قلوباً وألسنة ، ثم ثلث بالمنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة لأنهم خلطوا بالكفر استهزاءً وخداعاً ولذا نزل فيهم { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الاسْفَلِ مِنَ النَّارِ } [النساء : 145].
وقال مجاهد : أربع آيات من أول السورة في نعت المؤمنين ، وآيتان في ذكر الكافرين ، وثلاث عشرة آية في المنافقين ، نعى عليهم فيها نكرهم وخبثهم وسفههم ، واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صماً بكماً عمياً ، وضرب لهم الأمثال الشنيعة.
وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة.
وأصل ناس أناس

حذفت همزته تخفيفاً وحذفها كاللازم مع لام التعريف لا يكاد يقال الأناس ويشهد لأصله إنسان وأناسي وإنس ، وسموا به لظهروهم وأنهم يؤنسون أي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم.
ووزن ناس فعال لأن الزنة على الأصول فإنك تقول وزن قه افعل وليس معك إلا العين ، وهو من أسماء الجمع ولام التعريف فيه للجنس ومن موصوفة ويقول صفة لها كأنه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا.
وإنما خصوا الإيمان بالله وباليوم الآخر وهو الوقت الذي لا حد له وهو الأبد الدائم الذي لا ينقطع ، وإنما سمي بالآخر لتأخره عن الأوقات المنقضية أو الوقت المعهود من النشور إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنهم أوهموا في هذا المقال أنهم أحاطوا بجانبي الإيمان أوله وآخره ، وهذا لأن حاصل المسائل الاعتقادية يرجع إلى مسائل المبدأ وهي العلم بالصانع وصفاته وأسمائه ، ومسائل المعاد وهي العلم بالنشور والبعث من القبور والصراط والميزان وسائر أحوال الآخرة.
وفي تكرير الباء إشارة إلى أنهم ادعوا كل واحد من الإيمانين على صفة الصحة والاستحكام.
وإنما طابق قوله { وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة : 8] وهو في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ، قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، وهو في ذكر شأن الفعل لا الفاعل لأن المراد إنكار ما ادعوه ونفيه على أبلغ وجه وآكده وهو إخراج ذواتهم من أن تكون طائفة من المؤمنين ، ونحوه قوله تعالى : { يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 48
المائدة : 37] (المائدة : 73) ، فهو أبلغ من قولك " وما يخرجون منها " .
وأطلق الإيمان في الثاني بعد تقييده في الأول لأنه يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه ، ويحتمل أن يراد نفي أصل الإيمان وفي ضمنه نفي المذكور أولاً.
والآية تنفي قول الكرامية : إن الإيمان هو الإقرار باللسان لا غير لأنه نفي عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم ، وتؤيد قول أهل السنة إنه إقرار باللسان وتصديق بالجنان.
ودخلت الباء في خبر " ما " مؤكدة للنفي لأنه يستدل به السامع على الجحد إذا غفل عن أول الكلام ، ومن موحد اللفظ فلذا قيل يقول وجمع وما هم بمؤمنين نظراً إلى معناه.

(40/1)

{ يُخَادِعُونَ اللَّهَ } [البقرة : 9] أي رسول الله صلى الله عليه وسلّمفحذف المضاف كقوله { وَسْأَلِ الْقَرْيَةَ } [يوسف : 82] (يوسف : 28) كذا قاله أبو علي رحمه الله وغيره ، أي يظهرون غير ما في

أنفسهم.
فالخداع إظهار غير ما في النفس ، وقد رفع الله منزلة النبي صلى الله عليه وسلّم حيث جعل خداعه خداعه وهو كقوله : { إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } [الفتح : 10] (الفتح : 01) وقيل : معناه يخادعون الله في زعمهم لأنهم يظنون أن الله ممن يصح خداعه ، وهذا المثال يقع كثيراً لغير اثنين نحو قولك " عاقبت اللص " .
وقد قرىء " يخدعون الله " وهو بيان ليقول أو مستأنف كأنه قيل : ولم يدعون الإيمان كاذبين وما منفعتهم في ذلك؟ قيل : يخادعون الله ، ومنفعتهم في ذلك متاركتهم عن المحاربة التي كانت مع من سواهم من الكفار واجراء أحكام المؤمنين عليهم ونيلهم من الغنائم وغير ذلك.
قال صاحب الوقوف : الوقف لازم على بمؤمنين لأنه لو وصل لصار التقدير وما هم بمؤمنين مخادعين فينتفي الوصل كقولك " ما هو برجل كاذب " والمراد نفي الإيمان عنهم وإثبات الخداع لهم.
ومن جعل يخادعون حالاً من الضمير في يقول والعامل فيها يقول والتقدير يقول آمنا بالله مخادعين أو حالاً من الضمير في بمؤمنين والعامل فيها اسم الفاعل والتقدير وما هم بمؤمنين في حال خداعهم لا يقف والوجه الأول : { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } [البقرة : 165] أي يخادعون رسول الله والمؤمنين بإظهار الإيمان وإضمار الكفر.
{ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ } [البقرة : 9] أي وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين إلا أنفسهم ، لأن ضررها يلحقهم.
وحاصل خداعهم وهو العذاب في الآخرة يرجع إليهم فكأنهم خدعوا أنفسهم وما يخادعون.
أبو عمرو ونافع ومكي للمطابقة وعذر الأولين أن خدع وخادع هنا بمعنى واحد ، والنفس ذات

الشيء وحقيقته.
ثم قيل للقلب والروح النفس لأن النفس بهما ، وللدم نفس لأن قوامها بالدم ، وللماء نفس لفرط حاجتها إليه ، والمراد بالأنفس هاهنا ذواتهم ، والمعنى بمخادعتهم ذواتهم أن الخداع لاصق بهم لا يعدوهم إلى غيرهم.
{ وَمَا يَشْعُرُونَ } [البقرة : 9] أن حاصل خداعهم يرجع إليهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ، ومشاعر الإنسان حواسه لأنها آلات الشعور ، والمعنى أن لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم ، لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له.
{ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ } [محمد : 29] أي شك ونفاق لأن الشك تردد بين الأمرين والمنافق متردد.
في الحديث مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين والمريض متردد بين الحياة والموت ، ولأن المرض ضد الصحة والفساد يقابل الصحة فصار المرض اسماً لكل فساد والشك والنفاق فساد في القلب.

{ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } [البقرة : 10] أي ضعفاً عن الانتصار وعجزاً عن الاقتدار.
وقيل : المراد به خلق النفاق في حالة البقاء بخلق أمثاله كما عرف في زيادة الإيمان.
{ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة : 174] فعيل بمعنى مفعل أي مؤلم { بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [البقرة : 10] كوفي.
أي بكذبهم في قولهم : آمنا بالله وباليوم الآخر ، فما مع الفعل بمعنى المصدر ، والكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به يكذبون غيرهم أي بتكذيبهم النبي عليه السلام فيما جاء به.
وقيل : هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بأن الشأ وبين.
جزء : 1 رقم الصفحة : 48
.
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ } [البقرة : 91] معطوف على يكذبون ويجوز أن يعطف على يقول آمنا لأنك لو قلت ومن الناس من إذا قيل لهم { لا تُفْسِدُوا فِي الارْضِ } [البقرة : 11] لكان صحيحاً ، والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعاً به ، وضده الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة.
والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن لأن في ذلك فساد ما في الأرض وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية ، وكان فساد
53

(41/1)

المنافقين في الأرض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بإفشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي إلى هيج الفتن بينهم.
{ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } [البقرة : 11] بين المؤمنين والكافرين بالمداراة يعني أن صفة المصلحين خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد ، لأن " إنما " لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم كقولك " إنما ينطلق زيد وإنما زيد كاتب " و " ما " كافة لأنها تكفها عن العمل.
{ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَاكِن لا يَشْعُرُونَ } [البقرة : 12] أنهم مفسدون فحذف المفعول للعمل به.
" ألا " مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لإعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها ، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحققاً كقوله تعالى : { أَلَيْسَ ذَالِكَ بِقَادِرٍ } [القيامة : 40] (القيامة : 04) ، ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم ، وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط

عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف ، وما في " ألا " و " إن " من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون .

جزء : 1 رقم الصفحة : 53

{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ السُّفَهَآءُ } [البقرة : 13] نصحوهم من وجهين : أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجره إلى الفساد ، وثانيهما تبصيرهم الطريق الأسدّ من اتباع ذوي الأحلام ، فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادي جهلهم ، وفيه تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة.

وإنما صح إسناد قيل إلى لا تفسدوا وآمنوا مع أن إسناد الفعل إلى الفعل لا يصح ، لأنه إسناد إلى لفظ الفعل والممتنع إسناد الفعل إلى معنى الفعل فكأنه قيل : وإذا قيل لهم هذا القول ومنه زعموا مطية الكذب.

و " ما " في كما كافة في " ربما " ، أو مصدرية كما في { بِمَا رَحُبَتْ } [التوبة : 25] (التوبة : 52) واللام في الناس للعهد أي كما آمن الرسول صلى الله عليه وسلّم ومن معه

54

وهم ناس معهودون ، أو عبد الله بن سلام وأشياعه أي كما آمن أصحابكم وإخوانكم ، أو للجنس أي كما آمن الكاملون في الإنسانية ، أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم ، والكاف في كما في موضع النصب لأنه صفة مصدر محذوف أي إيماناً مثل إيمان الناس ومثله كما آمن السفهاء.

والاستفهام في أنؤمن للإنكار ، في السفهاء مشار بها إلى الناس ، وإنما سفهوهم وهم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق وأن ما عداه باطل ، ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً والسفه سخافة العقل وخفة الحلم.

{ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَـاكِن لا يَعْلَمُونَ } [البقرة : 13] أنهم هم السفهاء.

وإنما ذكر هنا لا يعلمون وفيما تقدم لا يشعرون لأنه قد ذكر السفه وهوجهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له ، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة ، أما الفساد في الأرض فأمر مبني على العادات فهو كالمحسوس.

والسفهاء خبر " إن " و " هم " فصل أو مبتدأ والسفهاء خبرهم والجملة خبر " إن " .

{ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا } [البقرة : 14] وقرأ أبو حنيفة رحمه الله " وإذا لاقوا " يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه.

الآية الأولى في بيان مذهب المنافقين والترجمة عن نفاقهم ، وهذه في بيان ما كانوا يعملون مع المؤمنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وإيهامهم أنهم معهم.

{ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 53

البقرة : 14] خلوت بفلان وإليه إذا انفردت معه ، وبإلى أبلغ لأن فيه دلالة الابتداء والانتهاء أي إذا خلوا من المؤمنين إلى شياطينهم ، ويجوز أن يكون من خلا بمعنى مضى.

وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم اليهود.

وعن سيبويه أن نون الشياطين أصلية بدليل قولهم " تشيطن " ، وعنه أنها زائدة واشتقاقه من " شطن " إذا بعد لبعده من الصلاح والخير ، أو من شاط إذا بطل ومن أسمائه الباطل.

{ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ } [البقرة : 14] إنا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم.

وإنما خاطبوا

55

(42/1)

المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بـ " إن " لأنهم في خطابهم مع المؤمنين في ادعاء حدوث الإيمان منهم لا في ادعاء أنهم أوحديون في الإيمان ، إما لأن أنفسهم لا تساعدهم عليه إذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك ، وإما لأنه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التأكيد والمبالغة ، وكيف يطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والأنصار.

وأما خطابهم مع إخوانهم فقد كان عن رغبة وقد كان متقبلاً منهم رائجاً عنهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتأكيد.

وقوله { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ } [البقرة : 14] تأكيد لقوله " إنا معكم " لأن معناه الثبات على اليهودية ، وقوله إنما نحن مستهزئون رد للإسلام ودفع لهم منهم لأن المستهزىء بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتداً به ، ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم بقولهم حين قالوا إنا معكم إن كنتم معنا فلم توافقون المؤمنين فقالوا إنما نحن مستهزئون.

والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع ، وهزأ يهزأ مات على المكان.

{ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } أي يجازيهم على استهزائهم فسمى جزاء الاستهزاء باسمه كقوله تعالى : { وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } [الشورى : 40] (الشورى : 04).

{ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ } [البقرة : 194] (البقرة : 491) فسمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وإن لم يكن الجزاء سيئة واعتداء ، وهذا لأن الاستهزاء لا يجوز على الله تعالى من حيث الحقيقة لأنه من باب العبث وتعالى عنه.

قال الزجاج : هو الوجه المختار.

واستئناف قوله تعالى الله يستهزىء بهم من غير عطف في غاية الجزالة والفخامة ، وفيه أن الله هو

الذي يستهزىء بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال والذل والهوان.
ولما كانت نكايات الله وبلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل الله يستهزىء بهم ولم يقل الله مستهزىء بهم ليكون طبقاً لقوله إنما نحن مستهزؤون
جزء : 1 رقم الصفحة : 53
{ وَيَمُدُّهُمْ } أي يمهلهم عن الزجاج { فِي طُغْيَانِهِمْ } [البقرة : 15] في غلوهم في كفرهم { يَعْمَهُونَ } حال أي يتحيرون ويترددون وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسألة الأصلح.
56
{ أُوالَائِكَ } مبتدأ خبره.
{ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى } [البقرة : 16] أي استبدلوها به واختاروها عليه.
وإنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها في قوم آمنوا ثم كفروا ، أو في اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلّم فلما جاءهم كفروا به ، أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة ، وفيه دليل على جواز البيع تعاطياً لأنهم لم يتلفظوا الشراء ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم ، وسمي ذلك شراء فصار دليلاً لنا على أن من أخذ شيئاً من غيره ترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به.
والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء ، يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين.
{ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ } [البقرة : 16] الربح الفضل على رأس المال ، والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح ، وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد المجازي ، ومعناه فما ربحوا في تجارتهم إذ التجارة لا تربح ، ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازاً أتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحاً له كقوله :
ولما رأيت النسر عز ابن دأية
وعشش في وكريه جاش له صدري
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر.
{ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } [البقرة : 16] لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر.
والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما ، فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة ، وإذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بالأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر ، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح.
وقيل : الذين صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم إلى آخر الآية في محل رفع خبر أولئك.
جزء : 1 رقم الصفحة : 53

{ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَارًا } لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب
57
المثل زيادة في الكشف وتتميماً للبيان ، ولضرب الأمثال في إبراز خفيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر ، ولقد كثر ذلك في الكتب السماوية ومن سور الإنجيل سورة الأمثال.
والمثل في أصل كلامهم هو المثل وهو النظير.
يقال : مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلاً إلا قولاً فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير.
وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، وكذلك قوله { مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ } [الرعد : 35] (الرعد : 53) أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة الشأن ، ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله { وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا } [التوبة : 69] (التوبة : 96) فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحدة ، أو قصد جنس المستوقدين ، أو أريد الفوج الذي استوقد ناراً على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد.
ومعنى استوقد أوقد ، ووقود ووقود النار سطوعها ، والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق ، واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطراباً.
{ فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ } [البقرة : 17] الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله { هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا } [يونس : 5] (يونس : 5) وهي في الآية متعدية ، ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله ، والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء.
وجواب فلما
جزء : 1 رقم الصفحة : 57
{ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ } [البقرة : 17] وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل " إذا " .
وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير : فلما أضاءت شيئاً ثابتاً حوله.
وجمع الضمير وتوحيده للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى.
والنور ضوء النار وضوء كل نير ، ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهباً ، ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به.
والمعنى أخذ بنورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الإذهاب.

(44/1)

بضوئهم لقوله فلما أضاءت لأن ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم رأساً ، ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً ، ألا ترى كيف ذكر عقيبه { وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ } [البقرة : 17] والظلمة عرض ينافي النور.

وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله { لا يُبْصِرُونَ } [البقرة : 17] وترك بمعنى طرح وخلى إذا علق بواحد ، فإذا علق بشيئين كان مضمناً معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب ومنه وتركهم في ظلمات أصله " هم في ظلمات " ثم دخل " ترك " فنصب الجزأين والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطروح لا من قبيل المقدر المنوي كأن الفعل غير متعدٍ أصلاً.

وإنما شبهت حالهم بحال المستوقد لأنهم غب الإضاءة وقعوا في ظلمة وحيرة ، نعم المنافق خابط في ظلمات الكفر أبداً ولكن المواد ما استضاؤوا به قليلاً من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ، أو وراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق المفضية بهم إلى ظلمة العقاب السرمدي.

وللآية تفسير آخر وهو أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد ، والضلالة التي اشتروها بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم.

{ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ } [البقرة : 18] أي هم صم ، كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الإصاخة إلى الحق مسامعهم ، وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم وأن ينظروا أو يتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما إنفت مشارعهم.

وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم : هم ليوث للشجعان وبحور للأسخياء إلا أن هذا في الصفات وذلك في الأسماء ، وما في الآية تشبيه بليغ في الأصح لا استعارة لأن المستعار له مذكور وهم المنافقون ، والاستعارة إنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلواً عنه صالحاً لأن يراد به المنقول عنه والمنقول إليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام

جزء : 1 رقم الصفحة : 57

{ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ } [البقرة : 18] لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه ، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها لتنوع الرجوع إلى الشيء.

وعنه أو أراد أنهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون أم

يتأخرون.
59
{ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ } [البقرة : 19] ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر لزيادة الكشف والإيضاح.
وشبه المنافق في التمثيل الأول بالمستوقد ناراً وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار ، وهنا شبه دين الإسلام بالصيب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر ، وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات ، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق ، وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا من جهة أهل الإسلام بالصواعق.
والمعنى أو كمثل ذوي صيب فحذف " مثل " لدلالة العطف عليه " وذوي " لدلالة يجعلون عليه.
والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء بهذه الصفة فلقوا منها ما لقوا ، فهذا تشبيه أشياء بأشياء إلا أنه لم يصرح بذكر المشبهات كما صرح في قوله : { وَمَا يَسْتَوِى الاعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِى ءُ } [غافر : 58] (غافر : 85) ، وقول امرىء القيس :
جزء : 1 رقم الصفحة : 57
كأن قلوب الطير رطباً ويابسا
لدى وكرهاً العناب والحشف البالي

(45/1)

بل جاء به مطوياً ذكره على سنن الاستعارة.
والصحيح أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر شبهه به.
بيانه أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس ، وتشبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها كقوله تعالى : { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا } [الجمعة : 5] (الجمعة : 5) الآية.
فالمراد تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوارة بحال الحمار في جهله بما يحمل من أسفار الحكمة ، وتساوي الحالتين عنده من حمل أسفار الحكمة وحمل ما سواها من الأوقار لا يشعر من ذلك إلا بما يمر بدفيه من الكد والتعب.
وكقوله : { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ } [الكهف : 45] (الكهف : 54) ، فالمراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فهو تشبيه كيفية بكيفة ، فأما أن يراد

تشبيه الأفراد بالأفراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيئاً واحداً فلا.
فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة ، شبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد أيقادها في ظلمة الليل ، وكذلك من أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق ، والتمثيل الثاني أبلغ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر ولذا أخر ، وهم يتدرجون في مثل هذا من الأهوان إلى الأغلظ.
وعطف أحد التمثيلين على الآخر بـ " أو " لأنها في أصلها لتساوي شيئين فصاعداً في الشك عند البعض ، ثم استعيرت لمجرد التساوي كقولك " جالس الحسن أو ابن سيرين " تريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا ، وقوله تعالى : { وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا } [الإنسان : 24] (الدهر : 42) ، أي الآثم والكفور سيان في وجوب العصيان فكذا هنا معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وأن الكيفيتين سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل ، فبأيتهما مثلتها فأنت مصيب ، وإن مثلتها بهما جميعاً فكذلك.
والصيب : المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع يقال للسحاب صيب أيضاً.
وتنكير " صيب " لأنه نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل الأول ، والسماء هذه المظلة.
وعن الحسن أنها موج مكفوف.
والفائدة في ذكر السماء.
والصيب لا يكون إلا من السماء أنه جاء بالسماء معرفة فأفاد أنه غمام أخذ بآفاق السماء ونفى أن يكون من سماء أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق ، لأن كل أفق من آفاقها سماء ، ففي التعريف مبالغة كما في تنكير صيب وتركيبه وبنائه ، وفيه دليل على أن السحاب من السماء ينحدر ومنها يأخذ ماءه ، وقيل : إنه يأخذ من البحر ويرتفع.
ظلمات مرفوع بالجار والمجرور لأنه قد قوي لكونه صفة لصيب بخلاف ما لو قلت ابتداء " فيه

جزء : 1 رقم الصفحة : 57

(46/1)

ظلمات " ففيه خلاف بين الأخفش وسيبويه.
والرعد : الصوت الذي يسمع من السحاب لاصطكاك أجرامه ، أو ملك يسوق السحاب.
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً إذا لمع ، والضمير في فيه يعود إلى الصيب

فقد جعل الصيب مكاناً للظلمات ، فإن أريد به السحاب فظلماته ـ إذا كان أسحم مطبقاً ، ظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل.
وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة أظلال غمامه مع ظلمة الليل.
وجعل الصيب مكاناً للرعد والبرق على إرادة السحاب به ظاهر ، وكذا إن أريد به المطر لأنهما ملتبسان به في الجملة.
ولم يجمع الرعد والبرق لأنهما مصدران في الأصل ، يقال رعدت السماء رعداً وبرقت برقاً فروعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما.
ونكرت هذه الأشياء لأن المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف.
{ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى } الضمير لأصحاب الصيب وإن كان محذوفاً كما في قوله { هُمْ قَآ ئِلُونَ } (الأعراف : 4) لأن المحذوف باقٍ معناه وإن سقط لفظه.
ولا محل لـ " يجعلون " لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلاً قال : فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد؟ فقيل : يجعلون أصابعهم في آذانهم.
ثم قال : فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق؟ فقال : يكاد البرق يخطف أبصارهم.
وإنما ذكر الأصابع ولم يذكر الأنامل ورؤوس الأصابع هي التي تجعل في الأذان اتساعاً كقوله { فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا } [المائدة : 38] (المائدة : 83) والمراد إلى الرسغ ، ولأن في ذكر الأصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الأنامل.
وإنما لم يذكر الأصبع الخاص الذي تسد به الأذن لأن السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن ، ولم يذكر المسبحة لأنها مستحدثة غير مشهورة.
{ مِّنَ الصَّوَاعِقِ } [البقرة : 19] متعلق بـ " يجعلون " أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم.
والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار.
قالوا : تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه ، وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود.
يحكى أنها سقطت على نخلة فأحرقت نحو نصفها ثم طفئت.
ويقال : صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق

{ حَذَرَ الْمَوْتِ } [البقرة : 243] مفعول له ، والموت فساد بنية الحيوان أو عرض لا يصح معه إحساس معاقب للحياة { وَاللَّهُ مُحِيطُ بِالْكَافِرِينَ } [البقرة : 19] يعني أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط فهو مجاز وهذه الجملة اعتراض لا محل لها.
جزء : 1 رقم الصفحة : 57
{ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ } [البقرة : 20] الخطف الأخذ بسرعة ، و " كاد " يستعمل لتقريب

الفعل جداً ، وموضع يخطف نصب لأنه خبر " كاد " .
{ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم } [البقرة : 20] " كل " ظرف و " ما " نكرة موصوفة معناها الوقت ، والعائد محذوف أي كل وقت أضاء لهم فيه ، والعامل فيه جوابها وهو { مَّشَوْا فِيهِ } [البقرة : 20] أي في ضوئه وهو استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول : كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته؟ وهذا تمثيل لشدة الأمر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة ، فإذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين.
و " أضاء " معتدٍ كلما نور لهم ممشى ومسلكاً أخذوه ، والمفعول محذوف.
أو غير متعدٍ أي كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره.
والمشي جنس الحركة المخصوصة فإذا اشتد فهو سعي فإذا ازداد فهو عدوٌ.
{ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ } [البقرة : 20] " أظلم " غير متعدٍ وذكر مع أضاء كلما ومع أظلم إذا لأنهم حراص على وجود ما همهم به معقود من إمكان المشي ، فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف.
{ قَامُوا } وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قام الماء إذا جمد.
{ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ } [البقرة : 20] بقصيف الرعد { وَأَبْصَـارِهِمْ } بوميض البرق.
ومفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه أي ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بهما ولقد تكاثر هذا الحذف في " شاء " وأراد لا يكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب كنحو قوله :

جزء : 1 رقم الصفحة : 63
فلو شئت أن أبكي دماً لبكيته
عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
63
وقوله تعالى : { لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا } [الأنبياء : 17] (الأنبياء : 71).
{ لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا } (الزمر : 4) { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 20] أي إن الله قادر على كل شيء.
لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات

المذكور فقال : { يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ } قال علقمة : ما في القرآن " يا أيها الناس " فهو خطاب لأهل مكة ، وما فيه يا أيها الذين آمنوا فهو خطاب لأهل المدينة ، وهذا خطاب لمشركي مكة ، و " يا " حرف وضع لنداء البعيد ، وأي والهمزة للقريب ، ثم استعمل في مناداة من غفا وسها وإن قرب ودنا تنزيلاً له منزلة من بعد ونأى ، فإذا نودي به القريب المقاطن فذاك للتوكيد المؤذن بأن الخطاب الذي يتلوه معتنى به جداً.

وقول الداعي " يا رب " وهو أقرب إليه من حبل الوريد استقصار منه لنفسه واستبعاد لها عن مظان الزلفى هضماً لنفسه وإقراراً عليها بالتفريط مع فرط التهالك على استجابة دعوته.

و " أي " وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما أن " ذو " و " الذي " وصلتان إلى الوصف بأسماء الأجناس ووصف المعارف بالجمل ، وهو اسم مبهم يفتقر إلى ما يزيل إبهامه فلا بد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يتضح المقصود بالنداء.

فالذي يعمل فيه " يا أي " ، أي والتابع له صفته نحو " يا زيد الظريف " إلا أن " أيا " لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك عن الصفة ، وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لتأكيد معنى النداء وللعوض عما يستحقه أي من الإضافة.

وكثر النداء في القرآن على هذه الطريقة لأن ما نادى الله به عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده أمور عظام وخطوب جسام ، يجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم إليها وهم عنها غافلون ، فاقتضت الحال

أن ينادوا بالآكد الأبلغ.

{ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } [البقرة : 21] وحدوه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كل عبادة في القرآن فهي توحيد { الَّذِى خَلَقَكُمْ } [الروم : 40] صفة موضحة مميزة لأنهم كانوا يسمون الآلهة أرباباً.

والخلق إيجاد المعدوم على تقدير واستواء ، وعند المعتزلة إيجاد الشيء على تقدير واستواء ، وهذا بناء على أن المعدوم شيء عندهم لأن الشيء ما صح أن يعلم ويخبر عنه عندهم ، وعندنا هو اسم للموجود.

خلقكم بالإدغام : أو عمرو.

{ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ } [البقرة : 21] احتج عليهم بأنه خالقهم وخالق من قبلهم لأنهم كانوا مقرين بذلك فقيل لهم : إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه ولا تعبدوا الأصنام.

{ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة : 21] أي اعبدوا على رجاء أن تتقوا فتنجوا بسببه من العذاب.

و " لعل " للترجي والإطماع ولكنه إطماع من كريم فيجري مجرى وعده المحتوم وفاؤه ، وبه قال سيبويه.

وقال قطرب : هو بمعنى " كي " أي لكي تتقوا.

{ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الارْضَ } [الملك : 15] أي صير ومحل الذي نصب على المدح أو رفع بإضمار هو فراشاً بساطاً تقعدون عليها وتنامون وتتقلبون وهو مفعول ثانٍ لجعل ، وليس فيه دليل على أن الأرض مسطحة أو كرية إذ الافتراش ممكن على التقديرين.

{ وَالسَّمَآءَ بِنَآءً } [البقرة : 22] سقفاً كقوله تعالى : { وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا } [الأنبياء : 32] (الأنبياء : 23) ، وهو مصدر سمي به المبنى.

{ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً } [البقرة : 22] مطراً { فَأَخْرَجَ بِهِ } [البقرة : 22] بالماء ، نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيئته وإيجاده ولكن جعل الماء سبباً في خروجها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ، ولكن له في إنشاء الأشياء مدرجاً لها من حال إلى حال وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة ، حكماً وعبراً للنظار بعيون الاستبصار.

و " من " في { مِنَ الثَّمَرَاتِ } [البقرة : 22] للتبعيض أو للبيان { رِّزْقًا } مفعول له إن كانت " من " للتبيض ، ومفعول به لـ " أخرج " إن كانت للبيان.

وإنما قيل الثمرات دون الثمر والثمار وإن كان الثمر المخرج بماء السماء

(48/1)

كثيراً ، لأن المراد جماعة الثمرة ، ولأن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية.

{ لَكُمْ } صفة جارية على الرزق إن أريد به العين ، وإن جعل اسماً للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقاً وإياكم.

{ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا } [البقرة : 22] هو متعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أنداداً لأن أصل العبادة وأساسها التوحيد ، وأن لا يجعل له ند ولا شريك.

ويجوز أن يكون الذي رفعاً على الابتداء وخبره فلا تجعلوا .

ودخول الفاء لأن الكلام يتضمن الجزاء أي الذي حفكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء.

المثل والند ولا يقال إلا للمثل المخالف المناوىء ، ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه { وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة : 22] أنها لا تخلق شيئاً ولا ترزق والله الخالق الرازق ، أو مفعول تعلمون متروك أي وأنتم من أهل العلم.

وجعل الأصنام لله أنداداً غاية الجهل ، والجملة حال من الضمير في فلا تجعلوا .

ولما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك ـ لخلقهم أحياء قادرين وخلق الأرض التي هي مثواهم ومستقرهم ، وخلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار وما

سوّاه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل من الثمار رزقاً لبني آدم ، فهذا كله دليل موصل إلى التوحيد مبطل للإشراك ، لأن شيئاً من المخلوقات لا يقدر على إيجاد شيء منها ، عطف على ذلك ما هو الحجة على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم وما يقرر إعجاز القرآن فقال.

{ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا } [البقرة : 23] " ما " نكرة موصوفة أو بمعنى الذي { عَلَى عَبْدِنَا } [البقرة : 23] محمد عليه السلام ، والعبد اسم لمملوك من جنس العقلاء ، والمملوك موجود قهر بالاستيلاء.

وقيل : نزلنا دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك أنهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوماً سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقاً حيناً فحيناً ، شيئاً فشيئاً لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ، ولا يرمي الناثر بخطبه ضربة ، فلو أنزله

(49/1)

الله لأنزله جملة قال الله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً } [الفرقان : 32] (الفرقان : 23) ، فقيل : إن ارتبتم في هذا الذي وقع إنزاله هكذا على تدريج { فَأْتُوا بِسُورَةٍ } [يونس : 38] أي فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه ، وهلموا نجماً فرداً من نجومه سورة من أصغر السور.

والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات.

وواوها إن كانت أصلاً فإما أن تسمى بسور المدينة وهو حائطها لأنها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور ، أو لأنها محتوية على فنون من العلم وأجناس من الفوائد كاحتواء سور المدينة على ما فيها ، وإما أن تسمى بالسورة التي هي الرتبة لأن السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارىء ، وهي أيضاً في نفسها مرتبة طوال وأوساط وقصار ، أو لرفعة شأنها وجلالة محلها في الدين.

وإن كانت منقلبة عن همزة فلأنها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء.

وأما الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً فهي كثيرة ، ولذا أنزل الله تعالى التوراة والإنجيل والزبور وسائر ما أوحاه إلى أنبيائه مسورة مترجمة السورة ، وبوب المصنفون في كل فن كتبهم أبواباً موشحة الصدور بالتراجم.

منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع واشتمل على أصناف كان أحسن من أن يكون بياناً واحداً ، ومنها أن القارىء إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأبعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ، ومن ثم جزّأ القراء القرآن أسباعاً وأجزاء وعشوراً وأخماساً ، ومنها أن الحافظ إذا حذق السورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ، ومنه حديث أنس رضي الله عنه كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل فينا.

ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة تامة أفضل.

{ مِّن مِّثْلِهِ } [يس : 42] متعلق بـ " سورة " صفة لها والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله يعني فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم ، أو لعبدنا أي فأتوا بمن هو على حاله من كونه أمياً لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء.

ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك.

ورد الضمير إلى المنزل أولى لقوله تعالى : { فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ } [يونس : 38] (يونس : 83).

{ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ } [هود : 13] (هود : 31).

{ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَاذَا الْقُرْءَانِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } [الإسراء : 88] (الإسراء : 88).

ولأن الكلام مع رد الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً.

وذلك أن الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق إليه فإن المعنى وإن ارتبتم في أن القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً مما يماثله.

وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يقال : وإن ارتبتم في أن محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله ، ولأن هذا التفسير يلائم قوله { وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم } [البقرة : 23] جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة { مِّن دُونِ اللَّهِ } [يس : 74] أي غير الله وهو متعلق بـ " شهداءكم أي ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو من يشهد لكم بأنه مثل القرآن { إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : 23] إن ذلك مختلق وأنه من كلام محمد عليه السلام.

وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله أي إن كنتم صادقين في دعواكم فأتوا أنتم بمثله واستعينوا بآلهتكم على ذلك.

{ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } [البقرة : 24] لما أرشدهم إلى الجهة التي منها يتعرفون صدق النبي عليه السلام ، قال لهم : فإذا لم تعارضوه وبان عجزكم ووجب تصديقه فآمنوا وخافوا العذاب المعدّ لمن كذب وعاند.

وفيه دليلان على إثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزاً ، والإخبار بأنهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه إلا الله.

ولما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واعتمادهم

على بلاغتهم ، سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجيء بـ ؛ " إن " الذي للشك دون " إذا " الذي للوجوب ، وعبّر عن الإتيان بالفعل

(50/1)

لأنه فعل من الأفعال.

والفائدة فيه أنه جارٍ مجرى الكناية التي تعطيك اختصاراً إذ لو لم يعدل من لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل لاستطيل أن يقال " فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله " .

ولا محل لقوله ولن تفعلوا لأنها جملة اعتراضية ، وحسّن هذا الاعتراض أن لفظ الشرط للتردد فقطع التردد بقوله ولن تفعلوا و " لا " و " لن " أختان في نفي المستقبل إلا أن في " لن " تأكيداً.

وعن الخليل أصلها " لا أن " ، وعند

68

الفراء " لا " أبدلت ألفها نوناً ، وعند سيبويه حرف موضوع لتأكيد نفي المستقبل ، وإنما علم أنه إخبار عن الغيب على ما هو به حتى صار معجزة لأنهم لو عارضوه بشيء لاشتهر فكيف والطاعنون فيه أكثر عدداً من الذابين عنه؟ وشرط في اتقاء النار انتفاء إتيانهم بسورة من مثله لأنهم إذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق الرسول ، وإذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد وأبوا الانقياد استوجبوا النار فقيل لهم : إن استبنتم العجز فاتركوا العناد ، فوضع فاتقوا النار موضعه لأن اتقاء النار سبب ترك العناد وهو من باب الكناية وهي من شعب البلاغة ، وفائدته الإيجاز الذي هو من حلية القرآن.

والوقود ما ترفع به النار يعني الحطب ، وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح.

وصلة الذي والتي تجب أن تكون معلوماً للمخاطب فيحتمل أن يكونوا سمعوا من أهل الكتاب أو من رسول الله ، أو سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى : { نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } [التحريم : 6] (التحريم : 6).

وإنما جاءت النار منكرة ثم ومعرفة هنا لأن تلك الآية نزلت بمكة ثم نزلت هذه الآية بالمدينة مشاراً بها إلى ما عرفوه أولاً.

ومعنى قوله تعالى : وقودها الناس والحجارة أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس والحجارة وهي حجارة الكبريت ، فهي أشد توقداً وأبطأ خموداً وأنتن رائحة وألصق بالبدن أو الأصنام المعبودة فهي أشد تحسيراً.

وإنما قرن الناس بالحجارة لأنهم قرنوا بها أنفسهم في الدنيا حيث عبدوها وجعلوها لله أنداداً ونحوه قوله تعالى : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ } [الأنبياء : 98] (الأنبياء : 89) أي

حطبها ، فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغاً في إيلامهم.
{ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة : 24] هيئت لهم.
وفيه دليل على أن النار مخلوقة خلافاً لما يقوله جهم سنة الله في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطاً لاكتساب ما يزلف وتثبيطاً عن اقتراف ما يتلف ، فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين وأعمالهم وتبشيرهم بقوله :
69
جزء : 1 رقم الصفحة : 63

(51/1)

{ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } [البقرة : 25] والمأمور بقوله " وبشر " الرسول عليه السلام أو كل أحد ، وهذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمة وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به.
وهو معطوف على " فاتقوا " كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم.
أو جملة وصف ثواب المؤمنين معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كقولك " زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق " .
والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء : إذا قال لعبيده : أيكم بشرني بقدوم فلان فهو حر.
فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين.
ولو قال : " أخبرني " مكان " بشرني " عتقوا جميعاً ، لأنهم أخبروه ، ومنه البشرة لظاهر الجلد ، وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه.
وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك.
والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم.
والصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس.
والآية حجة على من جعل الأعمال إيماناً لأنه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان والمعطوف غير المعطوف عليه.
ولا يقال إنكم تقولون يجوز أن يدخل المؤمن الجنة بدون الأعمال الصالحة والله تعالى بشر بالجنة لمن آمن وعمل صالحاً ، لأن البشارة المطلقة بالجنة شرطها اقتران الأعمال الصالحة بالإيمان ، ولا

نجعل لصاحب الكبيرة البشارة المطلقة بل نثبت بشارة مقيدة بمشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله
70
جزء : 1 رقم الصفحة : 70
الجنة.
{ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ } [البقرة : 25] أي بأن لهم جنات.
وموضع " أن " وما عملت فيه النصب بـ " بشّر " عند سيبويه خلافاً للخليل وهو كثير في التنزيل.
والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف ، والتركيب دائر على معنى الستر ومنه الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان ، وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان.
والجنة مخلوقة لقوله تعالى : { وَقُلْنَا يَاآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَاذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } (البقرة : 53) خلافاً لبعض المعتزلة.
ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان.
{ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ } [الرعد : 35] الجملة في موضع النصب صفة لجنات ، والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية.
وأنهار الجنة تجري في غير أخدود.
وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار في خلالها مطردة والجري الأطراد.
والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل : نهر مصر ، واللغة الغالة نهر ومدار التركيب على السعة ، وإسناد الجري إلى الأنهار مجازي.
وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى : { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } [مريم : 4] (مريم : 4) ، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى : { فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ } [محمد : 15] (محمد : 51) ، الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها.
جزء : 1 رقم الصفحة : 70

{ كُلَّمَا رُزِقُوا } [البقرة : 25] صفة ثانية لـ " جنات " أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه

الأجناس فقيل : إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله.

{ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَاذَا الَّذِى } [البقرة : 25] أي كلما رزقوا من الجنات ، من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك ، رزقاً قالوا ذلك.

فـ " من " الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدىء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدىء من ثمرة ، ونظيره أن تقول : رزقني

71

فلان فيقال لك : من أين؟ فتقول : من بستانه.

فيقال : من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول : من الرمان.

وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة وإنما المراد نوع من أنواع الثمار.

{ رُزِقْنَا } أي رزقناه فحذف العائد { مِن قَبْلِ } [يوسف : 6] أي من قبل هذا ، فلما قطع عن الإضافة بنى ، والمعنى هذا مثل الذي رزقنا من قبل وشبهه بدليل قوله { وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا } [البقرة : 25] وهذا كقولك " أبو يوسف أبو حنيفة " تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته.

والضمير في به يرجع إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعاً لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ، وإنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناساً أخر ، لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود أميل ، وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ، ولأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد ورأى فيه مزية ظاهرة وتفاوتاً بيناً كان استعجابه به أكثر واستغرابه أوفر.

وتكريرهم هذا القول عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الأمر وتمادي الحال في ظهور المزية ، وعلى أن ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم في كل أوان أو إلى الرزق كما أن هذا إشارة إليه ، والمعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانساً في نفسه كما يحكى عن الحسن : يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالأخرى فيقول : هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك : كل ، فاللون واحد والطعم مختلف.

وعنه عليه السلام : والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة إلى فيه حتى يبدلها الله مكانها مثلها فإذا أبصروها والهيئة هيئة الأولى قالوا ذلك وقوله : وأتوا به متشابهاً جملة معترضة للتقرير كقولك " فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل " ورأى من الرأي كذا وكان صواباً ، ومنه

جزء : 1 رقم الصفحة : 70

{ وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَالِكَ يَفْعَلُونَ } [النمل : 34] (النمل : 43).

{ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ } [البقرة : 25] أزواج مبتدأ ولهم الخبر وفيها ظرف للإستقرار.

{ مُّطَهَّرَةٌ } من مساوى الأخلاق ، لا طمحات ولا مرحات ، أو مما يختص بالنساء بالحيض

والاستحاضة وما لا يختص بهن من البول والغائط وسائر الأقذار والأدناس.
ولم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان ، ولم يقل طاهرة لأن { مُطَهَّرَةٌ } أبلغ لأنها تكون للتكثير ، وفيها إشعار بأن مطهّراً طهرهن وما ذلك إلا الله عز وجل.
{ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : 25] الخلد والخلود البقاء الدائم
72

(53/1)

الذي لا ينقطع ، وفيه بطلان قول الجهمية فإنهم يقولون بفناء الجنة وأهلها لأنه تعالى وصف بأنه الأول الآخر ، وتحقيق وصف الأولية بسبقه على الخلق أجمع فيجب تحقيق وصف الآخرية بالتأخر عن سائر المخلوقات ، وذا إنما يتحقق بعد فناء الكل فوجب القول به ضرورة ، ولأنه تعالى باقٍ وأوصافه باقية فلو كانت الجنة باقية مع أهلها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق وذا محال.
قلنا : الأول في حقه هو الذي لا ابتداء لوجوده ، والآخر هو الذي لا انتهاء له ، وفي حقنا الأول هو الفرد السابق والآخر هو الفرد اللاحق ، واتصافه بهما لبيان صفة الكمال ونفي النقيصة والزوال ، وذا في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه ، وأنى يقع التشابه في البقاء وهو تعالى باقٍ لذاته وبقاؤه واجب الوجود وبقاء الخلق به وهو جائز الوجود.
لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به مثلاً ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فنزل.
{ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلا مَّا بَعُوضَةً } أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها.
وأصل الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم ، ولا يجوز على القديم التغير خوف والذم ولكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه به ، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا : أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ، فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال ، وهو فن من كلامهم بديع ـ وفيه لغتان : التعدي بنفسه وبالجار.
يقال : استحييته واستحييت منه وهما محتملتان هنا ، وضرب المثل صنعة من ضرب اللبن وضرب الخاتم.
و " ما " هذه إبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته عموماً كقولك : " أعطني كتاباً ما " تريد أي كتاب كان ، أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى :
جزء : 1 رقم الصفحة : 70
{ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ } [المائدة : 13] (النساء : 551) ، كأنه قال : لا يستحي أن يضرب مثلاً

البتة.
وبعوضة عطف بيان لـ " مثلاً " أو مفعول لـ " يضرب " ومثلاً حال من
73
النكرة مقدمة عليه ، أو انتصبا مفعولين على أن " ضرب " بمعنى " جعل " واشتقاقها من البعض وهو القطع كالبضع والعضب.
يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه ، والبعوض في أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت.
{ فَمَا فَوْقَهَا } [البقرة : 26] فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً وهو القلة والحقارة ، أو فما زاد عليها في الحجم كأنه أراد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لأنهما أكبر من البعوضة.
ولا يقال كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر لأن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلّم مثلاً للدنيا.
{ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ } [البقرة : 26] الضمير للمثل أو لأن يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يقال حق الأمر إذا ثبت ووجب { مِن رَّبِّهِمْ } [محمد : 3] في موضع النصب على الحال والعامل معنى الحق وذو الحال الضمير المستتر فيه { وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَاذَا مَثَلا } [البقرة : 26] ويوقف عليه إذ لو وصل لصار ما بعده صفة له وليس كذلك.
وفي قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلاً استحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها في عبد الله بن عمرو : يا عجباً لابن عمرو هذا محقرة له.
ومثلاً نصب على التمييز أو على الحال كقوله { هَاذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً } [الأعراف : 73]
(الأعراف : 37) وأما حرف فيه معنى الشرط ولذا يجاب بالفاء ، وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد.
تقول : زيد ذاهب.
فإذا قصدت توكيده وأنه لا محالة ذاهب قلت : أما زيد فذاهب ، ولذا قال سيبويه في تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، وهذا التفسير يفيد كونه تأكيداً وأنه في معنى الشرط.
وفي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون ، إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق ، ونعي على الكافرين إغفالهم حظهم ورميهم بالكلمة الحمقاء.
وماذا فيه وجهان : أن يكون " ذا " اسماً موصولاً بمعنى
74

جزء : 1 رقم الصفحة : 70

الذي و " ما " استفهاماً فيكون كلمتين ، وأن تكون " ذا " مركبة مع " ما " مجعولتين اسماً واحداً للاستفهام فيكون كلمة واحدة ، فـ " ما " على الأول رفع بالابتداء وخبره " ذا " مع صلته أي أراد ، والعائد محذوف.

وعلى الثاني منصوب المحل بـ " أراد " والتقدير : أي شيء أراد الله.

والإرادة مصدر أردت الشيء إذا طلبته نفسك ومال إليه قلبك ، وهي عند المتكلمين معنى يقتضي تخصيص المفعولات بوجه دون وجه ، والله تعالى موصوف بالإرادة على الحقيقة عند أهل السنة.

وقال معتزلة بغداد : إنه تعالى لا يوصف بالإرادة على الحقيقة.

فإذا قيل أراد الله كذا فإن كان فعله فمعناه أنه فعل وهو غير ساهٍ ولا مكره عليه ، وإن كان فعل غيره فمعناه أنه أمر به.

{ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } [البقرة : 26] جارٍ مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين بـ " أما " ، وأن فريق العالمين بأنه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة ، وأن العلم بكونه حقاً من باب الهدى ، وأن الجهل بحسن مورده من باب الضلالة.

وأهل الهدى كثير في أنفسهم وإنما يوصفون بالقلة بالقياس إلى أهل الضلال ، ولأن القليل من المهتدين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة.

جزء : 1 رقم الصفحة : 70

إن الكرام كثير في البلاد وإن

قلوا كما غيرهم قل وإن كثروا

والإضلال : خلق فعل الضلال في العبد ، والهداية خلق فعل الاهتداء ، هذا هو الحقيقة عند أهل السنة ، وسياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار واستغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروباً بها المثل ليس بموضع الاستنكار والاستغراب لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى وإدناء المتوهم من المشاهد.

فإن كان المتمثل له عظيماً كان المتمثل به كذلك ، وإن كان حقيراً كان المتمثل به كذلك ، ألا ترى أنه الحق لما كان واضحاً جلياً تمثل له بالضياء والنور ، وأن الباطل لما كان بضد صفته تمثل له بالظلمة ، ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار أنداداً لله لا حال أحقر منها وأقل ، ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن ، وجعلت أقل من الذباب وضربت لها البعوضة؟ فالذي دونها مثلاً ـ لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحى من تمثيلها بالبعوضة لأنه مصيب في تمثيله ، محق في قوله ، سائق للمثل على قضية مضربه ، ولبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف والنظر في الأمور يناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أن

الحق ، وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم إذا سمعوه كابروا وعاندوا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالإنكار ، وأن ذلك سبب هدى المؤمنين وضلال الفاسقين.

والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور وخشاش الأرض فقالوا : أجمع من ذرة ، وأجرأ من الذباب ، وأسمع من قرد ، وأضعف من فراشة ، وآكل من السوس ، وأضعف من البعوضة ، وأعز من مخ البعوض ، ولكن ديدن المحجوج والمبهوت أن يرضى لفرط الحيرة بدفع الواضح وإنكار اللائح.

{ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ } [البقرة : 26] هو مفعول يضل وليس بمنصوب على الاستثناء لأن يضل لم يستوف مفعوله.

والفسق : الخروج عن القصد.

والفاسق في الشريعة : الخارج عن الأمر بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر عند المعتزلة وسيمر عليك ما يبطله إن شاء الله.

{ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ } [البقرة : 27] النقض : الفسخ وفك التركيب.

والعهد : الموثق.

والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعاً.

وعهد الله ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم ، أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره ، أو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم.

وقيل : عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود : العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته وهو قوله تعالى :

جزء : 1 رقم الصفحة : 70

(55/1)

{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَاذَا غَافِلِينَ } (الأعراف : 172) الآية ، وعهد خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين وهو قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِيثَاقَهُمْ } (الأحزاب : 7) وعهد خص به العلماء وهو قوله تعالى : { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ } ، { مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ } [البقرة : 27] أصله من الوثاقة وهي إحكام الشيء ، والضمير للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله

وإلزامه أنفسهم ، ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن الميعاد بمعنى الوعد أو لله تعالى أي من بعد توثقته عليهم و " من " لابتداء الغاية { وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ } [البقرة : 27] هو قطعهم الأرحام وموالاة المؤمنين ، أو قطعهم ما بين الأنبياء من الوصلة والاجتماع على الحق في إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض.

والأمر طلب الفعل بقول مخصوص على سبيل الاستعلاء ، و " ما " نكرة موصوفة أو بمعنى الذي و " أن يوصل " في موضع جر بدل من الهاء أي بوصله ، أو في موضع رفع أي هو أن يوصل { وَيُفْسِدُونَ فِى الارْضِ } [الرعد : 25] بقطع السبيل والتعويق عن الإيمان { أُولَـائِكَ } مبتدأ { هُمْ } فصل والخبر { الْخَاسِرُونَ } أي المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب.

جزء : 1 رقم الصفحة : 70

{ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ } [البقرة : 28] معنى الهمزة التي في " كيف " مثله في قولك : أتكفرون بالله ومعكم وما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الإنكار والتعجب ، ونظيره قولك : أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح؟ والواو في { وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا } [البقرة : 28] نطفاً في أصلاب آبائكم للحال و " قد " مضمرة.

والأموات جمع ميت كالأقوال جمع قيل ، ويقال لعادم الحياة أصلاً ميت أيضاً كقوله تعالى : { بَلْدَةً مَّيْتًا } [ق : 11] (الفرقان : 94) { فَأَحْيَاكُمْ } في الأرحام { ثُمَّ يُمِيتُكُمْ } [الجاثية : 26] عند انقضاء آجالكم { ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } [الحج : 66] للبعث { ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [البقرة : 28] تصيرون إلى الجزاء ، أو ثم يحييكم في قبوركم ثم إليه ترجعون للنشور.

وإنما كان العطف الأول بالفاء والبواقي بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخٍ ، وأما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن أريد النشور ، وإن أريد إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه ، والرجوع إلى الجزاء أيضاً متراخٍ عن النشور.

وإنما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم على الكفر ، ولأنها تشتمل على نعمٍ جسام حقها أن تشكر ولا تكفر.

جزء : 1 رقم الصفحة : 77

{ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الارْضِ } [البقرة : 29] أي لأجلكم ولانتفاعكم به في

ؤ دنياكم ودينكم.
أما الأول فظاهر ، وأما الثاني فالنظر فيه وما فيه من العجائب الدالة على صانع قادر حكيم عليم ، وما فيه من التذكير بالآخرة لأن ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها.
وقد استدل الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة في الأصل.
{ جَمِيعًا } نصب على الحال من ما { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ } [البقرة : 29] الاستواء : الاعتدال والاستقامة.
يقال : استوى العود أي قام واعتدل ، ثم قيل : استوى إليه كالسهم المرسل أي قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي على شيء ومنه قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ } [البقرة : 29] (فصلت : 11) ، أي أقبل وعمد إلى خلق السموات بعد ما خلق ما في الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر.
والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل : ثم استوى إلى فوق.
والضمير في مبهم يفسره { اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ } [نوح : 15] كقولهم " ربه رجلاً " .
وقيل : الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها في معنى الجنس.
ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور ، أو إتمام خلقهن.
" وثم " هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض ، ولا يناقض هذا قوله { وَالارْضَ بَعْدَ ذَالِكَ دَحَاهَآ } [النازعات : 30] (النازعات : 03) لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر.
وعن الحسن : خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ، ثم أصعد الدخان وخلق منها السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرض فذلك قوله تعالى : { كَانَتَا رَتْقًا } [الأنبياء : 30] (الأنبياء : 03) ، وهو الالتزاق { وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : 29] فمن ثم خلقهن خلقاً مستوياً محكماً من غير تفاوت من خلق ما في الأرض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم.
وهو وأخواته مدني غير ورش ، " وهو هو وأبو عمرو وعلي ، جعلوا الواو كأنها في نفس الكلمة فصار بمنزلة عضد وهم يقولون

في عضد عضد بالسكون.
ولما خلق الله تعالى الأرض أسكن فيها الجن وأسكن في السماء الملائكة فأفسدت الجن في الأرض فبعث إليهم طائفة من الملائكة فطردتهم إلى جزائر البحار ورؤوس الجبال وأقاموا مكانهم فأمر نبيه عليه السلام أن يذكر قصتهم فقال :

{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائكَةِ } [الحجر : 28] " إذ " نصب بإضمار " اذكر " .
والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمال وإلحاق التاء لتأنيث الجمع.
{ إِنّي جَاعِلٌ } [البقرة : 30] أي مصير من جعل الذي له مفعولان وهما { فِى الارْضِ خَلِيفَةً } [البقرة : 30] وهو من يخلف غيره " فعيلة " بمعنى " فاعلة وزيدت الهاء للمبالغة والمعنى : خليفة منكم لأنهم كانوا سكان الأرض فخلفهم فيها آدم وذريته.
ولم يقل خلائف أو خلفاء لأنه أريد بالخليفة آدم.
واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر أبي القبيلة في قولك " مضر وهاشم " ، أو أريد من يخلفكم أوخلقاً يخلفكم فوحد لذلك ، أو خليفة مني لأن آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي ، قال الله تعالى : { يادَاوُادُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الارْضِ } (ص : 62) ، وإنما أخبرهم بذلك ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم ، أو ليعلّم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وإن كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنياً عن المشاورة.
{ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا } [البقرة : 30] تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يجهل ، وإنما عرفوا ذلك بإخبار من الله تعالى ، أو من جهة اللوح أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر.
{ وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ } [البقرة : 30] أي يصب.
والواو في { وَنَحْنُ نُسَبّحُ } [البقرة : 30] للحال كما تقول : أتحسن إلى فلان وأنا أحق منه بالإحسان؟ { بِحَمْدِكَ } في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك كقوله تعالى : { وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ } [المائدة : 61] (المائدة : 16) ، أي دخلوا كافرين.
{ وَنُقَدّسُ لَكَ } [البقرة : 30] ونطهر أنفسنا لك.
وقيل : التسبيح والتقديس تبعيد الله من السوء من سبح في الأرض وقدس فيها إذا ذهب فيها وأبعد.
{ قَالَ إِنّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 30] أي أعلم من الحكم في ذلك ما هو خفي عليكم يعني يكون فيهم الأنبياء والأولياء والعلماء.
و " ما " بمعنى " الذي " وهو مفعول أعلم والعائد محذوف أي ما لا
79
جزء : 1 رقم الصفحة : 77
تعلمونه.
إنى حجازي وأبو عمرو.
{ وَعَلَّمَ ءَادَمَ } [البقرة : 31] هو اسم أعجمي وأقرب أمره أن يكون على فاعل كآزو واشتقاقهم آدم من

أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب وإدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس.
{ الاسْمَآءَ كُلَّهَا } [البقرة : 31] أي أسماء المسميات فحذف المضاف إليه لكونه معلوماً مدلولاً عليه بذكر الأسماء إذ الإسم يدل على المسمى وعوض منه اللام كقوله تعالى : { وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا } [مريم : 4] (مريم : 4) ، ولا يصح أن يقدر وعلم آدم مسميات الأسماء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، لأن التعليم تعلق بالأسماء لا بالمسميات لقوله تعالى : أنبئوني بأسماء هؤلاء و أنبئهم بإسمائهم ، ولم يقل " أنبئوني بهؤلاء وأنبئهم بهم " .
ومعنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التي خلقها وعلمه أن هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : علمه اسم كل شيء حتى القصعة والمغرفة.
{ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ } [البقرة : 31] أي عرض المسميات ، وإنما ذكر لأن في المسميات العقلاء فغلبهم.
وإنما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت { فَقَالَ أَنابِئُونِى } [البقرة : 31] أخبروني { بِأَسْمَآءِ هؤلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : 31] في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء ، وفيه رد عليهم وبيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا.
{ قَالُوا سُبْحَانَكَ } [سبأ : 41] تنزيهاً لك أن يخفى عليك شيء أو عن الاعتراض عليك في تدبيرك.
وأفادتنا الآية أن علم الأسماء فوق التخلي للعبادة فكيف بعلم الشريعة؟ وانتصابه على المصدر تقديره سبحت الله تسبيحاً { لا عِلْمَ لَنَآ إِلا مَا عَلَّمْتَنَآ } [البقرة : 32] وليس فيه علم الأسماء ، و " ما " بمعنى " الذي " ، والعلم بمعنى المعلوم أي لا معلوم لنا ، إلا الذي علمتنا.
{ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ } [البقرة : 32] غير المعلم { الْحَكِيمُ } فيما قضيت

(58/1)

وقدرت.
والكاف اسم " إن " و " أنت " مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر " إن " ، أو أنت فصل والخبر العليم .
والحكيم خبر ثان.
جزء : 1 رقم الصفحة : 77
{ قَالَ يَا ءادَمُ أَنابِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنابَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ } [البقرة : 33] سمى كل شيء باسمه.

{ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } [البقرة : 33] أي أعلم ما غاب فيهما عنكم مما كان ومما يكون.

{ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ } [البقرة : 33] تظهرون.

{ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ } [البقرة : 33] تسرون.

{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائكَةِ اسْجُدُوا لادَمَ } [الكهف : 50] أي اخضعوا له وأقروا بالفضل له.

عن أبي بن كعب ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كان ذلك انحناء ولم يكن خروراً على الذقن.

والجمهور على أن المأمور به وضع الوجه على الأرض.

وكان السجود تحية لآدم عليه السلام في الصحيح إذ لو كان لله تعالى لما امتنع عنه إبليس.

وكان سجود التحية جائزاً فيما مضى ثم نسخ بقوله عليه السلام لسلمان حين أراد أن يسجد له لا ينبغي لمخلوق أن يسجد لأحد إلا لله تعالى .

{ فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ } [طه : 116] الاستثناء متصل لأنه كان من الملائكة كذا قاله علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، ولأن الأصل أن الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه ، ولهذا قال : { مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ } [الأعراف : 12] (الأعراف : 21) ، وقوله : { كَانَ مِنَ الْجِنِّ } [الكهف : 50] (الكهف : 05) معناه صار من الجن كقوله { فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } [هود : 43] (هود : 34).

وقيل : الاستثناء منقطع لأنه لم يكن من الملائكة بل كان من الجن بالنص وهو قول الحسن وقتادة ، ولأنه خلق من نار والملائكة خلقوا من

النور ، ولأنه أبى وعصى واستكبر والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ولا يستكبرون عن عبادته.

ولأنه قال : { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى } [الكهف : 50] (الكهف : 05) ، ولا نسل للملائكة.

وعن الجاحظ أن الجن والملائكة جنس واحد ، فمن طهر منهم فهو ملك ، ومن خبث فهو شيطان ، ومن كان بين بين فهو جن.

{ أَبَى } امتنع مما أمر به { وَاسْتَكْبَرَ } تكبر عنه.

{ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 34] وصار من الكافرين بإبائه واستكباره ورده الأمر لا بترك العمل بالأمر ، لأن ترك السجود لا يخرج من الإيمان ولا يكون كفراً عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة والخوارج ، أو كان من الكافرين في علم الله أي وكان في علم الله أنه يكفر بعد إيمانه لأنه كان كافراً أبداً في علم الله وهي مسألة الموافاة.

{ وَقُلْنَا يَا ءادَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَاذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } أمر من سكن الدار يسكنها سكنى إذا أقام فيها ويقال سكن المتحرك سكوناً { أَنتَ } تأكيد للمستكن في اسكن ليصح عطف { وَزَوْجُكَ } عليه { الْجَنَّةَ } هي جنة الخلد التي وعدت

للمتقين للنقل المشهور واللام للتعريف.
وقالت المعتزلة : كانت بستاناً باليمن لأن الجنة لا تكليف فيها ولا خروج عنها.
قلنا : إنما لا يخرج منها من دخلها جزاء.
وقد دخل النبي عليه السلام ليلة المعراج ثم خرج منها ، وأهل الجنة يكلفون المعرفة والتوحيد.
{ وَكُلا مِنْهَا } [البقرة : 35] من ثمارها فحذف المضاف.
{ رَغَدًا } وصف للمصدر أي أكلاً رغداً واسعاً { حَيْثُ شِئْتُمَا } [البقرة : 35] شئتما وبابه بغير همز : أبو عمرو.
وحيث للمكان المبهم أي أيّ مكان من الجنة شئتما { وَلا تَقْرَبَا هَاذِهِ الشَّجَرَةَ } [البقرة : 35] أي الحنطة.
ولذا قيل : كيف لا يعصي الإنسان وقوته من شجرة العصيان ، أو الكرمة لأنها أصل كل فتنة ، أو التينة.
{ فَتَكُونَا } جزم عطف
82

(59/1)

على تقربا أو نصب جواب للنهي.
{ مِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : 35] من الذين ظلموا أنفسهم أو من الضارين أنفسهم.
{ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا } [البقرة : 36] أي عن الشجرة ، أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها.
وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها أو فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما.
فأزالهما حمزة.
وزلة آدم بالخطأ في التأويل إما بحمل النهي على التنزيه دون التحريم ، أو بحمل اللام على تعريف العهد وكأن الله تعالى أراد الجنس والأول الوجه.
وهذا دليل على أنه يجوز إطلاق اسم الزلة على الأنبياء عليهم السلام كما قال مشايخ بخارى.
فإنه اسم الفعل يقع على خلاف الأمر من غير قصد إلى الخلاف كزلة الماشي في الطين.
وقال مشايخ سمرقند : لا يطلق اسم الزلة على أفعالهم كما لا تطلق المعصية.
وإنما يقال فعلوا الفاضل وتركوا الأفضل فعوتبوا عليه.
{ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } [البقرة : 36] من النعيم والكرامة ، أو من الجنة إن كان الضمير للشجرة في عنها .
وقد توصل إلى إزلالهما بعدما قيل له أخرج منها فإنك رجيم ، لأنه منع عن دخولها على جهة

التكرمة كدخول الملائكة لا عن دخولها على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء.
وروي أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به.
وقيل : قام عند الباب فنادى.
{ وَقُلْنَا اهْبِطُوا } [البقرة : 36] الهبوط النزول إلى الأرض.
والخطاب لآدم وحواء وإبليس وقيل والحية والصحيح لآدم وحواء.
والمراد هما وذريتهما لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم ويدل عليه قوله تعالى : { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا } [طه : 123] (طه : 321) { بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } [طه : 123] المراد به ما عليه الناس من التباغي والتعادي وتضليل بعضهم لبعض.
والجملة في موضع الحال من الواو في اهبطوا أي اهبطوا متعادين.
{ وَلَكُمْ فِى الارْضِ مُسْتَقَرٌّ } [البقرة : 36] موضع استقرار أو استقرار.
{ وَمَتَاعٌ } وتمتع بالعيش.
{ إِلَى حِينٍ } [البقرة : 36] إلى يوم القيامة أو إلى الموت.
قال إبراهيم بن أدهم : أورثتنا تلك الأكلة حزناً طويلاً.
83
{ فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ } [البقرة : 37] أي استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها.
وبنصب آدم ورفع كلماتٌ : مكي على أنها استقبلته بأن بلغته واتصلت به وهنا قوله تعالى : { رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف : 23] (الأعراف : 32).
وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى التنصل من الذنوب.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن أحب الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال : بلى.
قال : يا رب ألم تنفخ فيّ من روحك؟ ألم تسبق رحمتك غضبك؟ ألم تسكنى جنتك؟ وهو تعالى يقول : بلى بلى.
قال : فلم أخرجتني من الجنة؟ قال : بشؤم معصيتك.
قال : فلو تبت أراجعي أنت إليها؟ قال : نعم { فَتَابَ عَلَيْهِ } [البقرة : 37] فرجع عليه بالرحمة والقبول.
واكتفى بذكر توبة آدم لأن حواء كانت تبعاً له ، وقد طوي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك.
{ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ } [البقرة : 37] الكثير القبول للتوبة.
{ الرَّحِيمُ } على عباده.
{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا } [البقرة : 38] حال أي مجتمعين.

وكرر الأمر بالهبوط للتأكيد ، أو لأن الهبوط الأول من الجنة إلى السماء والثاني من السماء إلى الأرض ، أو لما نيط به من زيادة قوله.

{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى } [البقرة : 38] أي رسول أبعثه إليكم ، أو كتاب أنزله عليكم بدليل قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاَايَاتِنَآ } [البقرة : 39] في مقابلة قوله { فَمَن تَبِعَ هُدَايَ } [البقرة : 38] أي بالقبول والإيمان به.

{ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } [البقرة : 38] في المستقبل { وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 38] على ما خلفوا.

والشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الأول كقولك " إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك " .

فلا خوف بالفتح في كل القرآن : يعقوب.

84

(60/1)

جزء : 1 رقم الصفحة : 81

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاَايَاتِنَآ أُوالَائِكَ } [البقرة : 39] مبتدأ والخبر { أَصْحَابُ النَّارِ } [الزمر : 8] أي أهلها ومستحقوها.

والجملة في موضع الرفع خبر المبتدأ أعني والذين { وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاَايَاتِنَآ أُوالَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } هو يعقوب عليه السلام وهو لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله أو عبد الله.

فإسرا هو العبد أو الصفوة ، وإيل هو الله بالعبرية ، وهو غير منصرف لوجود العلمية والعجمة.

{ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 40] ذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويطيعوا مانحها.

وأراد بها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الإنجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم ، وما أنعم به عليهم من إدراك زمن محمد صلى الله عليه وسلّم المبشر به في التوراة والإنجيل.

{ وَأَوْفُوا } أدوا وافياً تاماً ، يقال وفيت له بالعهد فأنا وافٍ به وأوفيت له بالعهد فأنا موف به ، والاختيار أوفيت ، وعليه نزل التنزيل.

{ بِعَهْدِى } بما عاهدتموني عليه من الإيمان بي والطاعة لي ، أو من الإيمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز.

{ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ } [البقرة : 40] بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم.

والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد جميعاً.

وعن قتادة : هما لئن أقمتم ولأكفرن.
وقال أهل الإشارة : أوفوا في دار محنتي ، على بساط خدمتي ، بحفظ حرمتي ، أوف في دار نعمتي ، على بساط كرامتي ، بسرور رؤيتي.
{ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } [البقرة : 40] فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك " زيدا رهبته " وهو أوكد في إفادة الاختصاص من { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } [الفاتحة : 5] (الفاتحة : 4) وإيّاي منصوب بفعل مضمر دل عليه ما بعده وتقديره فارهبوا إياي فارهبون ، وحذف الأول لأن الثاني يدل عليه.
وإنما لم ينتصب بقوله فارهبون لأنه أخذ مفعوله وهو الياء المحذوفة وكسرة النون دليل الياء كما لا يجوز نصب زيد في " زيدا فاضربه " بـ " اضرب " الذي هو ظاهر.
جزء : 1 رقم الصفحة : 85
{ وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ } [البقرة : 41] يعني القرآن { مُصَدِّقًا } حال مؤكدة من الهاء المحذوفة كأنه قيل أنزلته مصدقاً { لِّمَا مَعَكُمْ } [آل عمران : 81] من التوراة يعني في العبادة والتوحيد والنبوة وأمر محمد عليه السلام { وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِ بِهِ } [البقرة : 41] أي أول من كفر به أو أول حزب أو فوج كافر به ، أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به.
وهذا تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ، والضمير في به يعود
85

إلى القرآن.
{ وَلا تَشْتَرُوا } [المائدة : 44] ولا تستبدلوا.
{ بِاَيَاتِى } بتغييرها وتحريفها.
{ ثَمَنًا قَلِيلا } [النحل : 95] قال الحسن : هو الدنيا بحذافيرها.
وقيل : هو الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله.
{ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ } [البقرة : 41] فخافوني فارهبوني فاتقوني بالياء في الحالين وكذلك كل ياء محذوفة في الخط : يعقوب.
{ وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } [البقرة : 42] لبس الحق بالباطل خلطه.
والباء ، إن كانت صلة مثلها في قولك " لبست الشيء بالشيء " خلطته به ، كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم.
وإن كانت باء الاستعانة كالتي في قولك " كتبت بالقلم " ، كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبساً

مشتبهاً بباطلكم الذي تكتبونه.

{ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ } [البقرة : 42] هو مجزوم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا ، أو منصوب بإضمار " أن " ، والواو بمعنى الجمع ، أي ولا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك " لا تأكل السمك وتشرب اللبن " .

وهما أمران متميزان ، لأن لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها ، وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد أو حكم كذا { وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة : 22] في حال علمكم أنكم لابسون وكاتمون وهو أقبح لهم لأن الجهل بالقبيح ربما عذر مرتكبه.

{ وَأَقِيمُوا الصَّلَواةَ وَءَاتُوا الزكاة } [البقرة : 43] أي صلاة المسلمين وزكاتهم.

{ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } [البقرة : 43] منهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم أي أسلموا واعملوا عمل أهل الإسلام.

وجاز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود ، وأن يكون أمراً بالصلاة مع المصلين يعني في الجماعة ، أي صلوها مع المصلين لا منفردين.

جزء : 1 رقم الصفحة : 85

والهمزة في { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ } [البقرة : 44] للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم.

{ بِالْبِرِّ } أي سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ، ويتناول كل خير ومنه قولهم " صدقت وبررت " .

وكان الأحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد عليه السلام ولا يتبعونه.

وقيل : كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وإذا أتوا بالصدقات ليفرقوها خانوا فيها.

{ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ } [البقرة : 44] وتتركونها من البر كالمنسيات.

{ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ } [البقرة : 44] تبكيت أن تتلون التوراة وفيها نعت محمد عليه السلام أو فيها الوعيد على

86

الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل.

{ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [البقرة : 44] أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وهو توبيخ عظيم.

{ وَاسْتَعِينُوا }

جزء : 1 رقم الصفحة : 86

على حوائجكم إلى الله { بِالصَّبْرِ وَالصَّلَواةِ } [البقرة : 153] أي بالجمع بينهما وأن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب ودفع الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية ومراعاة الآداب والخشوع واستحضار العلم بأنه انتصاب بين يدي جبار السموات والأرض ، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعى إليه أخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وصلى ركعتين ثم قال : " واستعينوا بالصبر والصلاة .

وقيل : الصبر الصوم لأنه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر.

وقيل : الصلاة الدعاء أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه.

{ وَإِنَّهَا } الضمير للصلاة أو للاستعانة.

{ لَكَبِيرَةٌ } لشاقة ثقيلة من قولك " كبر عليّ هذا الأمر " { إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة : 45] لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ، ألا ترى إلى قوله : { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ } [البقرة : 46] أي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه.

وفسر يظنون بـ " يتيقنون " لقراءة عبد الله يعلمون ، أي يعلمون أنه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ، وأما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة.

والخشوع الإخبات والتطامن وأما الخضوع فاللين والانقياد.

وفسر اللقاء بالرؤية وملاقو ربهم بمعاينوه بلا كيف.

{ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة : 46] لا يملك أمرهم في الآخرة أحد سواه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 86

{ يَابَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } التكرير للتأكيد { وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ } [البقرة : 47] نصب عطف على نعمتي أي اذكروا نعمتي وتفضيلي.

{ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : 47] على الجمع الغفير من الناس يقال " رأيت عالماً من الناس " والمراد الكثرة.

{ وَاتَّقُوا يَوْمًا } [البقرة : 281] أي يوم القيامة وهو مفعول به لا ظرف.

{ لا تَجْزِى نَفْسٌ } [البقرة : 48] مؤمنة.

{ عَن نَّفْسٍ } [البقرة : 48] كافرة { شَيْئًا } أي لا تقضي عنها شيئاً من الحقوق التي لزمتها.

ووشيئاً مفعول به أو مصدر أي قليلاً من الجزاء ، والجملة منصوبة المحل صفة ويوماً والعائد منها إلى الموصوف محذوف تقديره لا تجزى فيه وولا يقبل منها شفاعةٌ } ولا تقبل بالتاء : مكي وبصري ، والضمير في منها يرجع إلى النفس المؤمنة أي لا تقبل منها شفاعة للكافرة ، وقيل : كانت اليهود تزعم أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم فأويسوا فهو كقوله : { فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } [المدثر :

48] ، وتشبث المعتزلة بالآية في نفي الشافعة للعصاة مردود لأن المنفي شفاعة الكفار وقد قال عليه السلام شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي من كذب بها لم ينلها .

{ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ } [البقرة : 48] أي فدية لأنها معادلة للمفدي.

{ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة : 48] يعاونون وجمع لدلالة النفس المنكرة على النفوس الكثيرة ، وذكّر لمعنى العباد أو الأناسي.

{ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ } [البقرة : 49] أصل آل أهل ولذلك يصغر بأهيل فأبدلت هاؤه ألفاً وخص استعماله بأولى الخطر كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الإسكاف والحجام ، وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس.

{ يَسُومُونَكُمْ } حال من آل فرعون أي يولونكم من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً ، وأصله من سام السلعة إذا طلبها كأنها بمعنى يبغونكم { سُواءَ الْعَذَابِ } [غافر : 45] ويريدونكم عليه ومساومة البيع مزيدة أو مطالبة ، وسوء مفعول ثانٍ لـ " يسومونكم " وهو مصدر سيىء.

يقال : أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ، ومعنى سوء العذاب ، والعذاب كله سيىء أشده وأفظعه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 86

{ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ } [البقرة : 49] بيان لقوله

88

(63/1)

يسومونكم ولذا ترك العاطف { وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ } [البقرة : 49] يتركون بناتكم أحياء للخدمة ، وإنما فعلوا بهم ذلك لأن الكهنة أنذروا فرعون بأنه يولد مولود يزول ملكه بسببه كما أنذروا نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله { وَفِى ذَالِكُم بَلاءٌ } [البقرة : 49] محنة إن أشير بذلكم إلى صنع فرعون ، ونعمة إن أشير به إلى الانتجاء.

{ مِّن رَّبِّكُمْ } [آل عمران : 49] ، صفة لـ " بلاء " { عَظِيمٌ } صفة ثانية.

{ وَإِذْ فَرَقْنَا } [البقرة : 50] فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم.

وقرىء فرّقنا أي فصلنا يقال : فرق بين الشيئين وفرّق بين الأشياء لأن المسالك كانت اثني عشر على عدد الأسباط.

{ بِكُمُ الْبَحْرَ } [البقرة : 50] كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكأنما فرق بهم ، أو فرقناه بسببكم ، أو فرقناه ملتبساً بكم فيكون في موضع الحال.

روي أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام : أين أصحابنا فنحن لا نرضى حتى نراهم ، فأوحى

الله إليه أن قل بعصاك هكذا ، فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم.
{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَآ } [البقرة : 50] إلى ذلك وتشاهدونه ولا تشكون فيه.
وإنما قال { وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى } [البقرة : 51] لأن الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء للميقات إلى الطور.
وعدنا حيث كان بصري.
لما دخل بنو إسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون إليه ، وعد الله تعالى موسى أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة ، وقال { أَرْبَعِينَ لَيْلَةً } [البقرة : 51] لأن الشهور غررها بالليالي وأربعين مفعول ثانٍ لـ " واعدنا لا ظرف لأنه ليس معناه واعدناه في أربعين ليلة { ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ } [البقرة : 51] أي إلها فحذف المفعول الثاني لـ " اتخذتم " ، وبابه بالإظهار مكي وحفص { مِن بَعْدِهِ } [الأحزاب : 53] من بعد ذهابه إلى الطور ، { وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ } [البقرة : 51] أي بوضعكم العبادة غير موضعها والجملة حال أي عبدتموه ظالمين.
{ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم } [البقرة : 52] محونا ذنبوكم عنكم.
{ مِّن بَعْدِ ذَالِكَ } [يوسف : 48] من بعد اتخاذكم العجل.
{ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة : 52] لكي تشكروا النعمة في العفو عنكم.
89
{ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ } [البقرة : 53] يعني الجامع بين كونه كتاباً منزلاً وفرقاناً يفرق بين الحق والباطل وهو التوراة ونظيره " رأيت الغيث والليث " تريد الرجل الجامع بين الجود والجرأة.
أو التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والإيمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات ، أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام.
وقيل : الفرقان انفلاق البحر أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه { لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [البقرة : 53] لكي تهتدوا.
جزء : 1 رقم الصفحة : 86
{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ } [إبراهيم : 6] للذين عبدوا العجل.
{ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ } معبوداً { فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ } [البقرة : 54] هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت.
وفيه تقريع لما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم إبرياء من التفاوت إلى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة والبلادة { فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ } [البقرة : 54] قيل : هو على الظاهر وهو البخع.
وقيل : معناه قتل بعضهم بعضاً.
وقيل : أمر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة فقتل سبعون ألفاً.
{ ذالِكُمْ } التوبة والقتل { خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ } [البقرة : 54] من الإصرار على المعصية.
{ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ } [البقرة : 54] المفضال بقبول التوبة وإن كثرت { الرَّحِيمُ } يعفو

الحوبة وإن كبرت.
والفاء الأولى للتسبيب لأن الظلم سبب التوبة ، والثانية للتعقيب لأن المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم إذ الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ، والثالثة متعلقة بشرط محذوف كأنه قال فإن فعلتم فقد تاب عليكم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 90

(64/1)

{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً } عياناً وانتصابها على المصدر كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس ، أو على الحال من نرى أي ذوي جهرة.
{ فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ } [البقرة : 55] أي الموت.
قيل : هي نار جاءت من السماء فأحرقتهم.
روي أن السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام عند الانطلاق إلى الجبل قالوا له : نحن لم نعبد العجل كما عبده هؤلاء فأرنا الله جهرة.
فقال موسى : سألته ذلك فأباه
90
عليّ.
فقالوا : إنك رأيت الله تعالى فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.
فبعث الله عليهم صاعقة فأحرقتهم.
وتعلقت المعتزلة بهذه الآية في نفي الرؤية لأنه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت.
قلنا : إنما عوقبوا بكفرهم لأن قولهم : إنك رأيت الله فلن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة كفر منهم.
ولأنهم امتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة ، والإيمان بالانبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم.
ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد.
{ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ } [البقرة : 50] إليها حين نزلت.
{ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم } [البقرة : 56] أحييناكم وأصله الإثارة { مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة : 56] نعمة البعث بعد الموت.
{ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ } [البقرة : 57] جعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا

تبلى { وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ } [البقرة : 57] الترنجبين وكان ينزل عليهم مثل الثلج من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع.

{ وَالسَّلْوَى } كان يبعث الله عليهم الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه.

وقلنا لهم { كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ } [البقرة : 57] لذيذات أو حلالات { مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا } [البقرة : 57] يعني فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا { وَلَـاكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [البقرة : 57] أنفسهم مفعول يظلمون وهو خبر " كان " .

{ وَإِذْ قُلْنَا } [البقرة : 58] لهم بعدما خرجوا من التيه.

{ ادْخُلُوا هَاذِهِ الْقَرْيَةَ } [البقرة : 58] أي بيت المقدس أو أريحاء.

والقرية المجتمع من قريت لأنها تجمع الخلق ، أمروا بدخولها بعد التيه.

{ فَكُلُوا مِنْهَا } [البقرة : 58] من طعام القرية وثمارها.

{ حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا } [البقرة : 58] واسعاً { وَادْخُلُوا الْبَابَ } [الأعراف : 161] باب القرية أو باب القبة التي كانوا يصلون إليها ، وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وإنما دخلوا الباب في حياته ودخلوا بيت المقدس بعده.

{ سُجَّدًا } .

حال وهو جمع ساجد ، أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى

91

(65/1)

الباب شكراً لله تعالى وتواضعاً له.

{ وَقُولُوا حِطَّةٌ } [البقرة : 58] فعلة من الحط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف أي مسألتنا حطة أو أمرك حطة ، والأصل النصب وقد قرىء به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة ، وإنما رفعت لتعطي معنى الثبات.

وقيل : أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونستقر فيها.

وعن عليّ رضي الله عنه : وهو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

وعن عكرمة : هو لا إله إلا الله.

{ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ } [البقرة : 58] جمع خطيئة وهي الذنب.

" يغفر " : مدني تغفر : شامي.

{ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة : 58] أي من كان محسناً منكم.
كانت تلك الكلمة سبباً في زيادة ثوابه ومن كان مسيئاً كانت له توبة ومغفرة.
{ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ } [البقرة : 59] فيه حذف وتقديره فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الذي قيل لهم ، فـ " بدل " يتعدى إلى مفعول واحد بنفسه وإلى آخر بالباء ، فالذي مع الباء متروك والذي بغير باء موجود ، يعني وضعوا مكان حطة قولاً غيرها أي أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا أمر الله.
وقيل : قالوا مكان حطة حنطة.
وقيل : قالوا بالنبطية حطاً سمقاثا أي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولاً عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا.
{ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا } [البقرة : 59] عذاباً.
وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح أمرهم وإيذان بإنزال الرجز عليهم لظلمهم.
{ مِّنَ السَّمَآءِ } [الشعراء : 4] صفة لرجز { بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [البقرة : 59] بسبب فسقهم.
روي أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفاً وقيل سبعون ألفاً.

{ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ } [البقرة : 60] موضع إذ نصب كأنه قيل : واذكروا إذا

استسقى أي استدعي أن يسقي قومه.
{ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ } [البقرة : 60] عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر.
واللام للعهد والإشارة إلى حجر معلوم ، فقد روي أنه حجر طوري حمله معه وكان مربعاً له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر إثنا عشر ميلاً ، أو للجنس أي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر ، وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة.
{ فَانفَجَرَتْ } الفاء متعلقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت أي سالت بكثرة ، أو فإن ضربت فقد انفجرت وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلا في كلام بليغ.
{ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا } [البقرة : 60] على عدد الأسباط وقرىء بكسر الشين وفتحها وهما لغتان ، وعيناً تمييز.
{ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ } [البقرة : 60] كل سبط { مَّشْرَبَهُمْ } عينهم التي يشربون منها.
وقلنا لهم { كُلُوا } من المن والسلوى.
{ وَاشْرَبُوا } من ماء العيون.
{ مِن رِّزْقِ اللَّهِ } [البقرة : 60] أي الكل مما رزقكم الله.

جزء : 1 رقم الصفحة : 92
{ وَلا تَعْثَوْا فِى الارْضِ } [البقرة : 60] لا تفسدوا فيها.
والعيث أشد الفساد { مُفْسِدِينَ } حال مؤكدة أي لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لأنهم كانوا متمادين فيه.
{ وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ } هو ما رزقوا في التيه من المن والسلوى.
وإنما قالوا على طعام واحد وهما طعامان لأنهم أرادوا بالواحد ما لا يتبدل ، ولو كان على مائدة الرجل ألوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها يقال لا يأكل فلان إلا طعاماً واحداً ويراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف.
أو أرادوا أنهما ضرب واحد لأنهما معاً من طعام أهل التلذذ والترف وكانوا من أهل الزراعات فأرادوا ما ألفوا من البقول والحبوب وغير ذلك { فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ } [البقرة : 61] سله وقل له أخرج لنا { يُخْرِجْ لَنَا } [البقرة : 61] يظهر لنا ويوجد { مِمَّا تُنبِتُ الارْضُ مِن بَقْلِهَا } [البقرة : 61] هو ما أنبتته الأرض من
93

(66/1)

الخضر والمراد به أطايب البقول كالنعناع والكرفس والكراث ونحوهما مما يأكل الناس.
{ وَقِثَّآئِهَا } يعني الخيار { وَفُومِهَا } هو الحنطة أو الثوم لقراءة ابن مسعود وثومها { وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى } [البقرة : 61] أقرب منزلة وأدون مقداراً والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار { بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ } [البقرة : 61] أرفع وأجل.
{ اهْبِطُوا مِصْرًا } [البقرة : 61] من الأمصار أي انحدروا إليه من التيه.
وبلاد التيه ما بين بيت المقدس إلى قنّسرين وهي اثنا عشر فرسخاً في ثمانية فراسخ ، أو مصر فرعون.
وإنما صرفه من وجود السببين وهما التأنيث والتعريف لإرادة البلد ، أو لسكون وسطه كنوح ولوط وفيهما العجمة والتعريف { فَإِنَّ لَكُم } [البقرة : 61] فيها { مَّا سَأَلْتُمْ } [البقرة : 61] أي فإن الذي سألتم يكون في الأمصار لا في التيه.
{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ } [البقرة : 61] أي الهوان والفقر يعني جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه ، أو ألصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه.
فاليهود صاغرون أذلاء أهل مسكنة وفقر إما على الحقيقة وإما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة أن

تضاعف عليهم الجزية.
عليهم الذلة : حمزة وعلي وكذا كل ما كان قبل الهاء ياء ساكنة وبكسر الهاء والميم : أبو عمرو.
وبكسر الهاء وضم الميم : غيرهم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 92
{ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ } [البقرة : 61] من قولك " باء فلان بفلان " إذا كان حقيقاً بأن يقتل به لمساواته له.
أي صاروا أحقاء بغضبه.
وعن الكسائي حفوا { ذَالِكَ } إشارة إلى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلافة بالغضب.
{ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّانَ } [البقرة : 61] بالهمزة : نافع وكذا بابه.
أي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء.
وقد قتلت اليهود شعياء وزكريا ويحيى صلوات الله عليهم.
والنبي من النبإ لأنه يخبر عن الله تعالى " فعيل " بمعنى " مفعل " أو بمعنى " مفعل " .
أو من نبا أي ارتفع ، والنبوة المكان المرتفع.
{ بِغَيْرِ الْحَقّ } [الشورى : 42] عندهم أيضاً فإنهم لو أنصفوا لم يذكروا شيئاً يستحقون به القتل عندهم في التوراة.
وهو في محل النصب على الحال من الضمير في يقتلون أي يقتلونهم مبطلين { ذَالِكَ } تكرار للإشارة.
{ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ } [البقرة : 61] بسبب ارتكابهم أنواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء.
وقيل : هو اعتداؤهم في السبت.
ويجوز أن يشار بذلك إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم
94
فجسروا على جحود الآيات وقتلهم الأنبياء ، أو ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا.
جزء : 1 رقم الصفحة : 92
{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [النساء : 137] بألسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون.
{ وَالَّذِينَ هَادُوا } [المائدة : 69] تهودوا يقال هاد يهود وتهود إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود.
{ وَالنَّصَارَى } جمع نصران كندمان وندامى يقال رجل نصران وامرأة نصرانة.
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في " أحمري " سموا نصارى لأنهم نصروا المسيح.
{ وَالصَّابِئِينَ } الخارجين من دين مشهور إلى غيره من صبأ إذا خرج من الدين ، وهم قوم عدلوا عن

دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة.
وقيل : هم يقرؤون الزبور.
{ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ } [البقرة : 62] من هؤلاء الكفرة إيماناً خالصاً { وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ } [البقرة : 62] ثوابهم { عِندَ رَبِّهِمْ } [فاطر : 39] في الآخرة { وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 62] ومحل من آمن الرفع إن جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم ، والنصب إن جعلته بدلاً من اسم إن والمعطوف عليه.
فخبر إن في الوجه الأول الجملة كما هي ، وفي الثاني فلهم والفاء لتضمن من معنى الشرط.
جزء : 1 رقم الصفحة : 95

(67/1)

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ } [البقرة : 84] بقبول ما في التوراة.
{ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ } [البقرة : 63] أي الجبل حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق.
وذلك أن موسى عليه السلام جاءهم بالألواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وأبوا قبولها ، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام فقلع الطور من أصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى : إن قبلتم وإلا ألقي عليكم حتى قبلوا وقلنا لكم.
{ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَاكُم } [البقرة : 63] من الكتاب أي التوراة { بِقُوَّةٍ } بجدٍ وعزيمة { وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ } [البقرة : 63] واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة : 21] رجاء منكم أن تكونوا متقين.
ثمّ تولّيتم } ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به.
{ مِّن بَعْدِ ذَالِكَ } [يوسف : 48] من بعد القبول { فَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ } [البقرة : 64] بتأخير العذاب عنكم أو بتوفيقكم
95
للتوبة.
{ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ } [البقرة : 64] الهالكين في العذاب.
{ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ } [البقرة : 65] عرفتم فيتعدى إلى مفعول واحد { الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى السَّبْتِ } [البقرة : 65] هو مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت.
وقد اعتدوا فيه أي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد.
وذلك أن الله تعالى نهاهم أن يصيدوا في السبت ثم ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت ، فإذا مضى تفرقت فحفروا حياضاً عند البحر وشرعوا إليها الجداول ، فكانت

الحيتان تدخلها يوم السبت لأمنها من الصيد فكانوا يسدون مشارعها من البحر فيصطادونها يوم الأحد ، فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم.

{ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا } [البقرة : 65] بتكويننا إياكم { قِرَدَةً خَاسِئِينَ } [البقرة : 65] خبر كان أي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغاروالطرد.

يعني المسخة { نَكَالا } عبرة تنكل من اعتبر بها أن تمنعه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 95

{ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا } [البقرة : 66] لما قبلها.

{ وَمَا خَلْفَهَا } [البقرة : 66] وما بعدها من الأمم والقرون لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين.

{ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } [البقرة : 66] الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم أو لكل متقٍ سمعها.

{ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ } [إبراهيم : 6] أي واذكروا إذ قال موسى ، وهو معطوف على نعمتي في قوله { اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 40] (البقرة : 04) كأنه قال : اذكروا ذاك واذكروا إذ قال موسى.

وكذلك هذا في الظروف التي مضت أي اذكروا نعمتي ، واذكروا وقت إنجائنا إياكم ، واذكروا وقت فرقنا ، واذكروا نعمتي ، واذكروا وقت استسقاء موسى ربه لقومه.

والظروف التي تأتي إلى قوله { سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } (البقرة ؛ 421).

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن } [النساء : 58] أي بأن { تَذْبَحُوا بَقَرَةً } [البقرة : 67] قال المفسرون : أول القصة مؤخر في التلاوة وهو قوله تعالى وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها .

وذلك أن

96

رجلاً موسراً اسمه " عاميل " قتله بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله.

{ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا } [البقرة : 67] أتجعلنا مكان هزء أو أهل هزء أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء.

هزأً بسكون الزاي والهمزة : حمزة ، وبضمتين والواو : حفص.

غيرهما بالتثقيل والهمزة.

{ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ } [البقرة : 67] العياذ واللياذ من وادٍ واحد.

{ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } [البقرة : 67] لأن الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه ، وفيه تعريض بهم أي أنتم جاهلون حيث نسبتموني إلى الاستهزاء.

جزء : 1 رقم الصفحة : 95

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ } [البقرة : 68] سؤال عن حالها وصفتها لأنهم كانوا عالمين بماهيتها ، لأن " ما " وإن كانت سؤالاً عن الجنس ، و " كيف " عن الوصف ولكن قد تقع " ما " موقع " كيف " ، وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشان ، وما هي خبر ومبتدأ.

{ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ } [البقرة : 68] مسنة ، وسميت فارضاً لأنها فرضت سنها أي قطعتها وبلغت آخرها.

وارتفع فارض لأنه صفة لـ " بقرة " ، وقوله : { وَلا بِكْرٌ } [البقرة : 68] فتية عطف عليه.

{ عَوَانٌ } نصف.

{ بَيْنَ ذَالِكَ } [النساء : 150] بين الفارض والبكر ، ولم يقل بين ذينك مع أن " بين " يقتضي شيئين فصاعداً لأنه أراد بين هذا المذكور ، وقد يجري الضمير مجرى اسم الإشارة في هذا ، قال أبو عبيدة : قلت لرؤبة في قوله :

فيها خطوط من سواد وبلق

كأنه في الجلد توليع البهق

إن أردت الخطوط فقل كأنها.

وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما ، فقال : أردت كأن ذاك.

{ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ } [البقرة : 68] أي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به ، أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمير.

97

{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا } [البقرة : 69] موضع ما رفع لأن معناه الاستفهام تقديره : ادع لنا ربك يبين لنا أي شيء لونها.

{ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا } [البقرة : 69] الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال في التوكيد أصفر فاقع ، وهو توكيد لصفراء وليس خبراً عن اللون إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل ، ولا فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها ، وفي ذكر اللون فائدة التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده { تَسُرُّ النَّاظِرِينَ } [البقرة : 69] لحسنها.

والسرور لذة في القلب عند حصول نفع أو توقعه.

عن علي رضي الله عنه : من لبس نعلاً صفراء قل همه لقوله تعالى : تسر الناظرين ، { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ } [البقرة : 68] تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا

بياناً لوصفها ، وعن النبي عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم { إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا } [البقرة : 70] إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا { وَإِنَّآ إِن شَآءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } [البقرة : 70] إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل ، وإن شاء الله اعتراض بين اسم " إن " وخبرها.

وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد " أي لو لم يقولوا إن شاء الله { قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الارْضَ } [البقرة : 71] لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول ، يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض { وَلا تَسْقِى الْحَرْثَ } [البقرة : 71] ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروق ، و " لا " الأولى نافية والثانية مزيدة لتوكيد

(69/1)

الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير الأرض أي تقلبها للزراعة وتسقي الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية { مُسَلَّمَةٌ } عن العيوب وآثار العمل.

{ لا شِيَةَ فِيهَا } [البقرة : 71] لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها ، وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية إذا خلط بلونه لون آخر.

{ قَالُوا الْـَٰـَٔانَ جِئْتَ بِالْحَقِّ } [البقرة : 71] أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي إشكال في أمرها ، جئت وبابه بغير همز : أبو عمرو { فَذَبَحُوهَا } فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف كلها فذبحوها { وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ } [البقرة : 71] لغلاء ثمنها أو خوف الفضيحة في ظهور القاتل ، روي أنه كان في بني إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال : اللهم إني استودعتكها لإبني حتى يكبر وكان براً بوالديه.

فشبت البقرة وكانت من أحسن البقر وأسمنه ، فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير ، وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة ، وهذا البيان من قبيل تقييد المطلق فكان نسخاً والنسخ قبل الفعل جائز وكذا قبل التمكن منه عندنا خلافاً للمعتزلة.

{ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا } [البقرة : 72] بتقدير " واذكروا " ، خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم.

{ فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا } [البقرة : 72] فاختلفتم واختصمتم في شأنها لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي يدفع ، أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فيدفع المطروح عليه الطارح ، أو لأن الطرح في نفسه دفع ، وأصاله تدارأتم ثم أرادوا التخفيف فقلبوا التاء دالاً لتصير من جنس الدال التي هي فاء الكلمة ليمكن الإدغام ، ثم سكنوا الدال إذ شرط الإدغام أن يكون الأول ساكناً وزيدت همزة الوصل لأنه لا يمكن الابتداء بالساكن ، فاداراتم بغير همز : أبو عمر.

{ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ } [البقرة : 72] مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوماً ، وأعمل مخرج على حكاية ما كان مستقبلاً في وقت التدارؤ ، وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم.

99

جزء : 1 رقم الصفحة : 97

(70/1)

{ فَقُلْنَا } والضمير في { اضْرِبُوهُ } يرجع إلى النفس ، والتذكير بتأويل الشخص والإنسان ، أو إلى القتيل لما دل عليه ما كنتم تكتمون.

{ بِبَعْضِهَا } ببعض البقرة وهو لسانها أو فخذها اليمنى أو عجبها ، والمعنى فضربوه فحيى فحذف ذلك لدلالة { كَذَالِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى } [البقرة : 73] عليه.

روي أنهم لما ضربوه قام بإذن الله تعالى وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتاً فأخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك ، وقوله كذلك يحيي الله الموتى إما أن يكون خطاباً للمنكرين في زمن النبي عليه السلام ، وإما أن يكون خطاباً للذين حضروا حياة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة.

{ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ } [غافر : 81] دلائله على أنه قادر على كل شيء { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [البقرة : 73] فتعملون على قضية عقولكم وهي أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء جميعها لعدم الاختصاص ، والحكمة في ذبح البقرة وضربه ببعضها وإن قدر على إحيائه بلا واسطة التقرب به ، الإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب والتعليم لعباده ترك التشديد في الأمور والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال وغير ذلك.

وقيل : إنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم لأنها أفضل قرابينهم ، ولعبادتهم العجل فأراد الله تعالى أن يهون معبودهم عندهم ، وكان ينبغي أن يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الأمر بذبحها وأن يقال : وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها ، ولكنه تعالى إنما قص قصص بني إسرائيل تعديداً لما وجد منهم من الجنايات وتقريعاً لهم عليها ، وهاتان القصتان وإن كانتا متصلتين فتستقل كل واحدة منهما بنوع من التقريع.

فالأولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة إلى الامتثال وما يتبع ذلك ، والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما تبعه من الآية العظيمة.

وإنما قدمت قصة الأمر بذبح البقرة على ذكر القتيل لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب المراد في تثنية التقريع ، ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها إن

وصلت بالأولى بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها ليعلم أنهما قصتان فيما يرجع إلى التقريع وقصة واحدة بالضمير الراجع إلى البقرة.
وقيل : هذه القصة تشير إلى أن من أراد إحياء قلبه بالمشاهدات فليمت نفسه بأنواع المجاهدات.
100
جزء : 1 رقم الصفحة : 100

(71/1)

ومعنى { ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم } [البقرة : 74] استبعاد القسوة { مِّن بَعْدِ } [يونس : 3] ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها.
وصفة القلوب بالقسوة مثل لنبوها عن الاعتبار والاتعاظ.
من بعد { ذَالِكَ } إشارة إلى إحياء القتيل أو إلى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة { فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ } [البقرة : 74] فهي في قسوتها مثل الحجارة { أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً } [البقرة : 74] منها.
وأشد معطوف على الكاف تقديره أو مثل أشد قسوة ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.
أو هي في أنفسها أشد قسوة.
يعني أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بجوهر أقسى منها وهو الحديد مثلاً ، أو من عرفها شبهها بالحجارة أو قال هي أقسى من الحجارة.
وإنما لم يقل أقسى لكونه أبين وأدل على فرط القسوة.
وترك ضمير المفضل عليه لعدم الإلباس كقولك " زيد كريم وعمرو أكرم " .
{ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ } [البقرة : 74] بيان لزيادة قسوة قلوبهم على الحجارة { لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الانْهَارُ } [البقرة : 74] ما بمعنى " الذي " في موضع النصب وهو اسم " إن " واللام للتوكيد.
والتفجر التفتح بالسعة والكثرة.
{ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ } [البقرة : 74] أصله يتشقق وبه قرأ الأعمش فقلبت التاء شيناً وأدغمت { فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ } [البقرة : 74] يعني أن من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير ، ومنها ما ينشق انشقاقاً بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضاً وقلوبهم لا تندى.
{ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ } [البقرة : 74] يتردى من أعلى الجبل { مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } [الحشر : 21] قيل : هو مجاز عن انقيادها لأمر الله وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها ، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به.
وقيل : المراد به حقيقة الخشية على معنى أنه يخلق فيها الحياة والتمييز.
وليس شرط خلق الحياة والتمييز في الجسم أن يكون على بنية مخصوصة عند أهل السنة وعلى هذا

قوله : { لَوْ أَنزَلْنَا هَاذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ } [الحشر : 21] (الحشر : 12) ، الآية.
يعني وقلوبهم لا تخشى.
{ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 74] وبالياء مكي وهو وعيد.
جزء : 1 رقم الصفحة : 100
{ أَفَتَطْمَعُونَ } الخطاب لرسول الله والمؤمنين.
{ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ } [البقرة : 75] أن يؤمنوا لأجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله تعالى : { فَاَامَنَ لَهُ لُوطٌ } [العنكبوت : 26] (العنكبوت : 62) ، يعني اليهود.
{ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ } [البقرة : 75] طائفة فيمن سلف منهم.
{ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ } [البقرة : 75] أي التوراة.
{ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ } [البقرة : 75] كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآية الرجم.
{ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم.
{ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة : 75] أنهم كاذبون مفترون.
والمعنى إن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك.
جزء : 1 رقم الصفحة : 102

(72/1)

{ وَإِذَا لَقُوا } [البقرة : 14] أي المنافقون أو اليهود.
{ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [محمد : 3] أي المخلصون من أصحاب محمد عليه السلام.
{ قَالُوا } أي المنافقون { مِّنْ } بأنكم على الحق وأن محمداً هو الرسول المبشر به.
{ وَإِذَا خَلا بَعْضُهُمْ } [البقرة : 76] الذين لم ينافقوا { إِلَى بَعْضٍ } [التحريم : 3] إلى الذين نافقوا { قَالُوا } عاتبين عليهم { أَتُحَدِّثُونَهُم } أتخبرون أصحاب محمد عليه السلام { بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 76] بما بين الله لكم في التوراة من صفة محمد عليه السلام { لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ } [البقرة : 76] ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه ، جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله ، ألا تراك تقول هو في كتاب الله تعالى هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد؟ وقيل : هذا على إضمار المضاف أي عند كتاب ربكم.
وقيل : ليجادلوكم ويخاصموكم به بما قلتم لهم عند ربكم في الآخرة يقولون كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه.

{ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [البقرة : 44] أن هذه حجة عليكم حيث تعترفون به ثم لا تتابعون

{ أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ } [البقرة : 77] جميع { مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } [البقرة : 77] ومن ذلك إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان.
{ وَمِنْهُمْ } ومن اليهود { أُمِّيُّونَ } لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها { لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ } [البقرة : 78] التوراة { إِلا أَمَانِيَّ } [البقرة : 78] إلا ما هم عليه من أمانيهم وأن الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا تمسهم النار إلا أياماً معدودة ، أو إلا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما تمنيت منذ أسلمت ، أو إلا ما يقرؤون من قوله :
جزء : 1 رقم الصفحة : 102
تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخرها لا في حمام المقادر
أي لا يعلمون هؤلاء حقيقة المنزل وإنما يقرؤون أشياء أخذوها من أحبارهم.
والاستثناء منقطع.
{ وَإِنْ هُمْ } [الأنعام : 116] وما هم { إِلا يَظُنُّونَ } [البقرة : 78] لا يدرون ما فيه فيجحدون نبوتك بالظن.
ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم العوام الذين قلدوهم { فَوَيْلٌ } في الحديث ويل واد في جهنم { لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ } [البقرة : 79] المحرف { بِأَيْدِيهِمْ } من تلقاء أنفسهم من غير أن يكون منزلاً.
وذكر الأيدي للتأكيد وهو من مجاز التأكيد { ثُمَّ يَقُولُونَ هَاذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا } [البقرة : 79] عوضاً يسيراً.
{ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ } [البقرة : 79] من الرشا.
{ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً } [البقرة : 80] أربعين يوماً عدد أيام

عبادة العجل.
وعن مجاهد رضي الله عنه : كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوماً.
{ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا } [البقرة : 80] أي عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار { فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ } [البقرة : 80] متعلق بمحذوف تقديره إن اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده { أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 80] أم إما أن تكون معادلة أي أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون ، أو منقطعة أي بل أتقولون على الله ما لا تعلمون.

{ بَلَى } إثبات لما بعد النفي وهو لن تمسنا النار أي بلى تمسكم أبداً بدليل قوله هم فيها خالدون { مَن كَسَبَ سَيِّئَةً } [البقرة : 81] شركاً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم { وَأَحَاطَتْ بِهِ } وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه ، فأما إذا مات مؤمناً فأعظم الطاعات وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطاً به فلا يتناوله النص ، وبهذا التأويل يبطل تشبث المعتزلة والخوارج.

وقيل : استولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفصّ عنها بالتوبة ، خطياته مدني.

{ خَطِيائَتُهُ فَأُوالَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : 81].

جزء : 1 رقم الصفحة : 102

(73/1)

{ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوالَائِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِى إِسْرَاءِيلَ } الميثاق العهد المؤكد غاية التأكيد { لا تَعْبُدُونَ إِلا اللَّهَ } [البقرة : 83] إخبار في معنى النهي كما تقول تذهب إلى فلان تقول له كذا تريد الأمر.

وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي لأنه كأنه سورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه ، وتنصره قراءة أبيّ لا تعبدوا ، وقوله وقولوا والقول مضمر.

لا يعبدون : مكي وحمزة وعلي لأن بني إسرائيل اسم ظاهر والأسماء الظاهرة كلها غيب.

ومعناه

104

أن لا يعبدوا فلما حذفت " أن " رفع.

{ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء : 23] أي وأحسنوا ليلتئم عطف الأمر وهو قوله وقولوا عليه.

{ وَذِى الْقُرْبَى } [البقرة : 83] القرابة { وَالْيَتَامَى } جمع يتيم وهو الذي فقد أباه قبل الحلم إلى الحلم لقوله عليه السلام لا يتم بعد البلوغ

جزء : 1 رقم الصفحة : 104

{ وَالْمَسَاكِينَ } جمع مسكين وهو الذي أسكنته الحاجة.

{ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } [البقرة : 83] قولاً هو حسن في نفسه لإفراط حسنه.

حسناً : حمزة وعلي.

{ وَأَقِيمُوا الصَّلَواةَ وَءَاتُوا الزكاة ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ } عن الميثاق ورفضتموه { إِلا قَلِيلا مِّنكُمْ } [البقرة : 83] قيل : هم الذين أسلموا منهم { وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ } [البقرة : 83] وأنتم قوم عادتكم الإعراض والتولية ، عن المواثيق.

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ } [البقرة : 84] أي لا يفعل ذلك بعضكم ببعض.

جعل غير الرجل نفسه إذ اتصل به أصلاً أو ديناً.

وقيل : إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لأنه يقتص منه { ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ } [البقرة : 84] بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه { وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ } [البقرة : 84] عليها كما تقول : فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها.

أو وأنتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق { ثُمَّ أَنتُمْ هؤلاء } [البقرة : 85] استبعاد لما أسند إليهم من القتل والإجلاء والعدوان بعد أخذ الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم.

أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى " الذين " { تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ } [البقرة : 85] صلة هؤلاء .

وهؤلاء مع صلته خبراً أنتم { وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ } [البقرة : 85] غير مراقبين ميثاق الله { تَظَـاهَرُونَ عَلَيْهِم } [البقرة : 85] بالتخفيف كوفي أي تتعاونون.

وبالتشديد غيرهم.

فمن خفف فقد حذف إحدى التائين.

ثم قيل ؛ هي الثانية لأن الثقل بها.

وقيل : الأولى.

ومن شدد قلب التاء الثانية ظاء وأدغم.

{ بِالاثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [البقرة : 85] بالمعصية والظلم.

{ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ } [البقرة : 85] تفدوهم " : أبو عمرو.

أسرى تفدوهم مكي وشامي.

أسرى تفدوهم : حمزة أسارى تفادوهم : علي.

فدى وفادى بمعنى.

وأسارى حال وهو جمع أسير وكذلك أسرى.

والضمير في { وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 85] للشأن أو هو ضمير مبهم تفسيره { إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ } [البقرة : 85] بفداء الأسرى.

{ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ } [البقرة : 85] بالقتال والإجلاء.

قال السدي : أخذ الله عليكم أربعة عهود ترك القتل وترك الإخراج وترك المظاهرة وفداء الأسير فأعرضوا عن كل ما أمروا به إلا الفداء.

{ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَالِكَ } [البقرة : 85] هو إشارة إلى الإيمان ببعض والكفر ببعض { مِنكُمْ إِلا خِزْىٌ } [البقرة : 85] فضيحة وهوان { فِي الْحَيَواةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ } وهو الذي لا روح فيه ولا فرح أو إلى أشد من عذاب الدنيا { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 74]

بالياء مكي ونافع وأبو بكر.
جزء : 1 رقم الصفحة : 104

(74/1)

{ أُوالَـائِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَواةَ الدُّنْيَا بِالاخِرَةِ } [البقرة : 86] اختاروها على الآخرة اختيار المشتري { فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة : 86] ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم.
{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ } [هود : 110] التوراة.
أتاه جملة { وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ } [البقرة : 87] يقال : قفاه إذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به إذا أتبعه إياه.
يعني وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعياء وأرمياء وعزير وحزقيل وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم.
صلوات
106
الله عليهم { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 106
البقرة : 87] هي بمعنى الخادم ، ووزن مريم عند النحويين " مفعل " لأن " فعيلاً " لم يثبت في الأبنية ، البينات المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص والإخبار بالمغيبات.
{ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ } [البقرة : 87] أي الطهارة وبالسكون حيث كان : مكي.
أي بالروح المقدسة كما يقال " حاتم الجود " ووصفها بالقدس للاختصاص والتقريب.
أو بجبريل عليه السلام لأنه يأتي بما فيه حياة القلوب ، وذلك لأنه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله.
أو بالإنجيل كما قال في القرآن { رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا } [الشورى : 52] (الشورى : 25) ، أو باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره.
{ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُ بِمَا لا تَهْوَى } [البقرة : 87] تحب { أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ } [البقرة : 87] تعظمتم عن قبوله { فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ } [البقرة : 87] كعيسى ومحمد عليهما السلام { وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } [البقرة : 87] كزكريا ويحيى عليهما السلام.
ولم يقل قتلتم لوفاق الفواصل ، أو لأن المراد وفريقاً تقتلونه بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد عليه السلام لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة.
والمعنى ولقد آتينا يا بني إسرائيل أنبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن

الإيمان به ، فوسط ما بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجب من شأنهم.
{ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفُ } [البقرة : 88] جمع أغلف أي هي خلقة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه ، مستعار من الأغلف الذي لا يختن { بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } [البقرة : 88] فرد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لأنها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ، وإنما طردهم بكفرهم وزيغهم.
{ فَقَلِيلا مَّا يُؤْمِنُونَ } [البقرة : 88] فـ " قليلاً " صفة مصدر محذوف أي فإيماناً قليلاً يؤمنون.
وما مزيدة وهو إيمانهم ببعض الكتاب.
وقيل : القلة بمعنى العدم.
غلف تخفيف غلف وقرىء به جمع غلاف أي قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره ، أو أوعية للعلوم فلو كان ما جئت به حقاً لقبلنا.
{ وَلَمَّا جَآءَهُمْ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 106

(75/1)

الزخرف : 30] أي اليهود { كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ } [البقرة : 89] أي القرآن { مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ } [البقرة : 101] من كتابهم لا يخالفه { وَكَانُوا مِن قَبْلُ } [البقرة : 89] يعني القرآن { يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا } [البقرة : 89] يستنصرون على المشركين إذا قاتلوهم قالوا : اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ، ويقولون لأعدائهم المشركين : قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.
{ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا } [البقرة : 89] ما موصولة أي ما عرفوه وهو فاعل " جاء " .
{ كَفَرُوا بِهِ } [البقرة : 89] بغياً وحسداً وحرصاً على الرياسة.
{ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ } [البقرة : 89] أي عليهم وضعاً للظاهر موضع المضمر للدلالة على أن اللعنة لحقتهم لكفرهم.
واللام للعهد أو للجنس ودخلوا فيه دخولاً أولياً ، وجواب لما الأولى مضمر وهو نحو كذبوا به أو أنكروه ، أو كفروا جواب الأولى والثانية لأن مقتضاهما واحد.
و " ما " في { بِئْسَمَا } نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس أي بئس شيئاً { اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ } [البقرة : 90] أي باعوه والمخصوص بالذم.
{ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ } [البقرة : 90] يعني القرآن.
{ بَغْيًا } مفعول له أي حسداً وطلباً لما ليس لهم ، وهو علة اشتروا { أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ } [البقرة : 90]

لأن ينزل.
أو على أن ينزل أي حسدوه على أن ينزل الله.
{ مِن فَضْلِهِ } [النساء : 32] الذي هو الوحي { عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ } [البقرة : 90] وهو محمد عليه السلام.
{ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ } فصاروا أحقاء بغضب مترادف لأنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه أو كفروا بمحمد بعد عيسى عليهما السلام ، أو بعد قولهم عزيز ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك.
{ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [البقرة : 90] مذل.
" بئسما " وبابه غير مهموز : أبو عمرو.
وينزل بالتخفيف : مكي وبصري.
جزء : 1 رقم الصفحة : 106
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ } [البقرة : 91] لهؤلاء اليهود.
{ بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا } [البقرة : 91] يعني القرآن ، أو مطلق يتناول كل كتاب { قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا } [البقرة : 91] أي التوراة.
{ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُ } [البقرة : 91] أي قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة.
{ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ } [البقرة : 91] غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لأنهم إذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ، ومصدقاً حال مؤكدة.
{ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنابِيَآءَ اللَّهِ } [البقرة : 91] أي فلم قتلتم فوضع
108
المستقبل موضع الماضي ويدل عليه قوله { مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [البقرة : 91] أي من قبل محمد عليه السلام ، اعتراض عليهم بقتلهم الأنبياء مع ادعائهم الإيمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الأنبياء.
قيل : قتلوا في يوم واحد ثلثمائة نبي في بيت المقدس.
جزء : 1 رقم الصفحة : 106
{ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ } بالآيات التسع وأدغم الدال في الجيم حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلي.
{ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ } [البقرة : 51] إلهاً { مِن بَعْدِهِ } [الأحزاب : 53] من بعد خروج موسى عليه السلام إلى الطور.
{ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ } [البقرة : 51] هو حال أي عبدتم العجل وأنتم واضعون العبادة غير موضعها ، أو اعتراض أي وأنتم قوم عادتكم الظلم.
{ بِقُوَّةٍ } كرر ذكر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الأولى.

{ وَاسْمَعُوا } ما أمرتم به في التوراة.
{ قَالُوا سَمِعْنَا } [الأنبياء : 60] قولك { وَعَصَيْنَا } أمرك وطابق قوله جوابهم من حيث إنه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة.
{ وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ } [البقرة : 93] أي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب ، وقوله : في قلوبهم ، بيان لمكان الإشراب والمضاف وهو الحب محذوف.
جزء : 1 رقم الصفحة : 109

(76/1)

{ بِكُفْرِهِمْ } بسبب كفرهم واعتقادهم التشبيه.
{ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ } [البقرة : 93] بالتوراة لأنه ليس في التوراة عبادة العجل ، وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وكذا إضافة الإيمان اليهم.
{ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [البقرة : 91] تشكيك في إيمانهم وقدح في صحة دعواهم له.
{ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الاخِرَةُ } [البقرة : 94] أي الجنة.
{ عِندَ اللَّهِ } [الحجرات : 13] ظرف ، و " لكم " خبر " كان " { خَالِصَةً } حال من الدار الآخرة أي سالمة لكم ليس لأحد سواكم فيها حق يعني إن صح قولكم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً { مِّن دُونِ النَّاسِ } [البقرة : 94]
109
هو للجنس.
{ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : 94] فيما تقولون لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها تخلصاً من الدار ذات الشوائب كما نقل عن العشرة المبشرين بالجنة أن كل واحد منهم كان يحب الموت ويحن إليه.
{ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدَا } [البقرة : 95] هو نصب على الظرف أي لن يتمنوه ما عاشوا { بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ } [الروم : 36] بما أسلفوا من الكفر بمحمد عليه السلام وتحريف كتاب الله وغير ذلك وهو من المعجزات لأنه إخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله { وَلَن تَفْعَلُوا } [البقرة : 24] (البقرة : 42) ، ولو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث.
{ وَاللَّهُ عَلِيمُ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة : 95] تهديد لهم.
{ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ } [البقرة : 96] مفعولاً وجد " هم " و " أحرص " { عَلَى حَيَوةٍ } [البقرة : 96] التنكير يدل على أن المراد حياة مخصوصة وعلى الحياة المتطاولة ولذا كانت القراءة بها أوقع من قراءة " أبي " على الحياة { وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا } [آل عمران : 186] هو محمول على المعنى

لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس ، نعم قد دخل الذين أشركوا تحت الناس ولكنهم أفردوا بالذكر لأن حرصهم شديد كما أن جبريل وميكائيل خصا بالذكر وإن دخلا تحت الملائكة ، أو أريد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه ، وفيه توبيخ عظيم لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحياة الدنيا ، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم فإذا زاد في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقاً بأعظم التوبيخ ، وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار لعلمهم بحالهم والمشركون لا يعلمون ذلك.

وقوله :

جزء : 1 رقم الصفحة : 109

{ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ } [البقرة : 96] بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف.

وقيل : أراد بالذين أشركوا المجوس لأنهم كانوا يقولون لملوكهم عش ألف نيروز.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هو قول الأعاجم زي هزارسال.

وقيل : ومن الذين أشركوا كلام مبتدأ أي ومنهم ناسٌ يود أحدهم على حذف الموصوف ،

110

والذين أشركوا على هذا مشار به إلى اليهود لأنهم قالوا عزيز ابن الله.

والضمير في { وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ } [البقرة : 96] لأحدهم.

وقوله { أَن يُعَمَّرَ } [البقرة : 96] فاعل بمزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه من النار تعميره ، ويجوز أن يكون هو مبهماً وأن يعمر موضحه.

والزحزحة التبعيد والإنحاء.

قال في جامع العلوم وغيره : لو يعمر بمعنى " أن يعمر " ، فـ " لو " هنا نائبة عن " أن " و " أن " مع الفعل في تأويل المصدر وهو مفعول يود أي يود أحدهم تعمير ألف سنة.

{ وَاللَّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ } [البقرة : 96] أي بعمل هؤلاء الكفار فيجازيهم عليه.

وبالتاء : يعقوب.

(77/1)

{ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ } [البقرة : 97] بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز : مكي.

وبفتح الراء والجيم والهمز مشبعاً : كوفي غير حفص.

وبكسر الراء والجيم بلا همز : غيرهم.

ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة ومعناه عبد الله لأن " جبر " هو العبد بالسريانية و " إيل " اسم الله.

روي ان ابن صوريا من أحبار اليهود حاجّ النبي صلى الله عليه وسلّم وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال : جبريل.
فقال : ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مراراً ، وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاماً مسكيناً فدفع عنه جبريل وقال : إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه ، وإن لم يكن إياه فعلى أي ذنب تقتلونه.
{ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ } [البقرة : 97] فإن جبريل نزل القرآن ، ونحو هذا الإضمار ـ أعني إضمار ما لم يسبق ذكره ـ فيه فخامة حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته.
{ عَلَى قَلْبِكَ } [البقرة : 97] أي حفظه إياك.
وخص القلب لأنه محل الحفظ كقوله : { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الامِينُ * عَلَى قَلْبِكَ } (الشعراء : 491) ، وكان حق الكلام أن يقال على قلبي ولكن
111
جاء على حكاية كلام الله كما تكلم به ، وإنما استقام أن يقع فإنه نزله جزاء للشرط لأن تقديره إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتاباً مصدقاً للكتب بين يديه ، فلو أنصفوا لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم.
وقيل : جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدواً لجبريل فليمت غيظاً فإنه نزل الوحي على قلبك { بِإِذْنِ اللَّهِ } [فاطر : 32] بأمره { مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } [البقرة : 97] رد على اليهود حين قالوا إن جبريل ينزل بالحرب والشدة فقيل : فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضاً.
جزء : 1 رقم الصفحة : 109
{ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلااِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ } [البقرة : 98] بصري وحفص.
و " ميكائل " باختلاس الهمزة كـ " ميكاعل " : مدني.
وميكائيل بالمد وكسر الهمزة مشبعة : غيرهم.
وخص الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر إذ التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات.
{ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ } [البقرة : 98] أي لهم فجاء بالظاهر ليدل على أن الله إنما عاداهم لكفرهم ، وأن عداوة الملائكة كفر كعداوة الأنبياء ومن عاداهم عاداه الله
جزء : 1 رقم الصفحة : 112
{ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَات بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلا الْفَاسِقُونَ } [البقرة : 99] المتمردون من الكفرة واللام للجنس والأحسن أن تكون إشارة إلى أهل الكتاب.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم : ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك بها فنزلت الواو في { أَوَكُلَّمَا } الواو للعطف على محذوف

تقديره أكفروا بالآيات البينات.

وكلما { عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ } [البقرة : 100] نقضه ورفضه وقال { فَرِيقٌ مِّنْهُم } [الروم : 33] لأن منهم من لم ينقض { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ } [البقرة : 100] بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنباً ولا يبالون به.

112

{ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ } [البقرة : 101] محمد صلى الله عليه وسلّم { مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [البقرة : 101] أي التوراة والذين أوتوا الكتاب اليهود { كَتَبَ اللَّهُ } [الانفال : 75] يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلّم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها ، أو كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول.

{ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ } [البقرة : 101] مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات إليه { كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ } [البقرة : 101] أنه كتاب الله.

(78/1)

{ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ } [البقرة : 102] أي نبذ اليهود كتاب الله واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها { عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ } [البقرة : 102] أي على عهد ملكه في زمانه ، وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون إلى ما يسمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرأونها ويعلمونها الناس ، وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ؛ إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الجن والإنس والريح.

{ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } [البقرة : 102] تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به { وَلَاكِنَّ الشَّيَاطِينَ } [البقرة : 102] هم الذين { كَفَرُوا } باستعمال السحر وتدوينه.

ولكن بالتخفيف الشياطين بالرفع : شامي وحمزة وعلي.

جزء : 1 رقم الصفحة : 112

{ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } [البقرة : 102] في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم

113

{ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ } [البقرة : 102] الجمهور على أن ما بمعنى " الذي " هو نصب عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أو على ما تتلوا أي واتبعوا ما أنزل على الملكين { بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ } [البقرة : 102] علمان لهما وهما عطف بيان للملكين ، والذي أنزل عليهما

هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً إن كان فيه رد ما لزم في شرط الإيمان ، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه لئلا يغتر به كان مؤمناً ، قال الشيخ أبو منصور الماتريدي رحمه الله : القول بأن السحر على الإطلاق كفر خطأ بل يجب البحث عن حقيقته ، فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلا فلا.

ثم السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الأناث ، وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ويستوي فيه المذكر والمؤنث ، وتقبل توبته إذا تاب.

ومن قال لا تقبل فقد غلط فإن سحرة فرعون قبلت توبتهم.

وقيل : أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل.

قيل : إنهما ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عيرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض ويصعدان بالليل ، فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا فرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة ، فهما يعذبان منكوسين في جب ببابل وسميت ببابل لتبلبل الألسن بها.

{ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ } [البقرة : 102] وما يعلم الملكان أحداً { حَتَّى يَقُولا } [البقرة : 102] حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له { إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ } [البقرة : 102] ابتلاء واختبار من الله.

{ فَلا تَكْفُرْ } [البقرة : 102] بتعلمه والعمل به على وجه يكون كفراً { فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا } [البقرة : 102] الفاء عطف على قوله يعلمون الناس السحر أي يعلمونهم فيتعلمون من السحر والكفر اللذين دل عليهما قوله كفروا و يعلمون الناس السحر أو على مضمر والتقدير : فيأتون فيتعلمون.

والضمير لما دل عليه من أحد أي فيتعلم الناس من الملكين ما يفرّقون به بين المرء وزوجه } أي علم السحر الذي يكون سبباً في التفريق بين الزوجين بأن يحدث الله عنده النشوز والخلاف ابتلاء امنه.

وللسحر حقيقة عند أهل السنة كثرهم الله وعنده المعتزلة هو تخييل وتمويه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 112

{ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ } [البقرة : 102] بالسحر { مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ } [البقرة : 102] بعلمه ومشيئته { وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ } [البقرة : 102] في الآخرة وفيه دليل على أنه واجب الاجتناب كتعلم الفلسفة التي تجر إلى الغواية.

{ وَلَقَدْ عَلِمُوا } [البقرة : 102] أي اليهود { لَمَنِ اشْتَرَاهُ } [البقرة : 102] أي استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله

{ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الاخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ } من نصيب { بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ } باعوها وإنما نفى العلم عنهم بقوله { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [البقرة : 102] مع إثباته لهم بقوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي لأن معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم جعلهم حين لم يعلموا به كأنهم لا يعلمون.

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا } [البقرة : 103] برسول الله والقرآن { وَاتَّقُوا } الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين { لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [البقرة : 103] أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا ، لكنه جهلهم لما تركوا العمل بالعلم والمعنى : لأثيب من عند الله ما هو خير ، وأوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو لما فيها من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها.

ولم يقل لمثوبة الله خير لأن المعنى لشيء من الثواب خير لهم.

وقيل : لو بمعنى التمني كأنه قيل : وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا } كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلّم إذا ألقي عليهم شيئاً من العلم : راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه ، وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أو سريانية وهي " راعينا " ، فلما سمعوا بقول المؤمنين " راعنا " افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهى المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو " انظرنا " من نظره إذا انتظره.

جزء : 1 رقم الصفحة : 112

{ وَاسْمَعُوا } وأحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه وسلّم ويلقي عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة وطلب المراعاة ، أو واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا.

{ وَلِلْكَافِرِينَ } ولليهود الذين سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم { عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة : 104] مؤلم.

115

{ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم } [البقرة : 105] وبالتخفيف : مكي وأبو عمرو.

{ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ } [البقرة : 105] من الأولى للبيان لأن الذين كفروا جنس تحته نوعان : أهل الكتاب والمشركون ، والثانية مزيدة لاستغراق الخير ، والثالثة لابتداء الغاية.

والخير الوحي وكذلك الرحمة.

{ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ } [البقرة : 105] يعني أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم

فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالتوبة من يشاء { وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [البقرة : 105] فيه إشعار بأن إيتاء النبوة من الفضل العظيم ولما طعنوا في النسخ فقالوا : ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً نزل :

جزء : 1 رقم الصفحة : 112

(80/1)

{ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا } [البقرة : 106] تفسير النسخ لغة التبديل ، وشريعة بيان انتهاء الحكم الشرعي المطلق الذي تقرر في أوهامنا استمراره بطريق التراخي فكان تبديلاً في حقنا بياناً محضاً في حق صاحب الشرع.

وفيه جواب عن البداء الذي يدعيه منكروه ـ أعني اليهود ـ ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم في نفسه لم يلحق به ما ينافي النسخ من توقيت أو تأبيد ، ثبت نصاً أو دلالة.

وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافاً للمعتزلة.

وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقاً ومختلفاً ويجوز نسخ التلاوة والحكم ، والحكم دون التلاوة ، والتلاوة دون الحكم ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافاً للشافعي رحمه الله.

والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب أو ننسأها مكي وأبو عمرو أي نؤخرها من نسأت أي أخرت { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ } [البقرة : 106] أي نأت بآية خير منها للعباد أي بآية العمل بها أكثر للثواب.

جزء : 1 رقم الصفحة : 117

{ أَوْ مِثْلِهَآ } [البقرة : 106] في ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على البعض { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 106] أي قادر فهو يقدر على الخير وعلى مثله { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } [البقرة : 107] فهو يملك أموركم ويدبرها وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ.

{ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ } [البقرة : 107] يلي أمركم { وَلا نَصِيرٍ } [البقرة : 107] ناصر يمنعكم من العذاب { أَمْ تُرِيدُونَ } [البقرة : 108] أم منقطعة وتقديره بل أتريدون { أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُاِلَ مُوسَى } [البقرة : 108] روي أن قريشاً قالوا : يا محمد اجعل لنا الصفا ذهباً ووسع لنا أرض مكة فنهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه حين قالوا اجعل لنا إلهاً.

{ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالايمَانِ } [البقرة : 108] ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها

{ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ } [البقرة : 108] قصده ووسطه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 117

{ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم } [البقرة : 109] أن يردوكم { مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا } [البقرة : 109] حال من " كم " أي يردونكم عن دينكم كافرين ، نزلت حين قالت اليهود للمسلمين بعد واقعة أحد : ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق لما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم.

{ حَسَدًا } مفعول له أي لأجل الحسد وهو الأسف على الخير عند الغير { مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِم } [البقرة : 109] يتعلق بـ " ودّ " أي ودوا من عند أنفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لأنهم ودوا ذلك { مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ } [البقرة : 109] أي من بعد علمهم بأنكم على الحق ، أو بحسداً أي حسداً متبالغاً منبعثاً من أصل نفوسهم.

{ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا } [البقرة : 109] فاسلكوا بهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة { حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ } [البقرة : 109] بالقتال { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 20] فهو يقدر على الانتقام منهم.

{ وَأَقِيمُوا الصَّلَواةَ وَءَاتُوا الزكاة وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ } من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرهما { تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ } [البقرة : 110] تجدوا ثوابه عنده { إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة : 110] فلا يضيع عنده عمل عامل.

117

والضمير في { وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى } [البقرة : 111] لأهل الكتاب من اليهود والنصارى أي وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى ، فلفّ بين القولين ثقة بأن السامع يرد إلى كل فريق قوله ، وأمناً من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما صاحبه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَىْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَىْءٍ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 117

البقرة : 113]؟ وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وواحد اسم كان للفظ من ، وجمع الخبر لمعناه.

{ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ } [البقرة : 111] أشير بها إلى الأماني المذكورة وهي أمنيتهم ألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأمنيتهم أن يردوهم كفاراً ، وأمنيتهم أن لا يدخل الجنة غيرهم أي تلك الأماني الباطلة أمانيهم.

والأمنية أفعولة من التمني مثل الأضحوكة.

{ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ } [البقرة : 111] هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة.
وهات بمنزلة هاء بمعنى أحضر وهو متصل بقولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى " وتلك أمانيهم اعتراض.
{ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : 23] في دعواكم.
{ بَلَى } إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة.
{ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ } [البقرة : 112] من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره.
{ وَهُوَ مُحْسِنٌ } [لقمان : 22] مصدق بالقرآن.
{ فَلَهُا أَجْرُهُ } [البقرة : 112] جواب من أسلم .
وهو كلام مبتدأ متضمن لمعنى الشرط وبلى رد لقولهم.
{ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 112].
جزء : 1 رقم الصفحة : 117
{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ } [البقرة : 113] أي على شيء يصح ويعتد به.
والواو في { وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } [البقرة : 113] للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب ، وحق من حمل التوراة والإنجيل وآمن به ألا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق
118
للآخر.
{ كَذَالِكَ } مثل ذلك القول الذي سمعت به { قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 118
البقرة : 113] أي الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ، قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء ، وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم { فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } [البقرة : 113] أي بين اليهود والنصارى بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب اللائق به.
{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } [البقرة : 114] موضع من رفع على الابتداء وهو استفهام وأظلم خبره والمعنى : أي أحد أظلم؟ وأن يذكر ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله { وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالايَاتِ } [الإسراء : 59] (الإسراء : 95).
{ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا } [الإسراء : 94] (الإسراء : 49).
ويجوز أن يحذف حرف الجر مع " أن " أي من أن يذكر وأن تنصبه مفعولاً له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم.
والسبب فيه طرح النصارى في بيت المقدس الأذى ، ومنعهم الناس أن يصلوا فيه ، أو منع

المشركين رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية.
وإنما قيل مساجد الله وكان المنع على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام لأن الحكم ورد عاماً وإن كان السبب خاصاً كقوله تعالى : { وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ } [الهمزة : 1] (الهمزة : 1) والمنزول فيه الأخنس بن شريق.
{ وَسَعَى فِى خَرَابِهَآ } [البقرة : 114] بانقطاع الذكر والمراد بـ من العموم كما أريد العموم بمساجد الله.
{ أُوالَـائِكَ } المانعون { مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ } [البقرة : 114] أي ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله { إِلا خَآئِفِينَ } [البقرة : 114] حال من الضمير في يدخلوها أي على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها.
والمعنى : ما كان الحق إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم.
روي أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً خيفة أن يقتل.
وقال قتادة : لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا بولغ ضرباً.
ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ألا لا يحجن بعد
119

(82/1)

هذا العام مشرك.
وقيل : معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله تعالى : { وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ } [الأحزاب : 53] (الأحزاب : 35) { لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ } [البقرة : 114] قتل وسبي للحربي وذلة بضرب الجزية للذمي { وَلَهُمْ فِى الاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة : 114] أي النار.
جزء : 1 رقم الصفحة : 118
{ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ } [البقرة : 115] أي بلاد المشرق والمغرب كلها له وهو مالكها ومتوليها { فَأَيْنَمَا } شرط { تَوَلُّوْا } مجزوم به أي ففي أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى : { شَطْرَهُ } (البقرة : 441) ، والجواب { فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } [البقرة : 115] أي جهته التي أمر بها ورضيها.
والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها ، فإن التولية ممكنة في كل مكان.
{ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة : 115] أي هو واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده وهو عليم بمصالحهم.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت.
وقيل : عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة ، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا.
هو حجة على الشافعي رحمه الله فيما إذا استدبر.
وقيل : فأينما تولوا للدعاء والذكر.
{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا } [البقرة : 116] يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزيز ابن الله.
قالوا : شامي فإثبات الواو باعتبار أنه قصة معطوفة على ما قبلها ، وحذفه باعتبار أنه استئناف قصة أخرى.
{ سُبْحَانَهُ } تنزيه له عن ذلك وتبعيد { بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } [البقرة : 116] أي هو خالقه ومالكه ومن جملته المسيح وعزيز والولادة تنافي الملك.
{ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ } [البقرة : 116] منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره.
والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما في السموات والأرض ، أو كل من جعلوه لله
120
ولداً له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم.
وجاء بـ ما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون كقوله " سبحان ما سخركن لنا " { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } [الأنعام : 101] أي مخترعهما ومبدعهما لا على مثال سبق.
وكل من فعل ما لم يسبق إليه يقال له أبدعت ولهذا قيل لمن خالف السنة والجماعة مبتدع لأنه يأتي في دين الإسلام ما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 118
{ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا } [البقرة : 117] أي حكم أو قدر { فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [البقرة : 117] هو من " كان " التامة أي أحدث فيحدث وهذا مجاز عن سرعة التكوين وتمثيل ولا قول ثمّ.
وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه فإنما يتكون ، ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه إباء.
وأكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت صفاته مباينة لصفات الأجسام فأنى يتصور التوالد ثمّ.
والوجه الرفع في فيكون وهو قراءة العامة على الاستئناف أي فهو يكون ، أو على العطف على يقول .
ونصبه ابن عامر على لفظ كن لأنه أمر وجواب الأمر بالفاء نصب.
وقلنا : إن كن ليس بأمر حقيقة إذ لا فرق بين أن يقال وإذ قضى أمرا فإنما يكونه فيكون وبين أن يقال فإنما يقول له كن فيكون ، وإذا كان كذلك فلا معنى للنصب.
وهذا لأنه لو كان أمراً فإما أن يخاطب به الموجود والموجود لا يخاطب بـ " كن " أو المعدوم والمعدوم لا يخاطب.

{ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ } [البقرة : 118] من المشركين أو من أهل الكتاب ، ونفى عنهم العلم لأنهم لم يعملوا به { لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ } [البقرة : 118] هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكباراً منهم وعتواً { أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ } [البقرة : 118] جحوداً لأن يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانه بها { كَذَالِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ } أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى { قَدْ بَيَّنَّا الايَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } [البقرة : 118] أي لقوم ينصفون

121

فيوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها { إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا } [البقرة : 119] للمؤمنين بالثواب { وَنَذِيرًا } للكافرين بالعقاب { وَلا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } [البقرة : 119] ولا نسألك عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلّغت وبلغت جهدك في دعوتهم وهو حال كـ " نذيراً " وبشيراً وبالحق أي وغير مسؤول أو مستأنف.

قراءة نافع ولا تسأل على النهي ومعناه ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول : كيف فلان سائلاً عن الواقع في بلية فيقال لك : لا تسأل عنه.

وقيل : نهى الله نبيه عن السؤال عن أحوال الكفرة حين قال ليت شعري ما فعل أبواي.

جزء : 1 رقم الصفحة : 118

{ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ } [البقرة : 120] كأنهم قالوا لن نرضى عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطاً منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام ، فذكر الله عز وجل كلامهم.

{ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ } [البقرة : 120] الذي رضي لعباده { هُوَ الْهُدَى } [الأنعام : 71] أي الإسلام.

وهو الهدى كله ليس وراءه هدى والذي تدعون إلى اتباعه ما هو هدى إنما هو هوى.

ألا ترى إلى قوله { وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم } [البقرة : 120] أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع { بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } [البقرة : 120] أي من العلم بأن دين الله هو الإسلام أو من الدين المعلوم صحته بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة { مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ } من عذاب الله { مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ } [البقرة : 107] ناصر.

جزء : 1 رقم الصفحة : 118

{ الَّذِينَ } مبتدأ { الْكِتَابِ مِنَ } [القصص : 52] صلته وهم مؤمنو أهل الكتاب وهو التوراة والإنجيل ، أو أصحاب النبي عليه السلام والكتاب القرآن.

{ يَتْلُونَهُ } حال مقدرة من " هم " لأنهم لم يكونوا تالين له وقت إيتائه ، ونصب على المصدر.

{ حَقَّ تِلاوَتِهِ } [البقرة : 121] أي يقرأونه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبر والتفكر ، أو

يعملون به ويؤمنون بما فيه مضمونه ولا يغيرون ما فيه من نعت النبي صلى الله عليه وسلّم.
{ أُوالَائِكَ } مبتدأ خبره
122
{ يُؤْمِنُونَ } به } والجملة خبر الذين ويجوز أن يكون يتلونه خبراً ، والجملة خبر آخر.
{ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوالَائكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [البقرة : 121] حيث اشتروا الضلالة بالهدى { يَابَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِىَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } أي أنعمتها عليكم { وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : 47] وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم { وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ } [البقرة : 123] هم رفع بالابتداء والخبر ينصرون .
والجمل الأربع وصف لـ يوماً أي واتقوا يوماً لا تجزى فيه ولا يقبل فيه ولا تنفعها فيه ولا هم ينصرون فيه.
وتكرير هاتين الآيتين لتكرار المعاصي منهم ، وختم قصة بني إسرائيل بما بدأ به.
جزء : 1 رقم الصفحة : 122

(84/1)

{ وَإِذْ } أي واذكر إذ { ابْتَلَى إِبْرَاهِ مَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ } [البقرة : 124] اختبره بأوامر ونواه.
والاختبار منا لظهور ما لم نعلم ، ومن الله لإظهار ما قد علم ، وعاقبة الابتلاء ظهور الأمر الخفي في الشاهد والغائب جميعاً فلذا تجوز إضافته إلى الله تعالى.
وقيل : اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله تعالى وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك.
وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه : { وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِ مَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } أي قام بهن حق القيام وأدّاهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوانٍ ونحوه { وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى } [النجم : 37] (النجم : 73) ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئاً.
والكلمات على هذا ما سأل إبراهيم ربه في قوله : { رَبِّ اجْعَلْ هَاذَا بَلَدًا ءَامِنًا } [البقرة : 126] (البقرة : 621).
{ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ } [البقرة : 128] (البقرة : 821).
123
{ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْهُمْ } [البقرة : 129] (البقرة : 921).
{ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ } [البقرة : 127] (البقرة : 721).

والكلمات على القراءة المشهورة خمس في الرأس : الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق.
وخمس في الجسد : الختان وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والاستنجاء.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هي ثلاثون سهماً من الشرائع : عشر في براءة { التَّائِبُونَ } (الآية : 21) ، وعشر في الأحزاب { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ } [الأحزاب : 35] الآية ، وعشر في " المؤمنين " و " المعارج " إلى قوله { يُحَافِظُونَ } وقيل : هي مناسك الحج { قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } [البقرة : 124] هو اسم من يؤتم به أي يأتمون بك في دينهم.
{ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى } [البقرة : 124] أي واجعل من ذريتي إماماً يقتدى به.
ذرية الرجل أولاده ذكورهم وإناثهم فيه سواء.
فعيلة من الذرء أي الخلق فأبدلت الهمزة ياء.
{ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } [البقرة : 124] بسكون الياء : حمزة وحفص أي لا تصيب الإمامة أهل الظلم من ولدك أي أهل الكفر.
أخبر أن إمامة المسلمين لا تثبت لأهل الكفر وأن من أولاده المسلمين والكافرين قال الله تعالى : { وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ } [الصافات : 113] (الصافات : 311).
والمحسن المؤمن والظالم الكافر.
قالت المعتزلة : هذا دليل على أن الفاسق ليس بأهل للإمامة قالوا : وكيف يجوز نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالماً في نفسه فقد جاء المثل السائر " من استرعى الذئب ظلم " .
ولكنا نقول : المراد بالظالم الكافر هنا إذ هو الظالم المطلق.
وقيل : إنه سأل أن يكون ولده نبياً كما كان هو فأخبر أن الظالم لا يكون نبيا.
جزء : 1 رقم الصفحة : 122
جزء : 1 رقم الصفحة : 124
{ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ } [البقرة : 125] أي الكعبة وهو اسم غالب لها كالنجم للثريا { مَثَابَةً لِّلنَّاسِ } [البقرة : 125] مباءة ومرجعاً للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه { وَأَمْنًا } وموضع أمن فإن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهو دليل لنا في الملتجىء إلى الحرم.
{ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِ مَ مُصَلًّى } [البقرة : 125] وقلنا أتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه.
وعنه عليه السلام أنه أخذ بيد عمر فقال " هذا مقام إبراهيم " فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام " لم أومر بذلك " .
فلم تغب الشمس حتى

نزلت.

وقيل : مصلى مدعى ، ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه.

وقيل : الحرم كله مقام إبراهيم.

واتخذوا شامي ونافع بلفظ الماضي عطفاً على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها { وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِ مَ وَإِسْمَاعِيلَ } أمرناهما { أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ } [البقرة : 125] بفتح الياء : مدني وحفص أي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والخبائث والأنجاس كلها { لِلطَّآئِفِينَ } للدائرين حوله { وَالْعَاكِفِينَ } المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين.

وقيل : للطائفين للنزّاع إليه من البلاد والعاكفين والمقيمين من أهل مكة.

{ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } [البقرة : 125] والمصلحين جمعاً راكع وساجد.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِ مُ } [البقرة : 126] رب اجعل هذا } أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان { بَلَدًا ءَامِنًا } [البقرة : 126] ذا أمن كعيشة راضية أو آمناً من فيه كقولك " ليل نائم " فهذا مفعول أول.

وبلداً مفعول ثانٍ وآمناً صفة له.

{ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ } [البقرة : 126] لأنه لم يكن لهم ثمرة.

ثم أبدل { مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ } [البقرة : 126] من أهله بدل البعض من الكل أي وارزق المؤمنين من أهله خاصة.

قاس الرزق على الإمامة فخص المؤمنين به.

قال الله تعالى جواباً له { وَمَن كَفَرَ } [النور : 55] أي وارزق من كفر { فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا } [البقرة : 126] تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً إلى حين أجله.

فأمتعه : شامي { ثُمَّ أَضْطَرُّهُ } [البقرة : 126] ألجئه { إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [البقرة : 126] المرجع الذي يصير إليه النار فالمخصوص بالذم محذوف.

جزء : 1 رقم الصفحة : 124

{ وَإِذْ يَرْفَعُ } [البقرة : 127] حكاية حال ماضية { إِبْرَاهِ مُ الْقَوَاعِدَ } [البقرة : 127] هي جمع قاعدة وهي الأساس والأصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة.

ورفع الأساس البناء عليها لأنها إذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر.

{ مِنَ الْبَيْتِ } [البقرة : 127] بيت الله وهو الكعبة { وَإِسْمَاعِيلَ } هو عطف على إبراهيم

وكان ابراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة { رَبَّنَآ } أي يقولان ربنا.
وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد أظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا { تَقَبَّلْ مِنَّآ } [البقرة : 127] تقربنا إليك ببناء هذا البيت { إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ } [البقرة : 127] لدعائنا { الْعَلِيمُ } بضمائرنا ونياتنا.
وفي إبهام القواعد وتبيينها بعد الإبهام تفخيم لشأن المبين.
{ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ } [البقرة : 128] مخلصين لك أوجهنا من قوله { أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ } [البقرة : 112] (البقرة : 211) أو مستسلمين يقال أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن ، والمعنى زدنا إخلاصاً وإذعاناً لك.
{ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ } [البقرة : 128] واجعل من ذريتنا { أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } [البقرة : 128] ومن للتبعيض أو للتبيين.
وقيل : أراد بالأمة أمة محمد عليه السلام وإنما خصا بالدعاء ذريتهما لأنهم أولى بالشفقة كقوله تعالى : { قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } [التحريم : 6] (التحريم : 6).
{ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا } [البقرة : 128] منقول من " رأى " بمعنى أبصر أو عرف ولذا لم يتجاوز مفعولين أي وبصرنا متعبداتنا في الحج أو عرفناها.
وواحد المناسك منسك بفتح السين وكسرها وهو المتعبد ولهذا قيل للعابد ناسك.
وأرنا : مكي قاسه على فخذ في فخذ ، وأبو عمرو يشم الكسرة.
{ وَتُبْ عَلَيْنَآ } [البقرة : 128] ما فرط منا من التقصير أو استتاباً لذريتهما { إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ } في الأمة المسلمة { رَسُولا مِّنْهُمْ } [المؤمنون : 32] من أنفسهم فبعث الله فيهم محمداً عليه السلام ، قال عليه السلام أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي .
{ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ } [البقرة : 129] يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي إليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك ورسلك { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ } [آل عمران : 164] القرآن { وَالْحِكْمَةَ } السنة وفهم القرآن { وَيُزَكِّيهِمْ } ويطهرهم من الشرك وسائر الأرجاس { إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ } [البقرة : 129] الغالب الذي لا يغلب { الْحَكِيمُ } فيما أوليت.
جزء : 1 رقم الصفحة : 124
{ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِ مَ } [البقرة : 130] استفهام بمعنى الجحد وإنكار أن
126

يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة إبراهيم.
والملة السنة والطريقة كذا عن الزجاج { إِلا مَنِ } [سبأ : 37] في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب ، وصح البدل لأن من يرغب غير موجب كقولك " هل جاءك أحد إلا زيد " والمعنى وما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من { سَفِهَ نَفْسَهُ } [البقرة : 130] أي جهل نفسه أي لم يفكر في نفسه.
فوضع سفه موضع جهل وعدي كما عدي ، أومعناه سفه في نفسه فحذف في كما حذف " من " في قوله { وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ } [الأعراف : 155] (الأعراف : 551) أي من قومه ، وعلى في قوله : { وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـاكِن لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلا أَن تَقُولُوا قَوْلا مَّعْرُوفًا وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } .
أي على عقدة النكاح والوجهان عن الزجاج.
وقال الفراء : هو منصوب على التمييز وهو ضعيف لكونه معرفة.
{ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الاخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } [البقرة : 130] بيان لخطأ رأي من يرغب عن ملته لأن من جمع كرامة الدارين لم يكن أحد أولى بالرغبة من طريقته منه { إِذْ قَالَ } [البقرة : 258] ظرف لاصطفيناه ، أو انتصب بإضمار " اذكر " كأنه قيل : اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله.
{ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ } [البقرة : 131] أذعن أو أطع أو أخلص دينك لله { قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } [البقرة : 131] أي أخلصت أو انقدت.
{ وَوَصَّى } وأوصى مدني وشامي.
{ بِهَآ } بالملة أو بالكلمة وهي أسلمت لرب العالمين { إِبْرَاهِ مُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ } [البقرة : 132] هو معطوف على إبراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضاً { أَوْ بَنِى } على إضمار القول { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ } [البقرة : 132] أي أعطاكم الدين الذي هو صفوة الأديان وهو دين الإسلام ووفقكم للأخذ به { فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [البقرة : 132] فلا يكن موتكم إلا على حال كونكم ثابتين على الإسلام ، فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الإسلام إذا ماتوا كقولك " لا تصلّ إلا وأنت خاشع " فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في صلاته.
جزء : 1 رقم الصفحة : 124
{ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ } [البقرة : 133] أم منقطعة ومعنى الهمزة

فيها الإنكار.

والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام إذ حضره الموت أي حين احتضر ، والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وإنما حصل لكم العلم به من طريق الوحي.

أو متصله ويقدر قبلها محذوف والخطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون ما مات نبي إلا على اليهودية كأنه قيل : أتدّعون على الأنبياء اليهودية أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت { إِذْ قَالَ } [البقرة : 258] بدل من " إذ " الأولى والعامل فيهما شهداء أو ظرف لـ حضر { لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ } [البقرة : 133] ما استفهام في محل النصب بـ تعبدون أي أيّ شيء تبعدون؟ و " ما " عام في كل شيء أو هو سؤال عن صفة المعبود كما تقول " ما زيد " تريد أفقيه أم طبيب.

{ مِن بَعْدِى } [الصف : 6] من بعد موتي.

{ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـاهَكَ وَإِلَـاهَ ءَابَآئِكَ } [البقرة : 133] أعيد ذكر الإله لئلا يعطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار.

{ إِبْرَاهِ مَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ } [البقرة : 133] عطف بيان لآبائك ، وجعل إسماعيل من جملة آبائه وهو عمه لأن العم أب قال عليه السلام في العباس " هذا بقية آبائي " .

{ إِلَـاهًا وَاحِدًا } [ص : 5] بدل من إله آبائك كقوله : { كَلا لَـاإِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ } أو نصب على الاختصاص أي نريد بإله آبائك إلهاً واحداً.

{ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة : 133] حال من فاعل نعبد أو جملة معطوفة على نعبد أو جملة اعتراضية مؤكدة.

{ تِلْكَ } إشارة إلى الأمة المذكورة التي هي إبراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون { أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ } [البقرة : 134] مضت { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ } [البقرة : 134] أي إن أحداً لا ينفعه كسب غيره متقدماً كان أو متأخراً ، فكما أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا فكذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما اكتسبتم وذلك لافتخارهم بآبائهم { وَلا تُسْـَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة : 134] ولا تؤاخذون بسيئاتهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 124

{ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى } [البقرة : 135] أي قالت اليهود كونوا هوداً وقالت النصارى كونوا نصارى.

وجزم { تَهْتَدُوا } لأنه جواب الأمر.

{ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِ مَ } [البقرة : 135] بل نتبع ملة إبراهيم { حَنِيفًا } حال من المضاف إليه نحو " رأيت وجه هند قائمة " .

والحنيف المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق.
{ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [البقرة : 135] تعريض بأهل الكتاب وغيرهم لأن كلاً منهم يدعي اتباع ملة إبراهيم وهو على الشرك.
{ قُولُوا } هذا خطاب للمؤمنين أو للكافرين أي قولوا لتكونوا على الحق وإلا فأنتم على الباطل { بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ } [البقرة : 136] أي القرآن { وَمَآ أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِ مَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطِ } [البقرة : 136] السبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثني عشر.
ويعدى أنزل بـ " إلى " و " على " فلذا ورد هنا بـ " إلى " وفي آل عمران بـ " على " { وَمَآ أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَآ أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّنْهُمْ } [البقرة : 136] أي لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى.
وأحد في معنى الجماعة ولذا صح دخول بين عليه.
{ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة : 133] لله مخلصون { فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا } [البقرة : 137] ظاهر الآية مشكل لأنه يوجب أن يكون لله تعالى مثل وتعالى عن ذلك.
فقيل : الباء زائدة ومثل صفة مصدر محذوف تقديره فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم والهاء يعود إلى الله عز وجل ، وزيادة الباء غير عزيز قال الله تعالى : { وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيّئَاتِ جَزَآءُ سَيّئَة بِمِثْلِهَا } [يونس : 27] (يونس : 72) والتقدير جزاء سيئة مثلها كقوله في الآية الأخرى : { وَجَزَاؤُا سَيّئَةٍ سَيّئَةٌ مّثْلُهَا } [الشورى : 40] (الشورى : 04) وقيل : المثل زيادة أي فإن آمنوا بما آمنتم به يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بما آمنتم به .
وما بمعنى " الذي " بدليل قراءة أبي بالذي آمنتم به .
وقيل : الباء للاستعانة كقولك " كتبت بالقلم " أي فإن دخلوا في الإيمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وّإن تولّوا } عما تقولون لهم ولم ينصفوا أو إن تولوا عن الشهادة والدخول في الإيمان بها فإنّما هم في شقاقٍ } أي فما هم إلا في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء { فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ } [البقرة : 137] ضمان من الله لإظهار رسوله عليهم وقد أنجز وعده بقتل
129
بعضهم وإجلاء بعضهم ، ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين.
{ وَهُوَ السَّمِيعُ } [الشورى : 11] لما ينطقون به { الْعَلِيمُ } بما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه فهو وعيد لهم ، أو وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلّم أي يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من إظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك إلى مرادك.

جزء : 1 رقم الصفحة : 124

{ صِبْغَةَ اللَّهِ } [البقرة : 138] دين الله وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله : آمنا بالله .

وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ ، والمعنى تطهير الله لأن الإيمان يطهر النفوس.

والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانياً حقاً ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : آمنا بالله وصبغنا الله بالإيمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم.

وجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة كقولك لمن يغرس الأشجار إغرس كما يغرس فلان تريد رجلاً يصطنع الكرم.

{ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً } [البقرة : 138] تمييز أي لا صبغة أحسن من صبغته يريد الدين أو التطهير.

{ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } [البقرة : 138] عطف على آمنا بالله وهذا العطف يدل على أن قوله : صبغة الله داخل في مفعول قولوا آمنا أي قولوا هذا وهذا ونحن له عابدون ويردّ قول من زعم أن صبغة الله بدل من ملة إبراهيم أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه.

وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام.

جزء : 1 رقم الصفحة : 130

(90/1)

{ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى اللَّهِ } [البقرة : 139] أي أتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو أنزل الله على أحد لأنزل علينا وترونكم أحق بالنبوة منا { وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ } [البقرة : 139] نشرك جميعاً في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده { وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ } [البقرة : 139] يعني أن العمل هو أساس الأمر وكما أن لكم أعمالاً فلنا كذلك { وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } [البقرة : 139] أي نحن له موحدون نخصه بالإيمان وأنتم به مشركون ، والمخلص أحرى بالكرامة وأولى بالنبوة من غيره.

130

{ أَمْ تَقُولُونَ } [البقرة : 140] بالتاء شامي وكوفي غير أبي بكر.

وأم على هذا معادلة للهمزة في أتحاجوننا يعني أي الأمرين تأتون : المحاجة في حكم الله أم إدعاء اليهودية والنصرانية على الأنبياء؟ أو منقطعة أي بل أتقولون.

يقولون : غيرهم بالياء ، وعلى هذا لا تكون الهمزة إلا منقطعة.
{ إِنَّ إِبْرَاهِ مَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى } [البقرة : 140] ثم أمر نبيه عليه السلام أن يقول مستفهماً راداً عليهم بقوله : { قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ } [البقرة : 140] يعني أن الله شهد لهم بملة الإسلام في قوله : { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلاَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا } (آل عمران : 76).
{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ } [البقرة : 140] أي كتم شهادة الله التي عنده أنه شهد بها وهي شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية.
والمعنى أن أهل الكتاب لا أحد أظلم منهم لأنهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها ، أو أنا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها.
وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه السلام بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته.
ومن في قوله من الله مثلها في قولك " هذه شهادة مني لفلان " إذا شهدت له في أنها صفة لها.
{ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 74] من تكذيب الرسل وكتمان الشهادة.
{ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْاَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [البقرة : 134] كررت للتأكيد أو لأن المراد بالأول الأنبياء عليهم السلام وبالثاني أسلاف اليهود والنصارى.
جزء : 1 رقم الصفحة : 130
{ سَيَقُولُ السُّفَهَآءُ مِنَ النَّاسِ } [البقرة : 142] الخفاف الأحلام فأصل السفه الخفة ، وهم اليهود لكراهتهم التوجه إلى الكعبة وأنهم لا يرون النسخ ، أو المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء ، أو المشركون لقولهم " رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها والله ليرجعن إلى دينهم " .
وفائدة الإخبار بقولهم قبل وقوعه توطين النفس إذ المفاجأة بالمكروه أشد ، وإعداد الجواب قبل الحاجة إليه أقطع للخصم فقبل الرمي يراش السهم.
{ مَا وَلَّاهُمْ } [البقرة : 142] ما صرفهم { عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا } [البقرة : 142] يعنون بيت المقدس.
131

والقبلة الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة لأن المصلي يقابلها { قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ } [البقرة : 142] أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها له { يَهْدِى مَن يَشَآءُ } [البقرة : 272] من أهلها { إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [البقرة : 142] طريق مستوٍ.
أي يرشد من يشاء إلى قبلة الحق وهي الكعبة التي أمرنا بالتوجه إليها ، أو الأماكن كلها لله فيأمر

بالتوجه إلى حيث شاء فتارة إلى الكعبة وطوراً إلى بيت المقدس لا اعتراض عليه لأنه المالك وحده.
{ وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ } [البقرة : 143] ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم فالكاف للتشبيه و " ذا " جر بالكاف واللام للفرق بين الإشارة إلى القريب والإشارة إلى البعيد والكاف للخطاب لا محل لها من الإعراب.
{ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة : 143] خياراً.
وقيل : للخيار وسط لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأوساط محمية أي كما جعلت قبلتكم خير القبل جعلتكم خير الأمم ، أو عدولاً لأن الوسط عدل بين الأطراف ليس إلى بعضها أقرب من بعض.
أي كما جعلنا قبلتكم متوسطة بين المشرق والمغرب جعلناكم أمة وسطاً بين الغلو والتقصير فإنكم لم تغلوا غلو النصارى حيث وصفوا المسيح بالألوهية ، ولم تقصروا تقصير اليهود حيث وصفوا مريم بالزنا وعيسى بأنه ولد الزنا { لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ } [البقرة : 143] غير منصرف لمكان ألف التأنيث { عَلَى النَّاسِ } [الأعراف : 144] صلة شهداء { وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 130
البقرة : 143] عطف على لتكونوا .
روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالب الله الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم : من أين عرفتم؟ فيقولون : علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق ، فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم.
والشهادة قد تكون بلا مشاهدة كالشهادة بالتسامع في الأشياء المعروفة.
ولما كان الشهيد كالرقيب جيء بكلمة الاستعلاء كقوله تعالى : { كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ } [المائدة : 117] (المائدة : 71).
وقيل : لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح إلا بشهادة العدول الأخيار ، ويكون الرسول عليكم شهيداً يزكيكم ويعلم بعدالتكم.
واستدل
132
الشيخ أبو منصور رحمه الله بالآية على أن الإجماع حجة لأن الله تعالى وصف هذه الأمة بالعدالة ، والعدل هو المستحق للشهادة وقبولها فإذا اجتمعوا على شيء وشهدوا به لزم قبوله.
وأخرت صلة الشهادة أولاً وقدمت آخراً لأن المراد في الأول إثبات شهادتهم على الأمم ، وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم.
{ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ } [البقرة : 143] أي وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة ، فالتي كنت عليها ليست بصفة للقبلة بل هي ثاني مفعولي جعل.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم كان يصلي بمكة إلى الكعبة ثم أمر بالصلاة إلى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تأليفاً لليهود ثم حول إلى الكعبة.

{ إِلا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ } [البقرة : 143] أي وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولاً بمكة إلا امتحاناً للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الإسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه يرجع فيرتد عن الإسلام عند تحويل القبلة.

قال الشيخ أبو منصور رحمه الله : معنى قوله لنعلم أي لنعلم كائناً أو موجوداً ما قد علمناه أنه يكون ويوجد ، فالله تعالى عالم في الأزل بكل ما أراد وجوده أنه يوجد في الوقت الذي شاء وجوده فيه ولا يوصف بأنه عالم في الأزل بأنه موجود كائن لأنه ليس بموجود في الأزل فكيف يعلمه موجوداً ، فإذا صار موجوداً يدخل تحت علمه الأزلي فيصير معلوماً له موجوداً كائناً ، والتغير على المعلوم لا على العلم.

أو لنميز التابع من الناكص كما قال تعالى :

جزء : 1 رقم الصفحة : 130

(92/1)

{ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } [الانفال : 37] (الأنفال : 73) فوضع العلم موضع التمييز لأن العلم به يقع التمييز ، أو ليعلم رسول الله عليه الصلاة والسلام والمؤمنون ، وإنما أسند علمهم إلى ذاته لأنهم خواصه أو هو على ملاطفة الخطاب لمن لا يعلم كقولك لمن ينكر ذوب الذهب " فلنلقه في النار لنعلم أيذوب " .

{ وَإِن كَانَتْ } [البقرة : 143] أي التحويلة أو الجعلة أو القبلة.

وإن هي المخففة ، واللام في { لَكَبِيرَةٌ } أي ثقيلة شاقة وهي خبر " كان " واللام فارقة { إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ } [البقرة : 143] أي هداهم الله فحذف العائد أي إلا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول.

{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ } [البقرة : 143] أي صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ سمى الصلاة إيماناً لأن وجوبها على أهل

133

الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها في الجماعة دليل الإيمان.

ولما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى الكعبة قالوا : كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا؟ فنزلت.

ثم علل ذلك فقال { إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ } مهموز مشبع : حجازي وشامي وحفص.
رؤوف غيرهم بوزن " فعل " وهما للمبالغة.
{ رَّحِيمٌ } لا يضيع أجورهم ، والرأفة أشد من الرحمة وجمع بينهما كما في الرحمن الرحيم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 130
{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ } [البقرة : 144] تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء.
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يتوقع من ربه أن يحوله إلى الكعبة موافقة لإبراهيم ومخالفة لليهود ، ولأنها ادعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم.
{ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ } فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا جعلته والياً له ، أو فلنجعلك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس.
{ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } [البقرة : 144] تحبها وتميل إليها لأغراضك الصحيحة التي أضمرتها وواقفت مشيئة الله وحكمته.
{ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [البقرة : 144] أي نحوه.
وشطر نصب على الظرف أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي في جهته وسمته لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائي.
وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين.
روي أنه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه إلى الكعبة.
{ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ } [البقرة : 144] من الأرض وأردتم الصلاة { فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ } [البقرة : 144] أي التحويل إلى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه يصلي إلى القبلتين.
{ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } [البقرة : 144] بالياء مكي وأبو عمرو ونافع وعاصم ، وبالتاء غيرهم.
فالأول وعيد للكافرين بالعقاب على الجحود والإباء ، والثاني وعد للمؤمنين بالثواب على القبول والأداء.
134
{ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [البقرة : 145] أراد ذوي العناد منهم { بِكُلِّ ءَايَةٍ } [البقرة : 145] برهان قاطع أن التوجه إلى الكعبة هو الحق { مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ } [البقرة : 145] لأن تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بإيراد الحجة إنما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من نعتك أنك على الحق.
وجواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط.
جزء : 1 رقم الصفحة : 134

{ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ } [البقرة : 145] حسم لأطماعهم إذ كانوا اضطربوا في ذلك قولوا : لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن يكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه إلى قبلتهم ووحدت القبلة ، وإن كان لهم قبلتان فلليهود قبلة وللنصارى قبلة لاتحادهم في البطلان.

{ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ } [البقرة : 145] يعني أنهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شأن القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك ، فاليهود تستقبل بيت المقدس ، والنصارى مطلع الشمس.

{ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } [البقرة : 145] أي من بعد وضوح البرهان والإحاطة بأن القبلة هي الكعبة وأن دين الله هو الإسلام { إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : 145] لمن المرتكبين الظلم الفاحش.

وفي ذلك لطف للسامعين وتهييج للثبات على الحق وتحذير لمن يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى.

وقيل : الخطاب في الظاهر للنبي عليه السلام والمراد أمته ، ولزم الوقف على الظالمين إذ لو وصل لصار { الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ } [القصص : 52] صفة للظالمين.

وهو مبتدأ والخبر { يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة.

والأول أظهر لقوله { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ } [الأنعام : 20] قال عبد الله بن سلام : أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر : ولم؟ قال : لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه.

{ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ } [البقرة : 146] أي الذين لم يسلموا { لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ } [البقرة : 146] حسداً وعناداً { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة : 75] لأن الله تعالى بينه في كتابهم.

135

{ الْحَقّ } مبتدأ خبره { مِن رَّبّكَ } [الأحزاب : 2] واللام للجنس أي الحق من الله لا من غيره.

يعني أن الحق ما ثبت أنه من الله كالذي أنت عليه ، وما لم يثبت أنه من الله كالذي عليه أهل الكتاب فهو الباطل ، أو للعهد والإشارة إلى الحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أو خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر أو حال.

{ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [البقرة : 147] الشاكين في أنه من ربك.

جزء : 1 رقم الصفحة : 134

{ وَلِكُلٍّ } من أهل الأديان المختلفة.

{ وِجْهَةٌ } قبلة.

وقرىء بها.

والضمير في { هُوَ } لكل .
وفي { مُوَلِّيهَا } للوجهة.
أي هو موليها وجهة فحذف أحد المفعولين أو هو الله تعالى.
أي الله موليها إياه.
هو مولاها : شامي أي هو مولى تلك الجهة قد وليها.
والمعنى ولكل أمة قبلة يتوجه إليها منكم ومن غيركم.
{ فَاسْتَبِقُوا } أنتم { الْخَيْرَاتِ } فاستبقوا إليها غيركم من أمر القبلة وغيره.
{ أَيْنَ مَا تَكُونُوا } [البقرة : 148] أنتم وأعداؤكم { يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا } [البقرة : 148] يوم القيامة فيفصل بين المحقق والمبطل ، أو ولكل منكم يا أمة محمد وجهة يصلي إليها جنوبية أو شمالية أو شرقية أو غربية ، فاستقبلوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وإن اختلفت أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعاً ويجمعكم ويجعل صلاتكم كأنها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضري المسجد الحرام.
{ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ } ومن أي بلد خرجت للسفر { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 136
البقرة : 144] إذا صليت.
{ وَإِنَّهُ } وإن هذا المأمور به { لَلْحَقُّ مِن رَّبّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 149] وبالياء : أبو عمرو.
136

(94/1)

{ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ } [البقرة : 150] وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة فكرر عليهم ليثبتوا على أنه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها { لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ } [البقرة : 150] أي قد عرّفكم الله جل ذكره أمر الاحتجاج في القبلة بما قد بين في قوله : ولكل وجهة هو موليها .
لئلا يكون للناس لليهود عليكم حجة في خلاف ما في التوراة من تحويل القبلة.
وأطلق اسم الحجة على قول المعاندين لأنهم يسوقونه سياق الحجة.
{ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [البقرة : 150] استثناء من " الناس " أي لئلا يكون حجة لأحد من اليهود

إلا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا إلى الكعبة إلا ميلاً إلى دين قومه وحباً لبلده ، ولو كان على الحق للزم قبلة الأنبياء عليهم السلام.
أو معناه لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في تركككم التوجه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم وإسماعيل أبي العرب إلا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع إلى قبلة آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم.
ثم استأنف منبهاً بقوله : { فَلا تَخْشَوْهُمْ } [المائدة : 3] فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم { وَاخْشَوْنِى } فلا تخالفوا أمري { وَلِاتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ } [البقرة : 150] أي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ولأتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى الكعبة.
{ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [البقرة : 150] ولكي تهتدوا إلى قبلة إبراهيم.
الكاف في { كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ } [البقرة : 151] إما أن يتعلق بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما أتممتها عليكم في الدنيا بإرسال الرسول ، أو بما بعده أي كما ذكرتكم بإرسال الرسول فاذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب ، فعلى هذا يوقف على تهتدون وعلى الأول لا.
{ رَسُولا مِّنكُمْ } [البقرة : 151] من العرب { يَتْلُوا عَلَيْكُمْ } [البقرة : 151] يقرأ عليكم { ءَايَاتِنَا } القرآن { وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ } [البقرة : 151] القرآن { وَالْحِكْمَةَ } السنة
137
والفقه { وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 151] ما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي.
جزء : 1 رقم الصفحة : 136
فاذكروني } بالمعذرة { أَذْكُرْكُمْ } بالمغفرة أو بالثناء والعطاء ، أو بالسؤال والنوال ، أو بالتوبة وعفو الحوبة ، أو بالإخلاص والخلاص ، أو بالمناجاة والنجاة.
{ وَاشْكُرُوا لِي } [البقرة : 152] ما أنعمت به عليكم { وَلا تَكْفُرُونِ } [البقرة : 152] ولا تجحدوا نعمائي.
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ } فبه تنال كل فضيلة { وَالصَّلَواةِ } فإنها تنهى عن كل رذيلة { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة : 153] بالنصر والمعونة { وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 154] نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً.
{ أَمْوَاتُ } أي هم أمواتٍ { بَلْ أَحْيَآءٌ } [آل عمران : 169] أي هم أحياء { وَلَـاكِن لا تَشْعُرُونَ } [البقرة : 154] لا تعلمون ذلك لأن حياة الشهيد لا تعلم حساً.
عن الحسن رضي الله عنه أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدواً وعشياً فيصل إليهم الوجع.
وعن مجاهد : يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها.
جزء : 1 رقم الصفحة : 138

{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم } ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون على ما أنتم عليه من الطاعة أم لا.

{ بِشَىْءٍ } بقليل من كل واحدة من هذه البلايا وطرف منه.

وقلل ليؤذن أن كل بلاء أصاب الإنسان وإن جل ففوقه ما يقل إليهم ، ويريهم أن رحمته معهم في كل حال ، وأعلمهم بوقوع البلوى قبل وقوعها ليوطنوا نفوسهم عليها.

{ مِّنَ الْخَوْفِ } [البقرة : 155] خوف الله والعدو { وَالْجُوعِ } أي القحط أو صوم شهر رمضان { وَنَقْصٍ مِّنَ الامْوَالِ } [البقرة : 155] بموت المواشي أو الزكاة ، وهو عطف على شيء ، أو على الخوف أي وشيء من نقص الأموال.

{ وَالانفُسِ } بالقتل والموت.

أو بالمرض والشيب { وَالثَّمَرَاتِ } ثمرات الحرث أو موت الأولاد لأن الولد ثمرة
138
الفؤاد { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة : 155] على هذه البلايا أو المسترجعين عند البلايا لأن الاسترجاع تسليم وإذعان وفي الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه .

وطفيء سراج رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل : أمصيبة هي؟ قال.

" نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو مصيبة " .

والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم أو لكل من يتأتي منه البشارة.

{ الَّذِينَ } نصب صفة للصابرين.

ولا وقف عليه بل يوقف على راجعون .

ومن ابتدأ بـ " الذين " وجعل الخبر أولئك يقف على الصابرين لا على راجعون .

والأول الوجه لأن الذين وما بعده بيان للصابرين.

{ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ } [النساء : 62] مكروه.

اسم فاعل من أصابته شدة أي لحقته.

ولا وقف على مصيبة لأن { قَالُوا } جواب إذا وإذا وجوابها صلة الذين .

{ إِنَّا لِلَّهِ } [البقرة : 156] إقرار له بالملك.

{ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة : 156] إقرار على نفوسنا بالهلك.

{ أُوالَائِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ } [البقرة : 157] الصلاة : الحنو والتعطف فوضعت

موضع الرأفة ، وجمع بينها وبين الرحمة كقوله { رَأْفَةً وَرَحْمَةً } [الحديد : 27] (الحديد : 72) { رَءُوفٌ رَّحِيمٌ } (التوبة : 711).

والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة بعد رحمة.

{ وَأُوالَـائِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } [البقرة : 157] لطريق الصواب حيث استرجعوا وأذعنوا لأمر الله.

قال عمر رضي الله عنه : نعم العدلان ونعم العلاوة أي الصلاة والرحمة والاهتداء.

جزء : 1 رقم الصفحة : 138

{ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ } [البقرة : 158] هما علمان للجبلين.

{ مِن شَعَآئِرِ اللَّهِ } [البقرة : 158] من أعلام مناسكه ومتعبداته جمع شعيرة وهي العلامة { فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ } [البقرة : 158] قصد الكعبة { أَوِ اعْتَمَرَ } [البقرة : 158] زار الكعبة ، فالحج : القصد ، والاعتمار : الزيارة ، ثم غلبا على قصد البيت

139

وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الأعيان.

{ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ } [البقرة : 158] فلا إثم عليه { أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا } [البقرة : 158] ، أي يتطوف فأدغم التاء في الطاء.

وأصل الطوف المشي حول الشيء والمراد هنا السعي بينهما.

قيل : كان على الصفا " إساف " وعلى المروة " نائلة " وهما صنمان يروى أنهما كانا رجلاً وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما ، فلما طالت المدة عبدا من دون الله.

وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية فرفع عنهم الجناح بقوله فلا جناح .

وهو دليل على أنه ليس بركن كما قال مالك والشافعي رحمهما الله تعالى.

وكذا قوله

جزء : 1 رقم الصفحة : 139

{ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا } [البقرة : 158] أي بالطواف بهما مشعر بأنه ليس بركن.

ومن يطوع : حمزة وعلي أي يتطوع فأدغم التاء في الطاء { فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ } [البقرة : 158] مجاز على القليل كثيراً { عَلِيمٌ } بالأشياء صغيراً أو كبيراً.

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ } [البقرة : 174] من أحبار اليهود { مَآ أَنزَلْنَا } [طه : 2] في التوراة { مِنَ الْبَيِّنَاتِ } [طه : 72] من الآيات الشاهدة على أمر محمد عليه السلام { وَالْهُدَى } الهداية إلى الإسلام

بوصفه عليه السلام { مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ } [البقرة : 159] أوضحناه { لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ } [البقرة : 159] في التوراة لم ندع فيه موضع إشكال فعمدوا إلى ذلك المبين فكتموه { أُولئك يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } [البقرة : 159] الذين يتأتى منهم اللعن وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين { إِلا الَّذِينَ تَابُوا } [آل عمران : 89] عن الكتمان وترك الإيمان { وَأَصْلَحُوا } ما أفسدوا من أحوالهم وتداركوا ما فرط منهم { وَبَيَّنُوا } وأظهروا ما كتموا { فَأُوالَائكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ } [البقرة : 160] أقبل توبتهم { إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوالَائكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولئك عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين

ولم يتوبوا { أُولئك عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [البقرة : 161] ذكر لعنتهم أحياء ثم لعنتهم أمواتاً.

والمراد بالناس المؤمنون أو المؤمنون والكافرون إذ بعضهم يلعن بعضاً يوم القيامة قال الله تعالى : { كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا } (الأعراف : 83).

جزء : 1 رقم الصفحة : 139

{ خَالِدِينَ } حال من هم في عليهم { فِيهَآ } في اللعنة أو في النار إلا أنها أضمرت تفخيماً لشأنها وتهويلاً { لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ } [البقرة : 162] من الإنظار أي لا يمهلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة { وَإِلَاهُكُمْ إِلَاهٌ وَاحِدٌ } [البقرة : 163] فرد في ألوهيته لا شريك له فيها ولا يصح أن يسمى غير إلها { لا إِلَاهَ إِلا هُوَ } [البقرة : 255] تقرير للوحدانية ينفي غيره وإثباته.

وموضع هو رفع لأنه بدل من موضع لا إله ولا يجوز النصب هنا لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثاني ، والمعنى في الآية على ذلك والنصب يدل على أن الاعتماد على الأول.

ورفع الرّحمن الرّحيم أي المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فما سواه إما نعمة وإما منعم عليه على أنه خبر مبتدأ ، أو على البدل من هو لا على الوصف لأن المضمر لا يوصف.

ولما عجب المشركون من إله واحد وطلبوا آية على ذلك نزل { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ } [البقرة : 164] في اللون والطول والقصر وتعاقبهما في الذهاب والمجيء { وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ } [البقرة : 164] بالذي ينفعهم مما يحمل فيها أو بنفع الناس ومن في { وَمَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَآءِ } [البقرة : 164] لابتداء الغاية وفي { مِن مَّآءٍ } [الطارق : 6] مطر لبيان الجنس لأن ما ينزل من السماء مطر وغيره.

ثم عطف على أنزل { فَأَحْيَا بِهِ } [البقرة : 164] بالماء { الارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } [الروم : 50] يبسها ثم عطف على فأحيا { وَبَثَّ } وفرق { فِيهَآ } في الأرض { مِن كُلِّ دَآبَّةٍ } [لقمان : 10] هي كل ما

يدب { وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ } [الجاثية : 5] الريح : حمزة وعلي.
أي وتقليبها في مهابها قبولاً ودبوراً وجنوباً وشمالاً ، وفي أحوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقماً ولواقح.
وقيل : تارة بالرحمة وطوراً بالعذاب.
{ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ } [البقرة : 164] المذلل المنقاد لمشيئة الله تعالى فيمطر حيث شاء { بَيْنَ السَّمَآءِ وَالارْضِ } [البقرة : 164] في الهواء { لاياتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة : 164] ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون فيستدلون بهذه الأشياء على قدرة موجدها وحكمة مبدعها ووحدانية منشئها.
وفي الحديث ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها.
جزء : 1 رقم الصفحة : 139
جزء : 1 رقم الصفحة : 142
ومن النّاس أي ومع هذا البرهان النير من الناس من يتّخذ من دون الله أنداداً } أمثالاً من الأصنام { يُحِبُّونَهُمْ } يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب { كَحُبِّ اللَّهِ } [البقرة : 165] كتعظيم الله والخضوع له أي يحبون الأصنام كما يحبون الله يعني يسوون بينهم وبينه في محبتهم لأنهم كانوا يقرون بالله ويتقربون إليه.
وقيل : يحبونهم كحب المؤمنين الله { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ } [البقرة : 165] من المشركين لآلهتهم لأنهم لا يعدلون عنه إلى غيره بحال ، والمشركون يعدلون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد فيفزعون إليه ويخضعون { وَلَوْ يَرَى } [البقرة : 165] ترى : نافع وشامي على خطاب الرسول أو كل مخاطب ، أي ولو ترى ذلك لرأيت أمراً عظيماً { الَّذِينَ ظَلَمُوا } [البقرة : 165] إشارة إلى متخذي الأنداد { إِذْ يَرَوْنَ } [البقرة : 165] يرون : شامي { الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } [البقرة : 165] حال { وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } [البقرة : 165] شديد عذابه أي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم أن القدرة كلها لله تعالى على كل شيء من الثواب والعقاب دون أندادهم ، ويعلمون شدة عقابه للظالمين إذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ، فحذف الجواب لأن " لو " إذا جاء فيما يشوق إليه أو يخوف منه قلما يوصل بجواب ليذهب القلب فيه كل مذهب.
و " لو " يليها الماضي.
وكذا إذا وضعها لتدل على الماضي ، وإنما دخلتا على المستقبل هنا لأن إخبار الله تعالى عن المستقبل باعتبار صدقة كالماضي

{ إِذْ تَبَرَّأَ } [البقرة : 166] مدغمة الذال في التاء حيث وقعت : عراقي غير عاصم.
وهو بدل من إذ يرون العذاب .
{ الَّذِينَ اتَّبَعُوا } [البقرة : 167] أي المتبعون وهم الرؤساء { مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا } [البقرة : 166] من الأتباع { وَرَأَوُا الْعَذَابَ } [القصص : 64] الواو فيه للحال أي تبرأوا في حال رؤيتهم العذاب { وَتَقَطَّعَتْ }
جزء : 1 رقم الصفحة : 142

(98/1)

عطف على تبرأ { بِهِمُ الاسْبَابُ } [البقرة : 166] الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب.
{ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا } [البقرة : 167] أي الاتباع { لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً } [البقرة : 167] رجعة إلى الدنيا { فَنَتَبَرَّأَ } نصب على جواب التمني لأن لو في معنى التمني والمعنى ليت لنا كرة فنتبرأ { مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا } [البقرة : 167] الآن { كَذَالِكَ } مثل ذلك الإراء الفظيع { يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ } [البقرة : 167] أي عبادتهم الأوثان { حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ } [البقرة : 167] ندامات.
وهي مفعول ثالث لـ يريهم ومعناه أن أعمالهم تنقلب عليهم حسرات فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم.
{ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } [البقرة : 167] بل هم فيها دائمون.
ونزل فيمن حرموا على أنفسهم البحائر ونحوها.
{ النَّارِ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا } أمر إباحة { مِمَّا فِى الارْضِ } [البقرة : 168] من للتبعيض لأن كل ما في الأرض ليس بمأكول { حَلَالا } مفعول كلوا " أو حال مما في الأرض { طَيِّبًا } طاهراً من كل شبهة { وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } [البقرة : 168] طرقه التي يدعوكم إليها بسكون الطاء : أبو عمر غير عباس ونافع وحمزة وأبو بكر.
والخطوة في الأصل ما بين قدمي الخاطي.
يقال اتبع خطواته إذا اقتدى به واستن بسنته.
{ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [البقرة : 168] ظاهر العداوة لاخفاءه به.
وأبان متعدٍ ولازم.
ولا يناقض هذه الآية قوله تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ } [البقرة : 257] (البقرة : 752) أي

الشيطان لأنه عدو للناس حقيقة ووليهم ظاهراً فإنه يريهم في الظاهر الموالاة ويزين لهم أعمالهم ويريد بذلك هلاكهم في الباطن.
{ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم } [البقرة : 169] بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أي لا يأمركم بخير قط إنما يأمركم { بِالسُّواءِ } بالقبيح { وَالْفَحْشَآءِ } وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم.
وقيل : السوء ما لاحد فيه والفحشاء ما فيه حد { وَأَن تَقُولُوا } [البقرة : 169] في موضع الجر بالعطف على بالسوء أي وبأن تقولوا { عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 80] هو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ، ويدخل فيه كل ما يضاف إلى الله تعالى مما لا يجوز عليه.
جزء : 1 رقم الصفحة : 142
لغاية صفحة 421
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ } [البقرة : 170] الضمير للناس.
وعدل بالخطاب عنهم على طريق الالتفاف.
قيل : هم المشركون.
وقيل : طائفة من اليهود لما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلى الإيمان واتباع القرآن ، { قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا } [البقرة : 170] وجدنا { عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ } [البقرة : 170] فإنهم كانوا خيراً منا وأعلم فرد الله عليهم بقوله { أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ } [البقرة : 170] الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم { لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا } [البقرة : 170] من الذين { وَلا يَهْتَدُونَ } [البقرة : 170] للصواب.
ثم ضرب لهم مثلاً فقال { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا } [البقرة : 171] المضاف محذوف أي ومثل داعي الذين كفروا { كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ } [البقرة : 171] يصيح والمراد { بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَآءً وَنِدَآءً } [البقرة : 171] البهائم.
والمعنى مثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجر لها ولا تفقه شيئاً آخر كما يفهم العقلاء.
والنعقيق : التصويت ، يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن والنداء ما يسمع والدعاء قد يسمع وقد لا يسمع.
{ صُمٌّ } خبر مبتدأ مضمر أي هم صم { بِكُمٌ } خبر
144
ثانٍ { عُمْىٌ } عن الحق خبر ثالث { فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ } [البقرة : 171] الموعظة ، ثم بين أن ما حرمه المشركون حلال فقال :
جزء : 1 رقم الصفحة : 142

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } من مستلذاته أو من حلالاته { وَاشْكُرُوا لِلَّهِ } الذي رزقكموها { إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } [البقرة : 172] إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه معطي النعم.

ثم بين المحرم فقال { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ } [البقرة : 173] وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة مما يذبح وإنما لإثبات المذكور ونفي ما عداه ، أي ما حرم عليكم إلا الميتة { وَالدَّمَ } يعني السائل لقوله في موضع آخر : { أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا } [الأنعام : 145] (الأنعام : 541).

وقد حلت الميتتان والدمان بالحديث أحلت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد والكبد والطحال { وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ } [البقرة : 173] يعني الخنزير بجميع أجزائه ، وخص اللحم لأنه المقصود بالأكل.

{ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ } [البقرة : 173] أي ذبح للأصنام فذكر عليه غير اسم الله ، وأصل الإهلال رفع الصوت أي رفع به الصوت للصنم ، وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى.

{ فَمَنِ اضْطُرَّ } [البقرة : 173] أي ألجىء بكسر النون : بصري وحمزة وعاصم لالتقاء الساكنين أعني النون والضاد وبضمها غيرهم لضمة الطاء.

{ غَيْرَ } حال أي أكل غير { بَاغٍ } للذة وشهوة { وَلا عَادٍ } [النحل : 115] متعد مقدار الحاجة.

وقول من قال غير باغ على الإمام ولا عادٍ في سفر حرام ضعيف لأن سفر الطاعة لا يبيح بلا ضرورة ، والحبس بالحضر يبيح بلا سفر ، ولأن بغية لا يخرج عن الإيمان فلا يستحق الحرمان.

والمضطر يباح له قدر ما يقع به القوام وتبقى معه الحياة دون ما فيه حصول الشبع ، لأن الإباحة للاضطرار فتقدر بقدر ما تندفع الضرورة { فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ } [البقرة : 173] في الأكل { أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ } [البقرة : 235] للذنوب الكبائر فأنى يؤاخذ بتناول الميتة عند الاضطرار { رَّحِيمٌ } حيث رخص.

ونزل في رؤساء اليهود وتغييرهم نعت

145

النبي عليه السلام وأخذهم على ذلك الرشا { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ } [البقرة : 174] في صفة محمد عليه السلام { وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا } [البقرة : 174] أي عوضاً أو ذا ثمن { أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ } [البقرة : 174] ملء بطونهم تقول : أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه { إِلا النَّارَ } [هود : 16] لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار.

ومنه قولهم " أكل فلان الدم " إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال :

جزء : 1 رقم الصفحة : 142

يأكلن كل ليلة إكافاً

أي ثمن إكاف فسماه إكافاً لتلبسه به بكونه ثمناً له.

{ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [البقرة : 174] كلاماً يسرهم ولكن بنحو قوله : { اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ } [المؤمنون : 108] (المؤمنون : 801).

{ وَلا يُزَكِّيهِمْ } [البقرة : 174] ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم أو لا يثني عليهم { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة : 174] مؤلم فحرف النفي مع الفعل خبر أولئك وأولئك مع خبره خبر إن والجمل الثلاث معطوفة على خبر إن فقد صار لـ إن أربعة أخبار من الجمل.

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ } [البقرة : 175] بكتمان نعت محمد عليه السلام { فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ } [البقرة : 175] فأي شيء أصبرهم على عمل يؤدي إلى النار؟ وهذا استفهام معناه التوبيخ.

{ ذَالِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ } [البقرة : 176] أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق.

{ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا } [البقرة : 176] أي أهل الكتاب { فِى الْكِتَابِ } [مريم : 41] هو للجنس أي في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل { لَفِى شِقَاق } [البقرة : 176] خلاف { بَعِيدٍ } عن الحق أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شقاق بعيد عن الهدى.

146

جزء : 1 رقم الصفحة : 142

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

(100/1)

{ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا } [البقرة : 177] أي ليس البر توليتكم { وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ } [البقرة : 177] والخطاب لأهل الكتاب لأن قبلة النصارى مشرق بيت المقدس ، وقبلة اليهود مغربه ، وكل واحد من الفريقين يزعم أن البر التوجه إلى قبلته ، فرد عليهم بأن البر ليس فيما أنتم عليه فإنه منسوخ { وَلَـاكِنَّ الْبِرَّ } [البقرة : 177] بر { مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ } [البقرة : 62] أو ذا البر من آمن والقولان على حذف المضاف والأول أجود.

والبر اسم للخير ولكل فعل مرضي.

وقيل : كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل : ليس البر العظيم الذي يجب أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ، ولكن البر الذي يجب الاهتمام به بر من آمن وقام بهذه الأعمال.

ليس البر بالنصب على أنه خبر " ليس " واسمه أن تولوا : حمزة وحفص.
ولكن البر : نافع وشامي.
وعن المبرد : لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر وقرىء ولكن البار .
{ وَالْيَوْمِ الاخِرِ } [التوبة : 44] أي يوم البعث { وَالْمَلَائكَةِ وَالْكِتَابِ } [البقرة : 177] أي جنس كتب الله أو القرآن { وَالنَّبِيّانَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبّهِ } أي على حب الله أو حب المال أو حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه { ذَوِى الْقُرْبَى } [البقرة : 177] أي القرابة وقدمهم لأنهم أحق.
قال عليه الصلاة والسلام : صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك صدقة وصلة .
{ وَالْيَتَامَى } والمراد الفقراء من ذوي القربى واليتامى ، وإنما أطلق لعدم الإلباس.
{ وَالْمَسَاكِينَ } المسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالسكير للدائم السكر { وَابْنَ السَّبِيلِ } [الانفال : 41] المسافر المنقطع وهو جنس وإن كان مفرداً لفظاً ، وجعل ابناً للسبيل لملازمته له أو الضيف { وَالسَّآئِلِينَ } المستطعمين { وَفِي الرّقَابِ } [البقرة : 177] وفي معاونة
147
المكاتبين حتى يفكوا رقابهم أو في الأسارى { وَأَقَامَ الصَّلَواةَ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 147
البقرة : 177] المكتوبة { وَءَاتَى الزكاة } المفروضة.
قيل : هو تأكيد للأول.
وقيل : المراد بالأول نوافل الصدقات والمبار.
{ وَالْمُوفُونَ } عطف على من آمن { بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا } [البقرة : 177] الله والناس { وَالصَّابِرِينَ } نصب على المدح والاختصاص إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال.
{ فِى الْبَأْسَآءِ } [البقرة : 177] الفقر والشدة { وَالضَّرَّآءِ } المرض والزمانة { وَحِينَ الْبَأْسِ } [البقرة : 177] وقت القتال { أُولئك الَّذِينَ صَدَقُوا } [البقرة : 177] أي أهل هذه الصفة هم الذين صدقوا في الدين { وَأُولَائكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [البقرة : 177].
روي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين جاء الله بالإسلام فنزل.
{ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ } أي فرض { عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ } [البقرة : 178] وهو عبارة عن المساواة وأصله من قص أثره واقتصه إذا اتبعه ومنه القاص لأنه يتبع الآثار والأخبار { فِي الْقَتْلَى } [البقرة : 178] جمع قتيل.
والمعنى فرض عليكم اعتبار المماثلة والمساواة بين القتلى { الْحُرُّ بِالْحُرِّ } [البقرة : 178] مبتدأ وخبر أي الحر مأخوذ أو مقتول بالحر { وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالانثَى بِالانثَى } [البقرة : 178] وقال الشافعي

رحمه الله : لا يقتل الحر بالعبد لهذا النص وعندنا يجري القصاص بين الحر والعبد بقوله تعالى : { أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ } [المائدة : 45] (المائدة : 54).
كما بين الذكر والأنثى وبقوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحداً قتلوا به ، وبأن تخصيص الحكم بنوع لا ينفيه عن نوع آخر بل يبقى الحكم فيه موقوفاً على ورود دليل آخر وقد ورد كما بينا.
جزء : 1 رقم الصفحة : 147

(101/1)

{ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ } [البقرة : 178] قالوا : العفو ضد العقوبة.
يقال :
148
عفوت عن فلان إذا صفحت عنه وأعرضت عن أن تعاقبه وهو يتعدى بـ " عن " إلى الجاني وإلى الجناية { ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم } [البقرة : 52] (البقرة ؛ 25) { وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّآتِ } (الشورى : 52) وإذا اجتمعا عدي إلى الأول باللام فتقول " عفوت له عن ذنبه " ومنه الحديث عفوت لكم عن صدقه الخيل والرقيق وقال الزجاج : من عفي له أي من ترك له القتل بالدية.
وقال الأزهري : العفو في اللغة الفضل ومنه : { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالاقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } (البقرة : 912).
ويقال : عفوت لفلان بمال إذا أفضلت له وأعطيته ، وعفوت له عما لي عليه إذا تركته.
ومعنى الآية عند الجمهور : فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أن الفعل مسند إلى المصدر كما في سير بزيد بعض السير والأخ ولي المقتول.
وذكر بلفظ الأخوّة بعثاً له على العطف لما بينهما من الجنسية والإسلام ، ومن هو القاتل المعفو له عما جنى وترك المفعول الآخر استغناء عنه.
وقيل : أقيم " له " مقام " عنه " والضمير في له وأخيه لـ من ، وفي إليه للأخ أو للمتبع الدال عليه فاتباع لأن المعنى فليتبع الطالب القاتل بالمعروف بأن يطالبه مطالبة جميلة ، وليؤد إليه المطلوب أي القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يمطله ولا يبخسه.
وإنما قيل شيء من العفو ليعلم أنه إذا عفا عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص.
ومن فسر عفى بترك جعل شيء مفعولاً به ، وكذا من فسره بـ " أعطى " يعني أن الولي إذا أعطى له

شيء من مال أخيه يعني القاتل بطريق الصلح فليأخذه بمعروف من غير تعنيف ، وليؤده القاتل إليه بلا تسويف.

وارتفاع اتباع بأنه خبر مبتدأ مضمر أي فالواجب اتباع { ذَالِكَ } الحكم المذكور من العفو وأخذ الدية { تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ } [البقرة : 178] فإنه كان في التوراة القتل لا غير ، وفي الإنجيل العفو بغير بدل لا غير ، وأبيح لنا القصاص والعفو وأخذ المال بطريق الصلح توسعة وتيسيراً.

والآية تدل على أن صاحب الكبيرة مؤمن للوصف بالإيمان بعد وجود القتل ولبقاء الأخوّة الثابتة بالإيمان ولاستحقاق التخفيف والرحمة

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

{ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَالِكَ } [البقرة : 178] التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد

149

أخذ الدية { فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة : 178] نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة { وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَواةٌ } [البقرة : 179] كلام فصيح لما فيه من الغرابة ، إذ القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل ظرفاً للحياة.

وفي تعريف القصاص وتنكير الحياة بلاغة بينة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة لمنعه عما كانوا عليه من قتل الجماعة بواحد متى اقتدروا فكان القصاص حياة وأي حياة.

أو نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالقصاص من القاتل ، لأنه إذا هم بالقتل فتذكر الاقتصاص ارتدع فسلم صاحبه من القتل وهو من القود فكان شرع القصاص سبب حياة نفسين.

{ وَاتَّقُونِ يَاأُوْلِي الالْبَابِ } يا ذوي العقول { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة : 21] القتل حذراً من القصاص.

(102/1)

{ كُتِبَ } فرض { عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ } [البقرة : 180] أي إذا دنا منه فظهرت أمارته { إِن تَرَكَ خَيْرًا } [البقرة : 180] مالاً كثيراً لما روي عن علي رضي الله عنه إن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال : قال الله تعالى : إن ترك خيراً .

والخير هو المال الكثير وليس لك مال وفاعل كتب { الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالاقْرَبِينَ } [البقرة : 180] وكانت الوصية للوارث في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث كما بيناه في شرح المنار.

وقيل : هي غير منسوخة لأنها نزلت في حق من ليس بوارث بسبب الكفر لأنهم كانوا حديثي عهد

بالإسلام ، يسلم الرجل ولا يسلم أبواه وقرائبه ، والإسلام قطع الإرث فشرعت الوصية فيما بينهم قضاء لحق القرابة ندباً وعلى هذا لا يراد بكتب فرض { بِالْمَعْرُوفِ } بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث { حَقًّا } مصدر مؤكد أي حق ذلك حقاً { عَلَى الْمُتَّقِينَ } [البقرة : 180] على الذين يتقون الشرك { فَمَن بَدَّلَهُ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

البقرة : 181] فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقاً للشرع من الأوصياء والشهود { فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } أي الإيصاء { فَإِنَّمَآ إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُا } [البقرة : 181] فما إثم

150

التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ } [الحج : 75] لقول الموصي { عَلِيمٌ } بجور المبدل { فَمَنْ خَافَ } [البقرة : 182] علم وهذا شائع في كلامهم يقولون أخاف أن ترسل السماء ويريدون الظن الغالب الجاري مجرى العلم { مِن مُّوصٍ } [البقرة : 182] موصّ : كوفي غير حفص.

{ جَنَفًا } ميلاً عن الحق بالخطإ في الوصية { أَوْ إِثْمًا } [النساء : 112] تعمداً للحيف { فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ } [البقرة : 182] بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع { فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ } [البقرة : 173] حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر من يبدل بالباطل ، ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم.

وقيل : هذا في حال حياة الموصي أي فمن حضر وصيته فرآه على خلاف الشرع فنهاه عن ذلك وحمله على الصلاح فلا إثم على هذا الموصي بما قال أولاً { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة : 173]. { رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ } أي فرض { عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ } [البقرة : 183] هو مصدر صام والمراد صيام شهر رمضان { كَمَا كُتِبَ } [البقرة : 183] أي كتابة مثل ما كتب فهو صفة مصدر محذوف { عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ } [البقرة : 183] على الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام إلى عهدكم فهو عبادة قديمة ، والتشبيه باعتبار أن كل أحد له صوم أيام أي أنتم متعبدون بالصيام في أيام كما تعبد من كان قبلكم { لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة : 21] المعاصي بالصيام لأن الصيام أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء ، أو لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين إذ الصوم شعارهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

وانتصاب { أَيَّامًا } بالصيام أي كتب عليكم أن تصوموا أياماً { مَّعْدُودَاتٍ } موقتات بعدد معلوم أي قلائل وأصله أن المال القليل يقدر بالعدد لا الكثير

151

{ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا } [البقرة : 184] يخاف من الصوم زيادة المرض { أَوْ عَلَى سَفَرٍ } [النساء : 43] أو راكب سفر { فَعِدَّةٌ } فعليه عدة أي فأفطر فعليه صيام عدد أيام فطره ، والعدة بمعنى المعدود أي أمر أن يصوم أياماً معدودة مكانها { مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } [البقرة : 184] سوى أيام مرضه وسفره.

وأخر لا ينصرف للوصف والعدل عن الألف واللام لأن الأصل في " فعلى " صفة أن تستعمل في الجمع بالألف واللام كالكبرى والكبر والصغرى والصغر { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ } [البقرة : 184] وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا { فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } [البقرة : 184] نصف صاع من بر أو صاع من غيره ، فـ طعام بدل من فدية .

فدية طعام مساكين .

مدني وابن ذكوان.

وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الإفطار والفدية ، ثم نسخ التخيير بقوله : فمن شهد منكم الشهر فليصمه .

ولهذا كرر قوله : فمن كان منكم مريضاً أو على سفر .

لأنه لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذكر مع الناسخ ليدل على بقاء هذا الحكم.

وقيل : معناه لا يطيقونه فأضمر " لا " لقراءة حفصة كذلك وعلى هذا لا يكون منسوخاً.

{ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا } [البقرة : 184] فزاد على مقدار الفدية } فهو خيرٌ لّه } فالتطوع أو الخير خير له يطوع بمعنى يتطوع : حمزة وعلي { وَأَن تَصُومُوا } [البقرة : 184] أيها المطيقون { خَيْرٌ لَّكُمْ } [البقرة : 184] من الفدية وتطوع الخير وهذا في الابتداء.

وقيل : وأن تصوموا في السفر والمرض خير لكم لأنه أشق عليكم { إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة : 184] شرط محذوف الجواب.

{ شَهْرُ رَمَضَانَ } [البقرة : 185] مبتدأ خبره { الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ } [البقرة : 185] أي ابتدىء فيه إنزاله وكان في ليلة القدر أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله تعالى : كتب عليكم الصيام وهو بدل من الصيام أو خبر مبتدأ محذوف أي هو شهر.

والرمضان

152

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ، ومنع الصرف للتعريف والألف والنون ، وسموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته ، ولأنهم سموا الشهور بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر.

فإن قلت : ما وجه ما جاء في الحديث من صام رمضان إيماناً واحتساباً مع أن التسمية واقعة مع المضاف والمضاف إليه جميعاً؟ قلت : هو من باب الحذف لامن الإلباس.

القران حيث كان غير مهموز : مكي.

وانتصب { هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } [البقرة : 185] على الحال أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي إلى الحق ويفرق بين الحق والباطل ، ذكر أولاً أنه هدى ثم ذكر أنه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال.

{ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } [البقرة : 185] فمن كان شاهداً أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر.

والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في ليصمه ولا يكون مفعولاً به لأن المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر { وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ } [البقرة : 185] فعدة مبتدأ والخبر محذوف أي فعليه عدة أي صوم عدة { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ } [البقرة : 185] حيث أباح الفطر بالسفر والمرض { وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [البقرة : 185] ومن فرض الفطر على المريض والمسافر حتى لو صاما تجب عليهما الإعادة فقد عدل عن موجب هذا { وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ } [البقرة : 185] عدة ما أفطرتم بالقضاء إذا زال المرض والسفر ، والفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره لتعلموا ولتكملوا العدة { وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة : 185] شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر ، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص في إباحة الفطر.

فقوله : لتكملوا علة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص وهذا نوع من اللف اللطيف المسلك.

وعدي التكبير بـ " على " لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل : لتكبروا الله أي لتعظموه حامدين على ما هداكم إليه.

ولتكمّلوا بالتشديد : أبو بكر.

ولما قال إعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلّم : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ نزل

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } [البقرة : 186] علماً وإجابة لتعاليه عن القرب مكاناً { أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } [البقرة : 186] الداعي دعاني في الحالين : سهل ويعقوب ، ووافقهما أبو

عمرو ونافع غير قالون في الوصل.
غيرهم بغير ياء في الحالين.
ثم إجابة الدعاء وعد صدق من الله لا خلف فيه ، غير أن إجابة الدعوة تخالف قضاء الحاجة فإجابة الدعوة أن يقول العبد يا رب فيقول الله لبيك عبدي ، وهذا أمر موعود موجود لكل مؤمن وقضاء الحاجة إعطاء المراد وذا قد يكون ناجزاً وقد يكون بعد مدة وقد يكون في الآخرة وقد تكون الخبرة له في غيره { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى } [البقرة : 186] إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم { وَلْيُؤْمِنُوا بِى } [البقرة : 186] واللام فيهما للأمر { لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة : 186] ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد وهو ضد الغي.
كان الرجل إذا أمسى حل له الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد ، فإذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء إلى القابلة.
ثم إن عمر رضي لله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة ، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فأتى النبي عليه السلام وأخبره بما فعل فقال عليه السلام ما كنت جديراً بذلك فنزل { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ } [البقرة : 187] إي الجماع { إِلَى نِسَآئِكُمْ } [البقرة : 187] عدى بـ " إلى " لتضمنه معنى الإفضاء وإنما كنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح ولم يقل الإفضاء إلى نسائكم استقباحاً لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختياناً

(105/1)

لأنفسهم ، ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه بقوله تعالى : { هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ } [البقرة : 187] وقيل : لباس أي ستر عن الحرام ، وهن لباس لكم استئناف كالبيان لسبب الإحلال وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذا رخص لكم في مباشرتهن { عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 147
البقرة : 187] تظلمونها بالجماع وتنقصونها حظها من الخير.
والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة { فَتَابَ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 54] حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور { وَعَفَا عَنكُمْ } [البقرة : 187] ما فعلتم قبل الرخصة { أُحِلَّ لَكُمْ } [البقرة : 187] جامعوهن في ليالي الصوم وهو أمر إباحة وسميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرتيهما { وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } [البقرة : 187] واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة

أي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل ، أو وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الابْيَضُ } [البقرة : 187] هو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود { مِنَ الْخَيْطِ الاسْوَدِ } [البقرة : 187] وهو ما يمتد من سواد الليل شبهاً بخيطين أبيض وأسود لامتدادهما { مِنَ الْفَجْرِ } [البقرة : 187] بيان أن الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره ، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للآخر ، أو من للتبعيض لأنه بعض الفجر وأوله.
وقوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة وصيره تشبيهاً بليغاً كما أن قولك " رأيت أسداً " مجاز فإذا زدت " من فلان " رجع تشبيهاً.
وعن عدي ابن حاتم قال : عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادتي فنظرت إليهما فلم يتبين لي الأبيض من الأسود ، فأخبرت النبي عليه السلام بذلك فقال : إنك لعريض القفا أي سليم القلب لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته ، إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل.
وفي قوله { ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ } [البقرة : 187] أي الكف عن هذه الأشياء دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان ، وعلى جواز تأخير الغسل إلى الفجر ، وعلى نفي الوصال ، وعلى وجوب الكفارة في الأكل والشرب ، وعلى أن الجنابة لا تنافي الصوم { وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } [البقرة : 187] معتكفون فيها ، بيّن أن الجماع

(106/1)

يحل في ليالي رمضان لكن لغير المعتكف.
والجملة في موضع الحال ، وفيه دليل على أن الاعتكاف لا يكون إلا في المسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد { تِلْكَ } الأحكام التي ذكرت { حُدُودَ اللَّهِ } [البقرة : 229] أحكامه المحدودة { فَلا تَقْرَبُوهَا } [البقرة : 187] بالمخالفة والتغيير { كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ } [البقرة : 187] شرائعه { لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [البقرة : 187] المحارم.
{ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم } [البقرة : 188] أي لا يأكل بعضكم مال بعض { بِالْبَاطِلِ } بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه { وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ } [البقرة : 188] ولا تدلوا بها فهو مجزوم داخل في حكم النهي يعني ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام { لِتَأْكُلُوا } بالتحاكم { فَرِيقًا } طائفة { مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالاثْمِ } [البقرة : 188] بشهادة الزور أو بالأيمان الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضى له ظالم.

وقال عليه السلام للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إليّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإن ما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي.

وقيل : وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة.

يقال أدلى دلوه أي ألقاه في البئر للاستقاء.

{ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة : 22] أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه بالتوبيخ أحق.

جزء : 1 رقم الصفحة : 147

جزء : 1 رقم الصفحة : 156

قال معاذ بن جبل : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلىء ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة كالشمس؟ فنزل { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الاهِلَّةِ } [البقرة : 189] جمع هلال سمي به لرفع الناس أصواتهم عند

156

رؤيته { قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } [البقرة : 189] أي معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وأيام حيضهن ومدة حملهن وغير ذلك ، ومعالم للحج يعرف بها وقته.

كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ، فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته منه يدخل ويخرج ، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فنزل { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا } [البقرة : 189] أي ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ، ولا خلاف في رفع البر هنا لأن الآية ثمة تحتمل الوجهين كما بينا فجاز الرفع والنصب ثمة ، وهذه لا تحتمل إلا وجهاً واحداً وهو الرفع إذ الباء لا تدخل إلا على خبر " ليس " { وَلَاكِنَّ الْبِرَّ } [البقرة : 177] بر { مَنِ اتَّقَى } [البقرة : 189] ما حرم الله.

البيوت وبابه مدني وبصري وحفص وهو الأصل مثل كعب وكعوب ، ومن كسر الباء فلمكان الياء بعدها ولكن هي توجب الخروج من كسر إلى ضم وكأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها.

معلوم أن كل ما يفعله الله تعالى لا يكون إلا حكمة فدعوا السؤال عنه وانظروا في خصلة واحدة تفعلونها مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً ، فهذا وجه اتصاله بما قبله.

ويحتمل أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت الحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ، ويحتمل أن يكون هذا تمثيلاً لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره ، والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ، ولكن

البربر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله.
جزء : 1 رقم الصفحة : 156

(107/1)

{ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا } [البقرة : 189] وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا ، أو المراد وجوب الاعتقاد بأن جميع أفعاله تعالى حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارنة الشك { لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ } [الأنبياء : 23] (الأنبياء : 32) { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] فيم أمركم به ونهاكم عنه { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [البقرة : 189] لتفوزوا بالنعيم السرمدي.
{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 190] المقاتلة في سبيل الله الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين { الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ } [البقرة : 190] يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخاً بقوله تعالى : { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً } [التوبة : 36] (التوبة : 63) وقيل : هي أول آية نزلت في القتال فكان رسول
157
الله صلى الله عليه وسلّم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف ، أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء ، أو الكفرة كلهم لأنهم قاصدون لمقاتلة المسلمين فهم في حكم المقاتلة { وَلا تَعْتَدُوا } [البقرة : 190] في ابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عنه من النساء والشيوخ ونحوهما أو بالمثلة { إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ } وجدتموهم.
والثقف الوجود على وجه الأخذ والغلبة { وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ } [البقرة : 191] أي من مكة وعدهم الله تعالى فتح مكة بهذه الآية وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح { وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } [البقرة : 191] أي شركهم بالله أعظم من القتل الذي يحل بهم منكم.
وقيل : الفتنة عذاب الآخرة.
وقيل : المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان فيعذب به أشد عليه من القتل.
وقيل لحكيم : ما أشد من الموت؟ قال : الذي يتمنى فيه الموت.
فقد جعل الإخراج من الوطن من الفتن التي يتمنى عندها الموت.
جزء : 1 رقم الصفحة : 156
{ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ } [البقرة : 191] أي ولا تبدأوا بقتالهم في الحرم حتى يبدأوا فعندنا المسجد الحرم يقع على الحرم كله { فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ } [البقرة : 191] في

الحرم فعندنا يقتلون في الأشهر الحرم لا في الحرم إلا أن يبدأوا بالقتال معنا فحينئذ نقتلهم وإن كان ظاهر قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم يبيح القتل في الأمكنة كلها لكن لقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه خص الحرم إلا عند البداءة منهم كذا في شرح التأويلات { كَذَالِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 191] مبتدأ وخبر.

ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم : حمزة وعلي { فَإِنِ انتَهَوْا } [الانفال : 39] عن الشرك والقتال { فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ } [البقرة : 192] لما سلف من طغيانهم { رَّحِيمٌ } بقبول توبتهم وإيمانهم.

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ } [البقرة : 193] شرك وكان تامة وحتى بمعنى " كي " أو " إلى أن " { وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } [البقرة : 193] خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب أي لا يعبد دونه شيء 158

{ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ } [البقرة : 193] فإن امتنعوا عن الكفر فلا تقاتلوهم فإنه لا عدوان إلا على الظالمين ولم يبقوا ظالمين ، أو فلا تظلموا إلا الظالمين غير المنتهين ، سمى جزاء الظالمين ظلماً للمشاكلة كقوله { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ } [البقرة : 194].

قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة { الشَّهْرُ الْحَرَامُ } [البقرة : 194] مبتدأ خبره { بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ } [البقرة : 194] أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم { وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ } [البقرة : 194] أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بأن تهتك له حرمه ، فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله

(108/1)

جزء : 1 رقم الصفحة : 156

{ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } [البقرة : 194] من شرطية والباء غير زائدة والتقدير بعقوبة مماثلة لعدوانهم ، أو زائدة وتقديره عدواناً مثل عدوانهم { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [البقرة : 194] بالنصر { وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 195] تصدقوا في رضا الله وهو عام في الجهاد وغيره { وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } [البقرة : 195] أي أنفسكم والباء زائدة ، أو ولا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال " أهلك فلان نفسه بيده " إذا تسبب لهلاكها.

والمعنى النهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله لأنه سبب الهلاك ، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله ، أو عن الإخطار بالنفس ، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو والتهلكة والهلاك والهلك واحد { وَأَحْسِنُوا } الظن بالله في الإخلاف { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة

: 195] إلى المحتاجين.
159
{ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ } [البقرة : 196] وأدوهما تأمين بشرائطهما وفرائضهما لوجه الله تعالى بلا توان ولا نقصان.
وقيل : الإتمام يكون بعد الشروع فهو دليل على أن من شرع فيهما لزمه إتمامهما وبه نقول : إن العمرة تلزم بالشروع.
ولا تمسك للشافعي رحمه الله بالآية على لزوم العمرة لأنه أمر بإتمامها ، وقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع أو إتمامهما أن تحرم بهما من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل واحد منهما سفراً أو أن تنفق فيهما حلالاً أو أن لا تتجر معهما { فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ } [البقرة : 196] يقال أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف أو مرض أو عجز ، وحصر إذا حبسه عدو عن المضي.
وعندنا الإحصار يثبت بكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما لظاهر النص ، وقد جاء في الحديث من كسر أو عرج فقد حل أي جاز له أن يحل وعليه الحج من قابل.
وعند الشافعي رحمه الله : الإحصار بالعدو وحده.
وظاهر النص يدل على أن الإحصار يتحقق في العمرة أيضاً لأنه ذكر عقبهما { فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } [البقرة : 196] فما تيسر منه.
يقال يسر الأمر واستيسر كما يقال صعب واستصعب.
والهدي جمع هدية يعني فإن منعتم من المضي إلى البيت وأنتم محرمون بحج أو عمرة فعليكم إذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدى من بعير أو بقرة أو شاة " فما " رفع بالابتداء أي فعليكم ما استيسر ، أو نصب أي فأهدوا له ما استيسر
جزء : 1 رقم الصفحة : 156
{ وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ } الخطاب للمحصرين أي لا تحلوا بحلق الرأس حتى تعلموا أن الهدي الذي بعثتموه إلى الحرم بلغ محله أي مكانه الذي يجب نحره فيه وهو الحرم ، وهو حجة لنا في أن دم الإحصار لا يذبح إلا في الحرم على الشافعي رحمه الله إذ عنده يجوز في
160

غير الحرم { مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا } [البقرة : 184] فمن كان منكم به مرض يحوجه إلى الحلق { أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ } [البقرة : 196] وهو القمل أو الجراحة { فَفِدْيَةٌ } فعليه إذا حلق فدية { مِّن صِيَامٍ } [البقرة : 196] ثلاثة أيام { أَوْ صَدَقَةٍ } [البقرة : 196] على ستة مساكين لكل مسكين

نصف صاع من بر { أَوْ نُسُكٍ } [البقرة : 196] شاة وهو مصدر أو جمع نسيكة { فَإِذَآ أَمِنتُمْ } [البقرة : 239] الإحصار أي فإذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة { فَمَن تَمَتَّعَ } [البقرة : 196] استمتع { بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ } [البقرة : 196] واستمتاعه بالعمرة إلى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها إلى الله قبل انتفاعه بالتقرب بالحج.

وقيل : إذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرماً عليه إلى أن يحرم بالحج { فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ } [البقرة : 196] هو هدي المتعة ، وهو نسك يؤكل منه ويذبح يوم النحر.

{ فَمَن لَّمْ يَجِدْ } [البقرة : 196] الهدي { فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ } [البقرة : 196] فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت الحج وهو أشهره ما بين الإحرامين إحرام العمرة وإحرام الحج { وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ } [البقرة : 196] إذا نفرتم وفرغتم من أفعال الحج { تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ } [البقرة : 196] في وقوعها بدلاً من الهدي أو في الثواب ، أو المراد رفع الإبهام فلا يتوهم في الواو أنها بمعنى الإباحة كما في " جالس الحسن وابن سيرين " ، ألا ترى أنه لو جالسهما أو واحداً منهما كان ممتثلاً { ذَالِكَ } إشارة إلى التمتع عندنا إذ لا تمتع ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندنا ، وعند الشافعي رحمه الله إلى الحكم الذي هو وجوب الهدي أو الصيام ولم يوجب عليهم شيئاً { لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [البقرة : 196] هم أهل المواقيت فمن دونها إلى مكة { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] فيما أمركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [البقرة : 196] لمن لم يتقه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 156

{ الْحَجُّ } أي وقت الحج كقولك " البرد شهران " { أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ } [البقرة : 197] معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وهي شوال وذو القعدة وعشر ذو الحجة.

وفائدة توقيت الحج بهذه الأشهر أن شيئاً من أفعال الحج لا يصح إلا فيها وكذا الإحرام عند الشافعي رحمه الله ، وعندنا وإن انعقد لكنه مكروه ، وجمعت أي الأشهر لبعض الثالث ، أو لأن اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى : { فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } [التحريم : 4] (التحريم : 4)

161

(110/1)

{ فَمَن فَرَضَ } [البقرة : 197] ألزم نفسه بالإحرام { فِيهِنَّ الْحَجَّ } [البقرة : 197] في هذه الأشهر { فَلا رَفَثَ } [البقرة : 197] هو الجماع أو ذكره عند النساء أو الكلام الفاحش { وَلا فُسُوقَ } [البقرة : 197] هو المعاصي أو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق أو التنابز بالألقاب لقوله تعالى : { بِئْسَ اسْمُ الْفُسُوقُ } [الحجرات : 11] (الحجرات : 11) { وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } [البقرة :

197] ولامراء مع الرفقاء والخدم والمكارين.
وإنما أمر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لأنه مع الحج أسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن.
والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بأن لاتكون.
وقرأ أبو عمرو ومكي الأولين بالرفع فحملاهما على معنى النهي كأنه قيل : فلا يكونن رفث ولا فسوق ، والثالث بالنصب على معنى الإخبار بانتفاء الجدال كأنه قيل : ولا شك ولا خلاف في الحج.
ثم حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ، ومكان الفسوق البر والتقوى ، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة بقوله تعالى : { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ } [البقرة : 197] اعلم بأنه عالم به يجازيكم عليه ورد قول من نفى علمه بالجزئيات.
كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلاً على الناس فنزل فيهم { وَتَزَوَّدُوا } أي تزودوا واتقوا الاستطعام وإبرام الناس والتثقيل عليهم { فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } [البقرة : 197] أي الإتقاء عن الإبرام والتثقيل عليهم ، أو تزودوا للمعاد باتقاء المحظورات فإن خير الزاد اتقاؤها { وَاتَّقُونِ } وخافوا عقابي وهو مثل { دَعَانِ } (البقرة : 681) { يَاأُوْلِي الالْبَابِ } [البقرة : 197] يا ذوي العقول يعني أن قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الألباء فكأنه لا لب له.
جزء : 1 رقم الصفحة : 156
ونزل في قوم زعموا أن لا حج لجمال وتاجر وقالوا هؤلاء الداجّ وليسوا بالحاج { لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا } [البقرة : 198] في أن تبتغوا في مواسم الحج
162
{ فَضْلا مِّن رَّبِّكُمْ } [البقرة : 198] عطاء وتفضلاً وهو النفع والربح بالتجارة والكراء { فَإِذَآ أَفَضْتُم } [البقرة : 198] دفعتم بكثرة من إفاضة الماء وهو صبه بكثرة ، وأصله أفضنم أنفسكم فترك ذكر المفعول { مِّنْ عَرَفَاتٍ } [البقرة : 198] هي علم للموقف سمي بجمع كأذرعات.
وإنما صرفت لأن التاء فيها ليست للتأنيث بل هي مع الألف قبلها علامة جمع المؤنث ، وسميت بذلك لأنها وصفت لإبراهيم عليه السلام فلما رآها عرفها.
وقيل : التقى فيها آدم وحواء فتعارفا ، وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لأن الإفاصة لا تكون إلا بعده { فَاذْكُرُوا اللَّهَ } [البقرة : 198] بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات أو بصلاة المغرب والعشاء { عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ } [البقرة : 198] هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة.
والمشعر المعلم لأنه معلم العبادة ، ووصف بالحرام لحرمته.
وقيل : المشعر الحرام مزدلفة ، وسميت المزدلفة جمعاً لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع جواء وازدلف إليها أي دنا منها ، أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين ، أو لأن الناس يزدلفون إلى الله تعالى

أي يتقربون بالوقوف فيها { وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ } [البقرة : 198] ما مصدرية أوكافة اذكروه ذكراً حسناً كما هداكم هداية حسنة ، أو اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه { وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ } [البقرة : 198] من قبل الهدى { لَمِنَ الضَّآلِّينَ } [البقرة : 198] الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وإن مخففة من الثقيلة واللام فارقة { ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ } [البقرة : 199] ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس ولا تكن من المزدلفة.

قالوا : هذا أمر لقريش بالإفاضة من عرفات إلى جمع وكانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفات ويقولون : نحن قطان حرمه فلا نخرج منه.

وقيل : الإفاضة من عرفات مذكورة فهي الإفاضة من جمع إلى منى.

والمراد بالناس على هذا الجنس ويكون الخطاب للمؤمنين { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ } [البقرة : 199] من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم أو من تقصير في

أعمال الحج { إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة : 173] بكم { فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ } [البقرة : 200] فإذا فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحج ونفرتم { فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ } [البقرة : 200] أي فاذكروا الله ذكراً مثل ذكركم آباءكم.

والمعنى فأكثروا من ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم.

وكانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن أيامهم { أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا } [البقرة : 200] أي أكثر.

وهو في موضع جر عطف على ما أضيف إليه الذكر في قوله كذكركم كما تقولون كذكر قريش إباءهم أو قوم أشد منهم ذكراً وذكراً تمييز.

جزء : 1 رقم الصفحة : 156

{ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ } [البقرة : 200] فمن الذين يشهدون الحج من يسأل الله حظوظ الدنيا فيقول { رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا } [البقرة : 201] اجعل إيتاءنا أي إعطاءنا في الدنيا خاصة يعني الجاه والغنى { وَمَا لَهُ فِى الاخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ } [البقرة : 200] نصيب لأن همه مقصور على الدنيا لكفره بالآخرة.

والمعنى أكثروا ذكر الله ودعاءه لأن الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله إلا أغراض الدنيا ، ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين أي من الذين قيل فيهم { وَمِنْهُمْ } ومن الذين يشهدون الحج { مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً } [البقرة : 201] نعمة وعافية ، أو علماً وعبادة.

{ وَفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً } [البقرة : 201] عفواً ومغفرة ، أو المال والجنة ، أو ثناء الخلق ورضا الحق ،

أو الإيمان والأمان ، أو الإخلاص والخلاص ، أو السنة والجنة ، أو القناعة والشفاعة ، أو المرأة الصالحة والحور العين ، أو العيش على سعادة والبعث من القبور على بشارة.

{ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة : 201] احفظنا من عذاب جهنم ، أو عذاب النار امرأة السوء.

{ أُوالَئِكَ } أي الداعون بالحسنتين { لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا } [البقرة : 202] من جنس ما كسبوا من الأعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة ، أو من أجل ما كسبوا ،

164

وسمى الدعاء كسباً لأنه من لأعمال والأعمال موصوفة بالكسب ، ويجوز أن يكون أولئك للفريقين وأن لكل فريق نصيباً من جنس ما كسبوا { وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [البقرة : 202] يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا إكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر من نقمته.

وروي أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي في مقدار لمحة.

جزء : 1 رقم الصفحة : 156

جزء : 1 رقم الصفحة : 165

(112/1)

{ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ } [البقرة : 203] هي أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في أدبار الصلوات وعند الجمار { فَمَن تَعَجَّلَ } [البقرة : 203] فمن عجل في النفر أو استعجل النفر.

وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل.

يقال تعجل في الأمر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تأخر { فِى يَوْمَيْنِ } [البقرة : 203] من هذه الأيام الثلاثة فلم يمكث حتى يرمي في اليوم الثالث واكتفى برمي الجمار في يومين من هذه الأيام الثلاثة { فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ } [البقرة : 173] فلا يأثم بهذا التعجل { وَمَن تَأَخَّرَ } [البقرة : 203] حتى رمى في اليوم الثالث { فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى } [البقرة : 203] الصيد أو الرفث والفسوق أو هو مخير في التعجل.

والتأخر وإن كان التأخر أفضل فقد يقع التخيير بين الفاضل والأفضل كما خير المسافر بين الصوم والإفطار وإن كان الصوم أفضل.

وقيل : كان أهل الجاهلية فريقين منهم من جعل المتعجل آثماً ومنهم من جعل المتأخر آثماً فورد القرآن بنفي المأثم عنهما { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] في جميع الأمور { وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } [البقرة : 203] حين يبعثكم من القبور.

كان الأخنس بن شريق حلو المنطق إذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلّم ألان له القول وادعى أنه

يحبه وأنه مسلم وقال يعلم الله أني صادق فنزل فيه.
{ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ } [البقرة : 204] يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس { فِي الْحَيَواةِ الدُّنْيَا } [التوبة : 55] في يتعلق بالقول أي يعجبك ما يقول في معنى الدنيا لأنه يطلب بادعاء المحبة حظ الدنيا ولا يريد به الآخرة ، أو بـ " يعجبك " أي يعجبك حلو كلامه في الدنيا لا في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة
165
{ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِى قَلْبِهِ } [البقرة : 204] أي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الإسلام { وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 165
البقرة : 204] شديد الجدال والعداوة للمسلمين ، والخصام والمخاصمة والإضافة بمعنى في لأن " أفعل " يضاف إلى ما هو بعضه تقول : زيد أفضل القوم ولا يكون الشخص بعض الحدث فتقديره ألد في الخصومة ، أو الخصام جمع خصم كصعب وصعاب والتقدير : وهو أشد الخصوم خصومة.
{ وَإِذَا تَوَلَّى } [البقرة : 205] عنك وذهب بعد إلانة القول وإحلاء المنطق { سَعَى فِى الارْضِ لِيُفْسِدَ } [البقرة : 205] كما فعل بثقيف فإنه كان بينه وبينهم خصومة فبيتهم ليلاً وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم { فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ } [البقرة : 205] أي الزرع والحيوان ، أو إذا كان والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل.
وقيل : يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الخرث والنسل.
{ لَهُ } للأخنس { اتَّقِ اللَّهَ } [البقرة : 206] في الإفساد والإهلاك { أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالاثْمِ } [البقرة : 206] حملته النخوة وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه وألزمته ارتكابه ، أو الباء للسبب أي أخذته العزة من أجل الإثم الذي في قلبه وهو الكفر { فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ } [البقرة : 206] أي كافيه { وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ } [البقرة : 206] أي الفراش جهنم.
ونزل في صهيب حين أراده المشركون على ترك الإسلام وقتلوا نفراً كانوا معه فاشترى نفسه بماله منهم وأتى المدينة ، أو فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ } [البقرة : 207] يبيعها { ابْتِغَآءَ } لابتغاء { مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ } [البقرة : 207] حيث أثابهم على ذلك
166

{ بِالْعِبَادِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ } وبفتح السين حجازي وعلي ، وهو الاستسلام والطاعة أي استسلموا لله وأطيعوه أو الإسلام ، والخطاب لأهل الكتاب لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم ، أو للمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم { كَآفَّةً } لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته حال من الضمير في ادخلوا أي جميعاً ، أو من السلم لأنها تؤنث كأنهم أمروا أن يدخلوا في الطاعات كلها ، أو في شعب الإسلام وشرائعه كلها ، وكافة من الكف كأنهم كفوا أن يخرج منهم أحد باجتماعهم { وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } [البقرة : 168] وساوسه { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } [البقرة : 168] ظاهر العداوة { فَإِن زَلَلْتُم } [البقرة : 209] ملتم عن الدخول في السلم { مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ } [البقرة : 209] أي الحجج الواضحة والشواهد اللائحة على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق { فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } [البقرة : 209] غالب لا يمنعه شيء من عذابكم { حَكِيمٌ } لا يعذب إلا بحق.

وروي أن قارئاً قرأ " غفور رحيم " فسمعه أعرابي لم يقرأ القرآن فأنكره وقال ليس هذا من كلام الله إذ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل والعصيان لأنه إغراء عليه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 165

{ هَلْ يَنظُرُونَ } [الأنعام : 158] ما ينتظرون { إِلا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ } [البقرة : 210] أي أمر الله وبأسه كقوله : { أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ } [النحل : 33] (النحل : 33).

{ فَجَآءَهَا بَأْسُنَا } [الأعراف : 4] (الأعراف : 4) أو المأتي به محذوف بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه للدلالة عليه بقوله : فاعلموا أن الله عزيز { فِي ظُلَلٍ } [البقرة : 210] جمع ظلة وهي ما أظلك { مِّنَ الْغَمَامِ } [البقرة : 210] الحساب.

وهو للتهويل إذ الغمام مظنة الرحمة أنزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول { وَالْمَلَائكَةِ } أي وتأتي الملائكة الذين وكلوا بتعذيبهم أو المراد حضورهم يوم القيامة { وَقُضِىَ الامْرُ } [هود : 44] أي وتم أمر إهلاكهم وفرغ منه { وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ } [البقرة : 210] أي أنه ملّك العباد بعض الأمور فترجع إليه الأمور يوم النشور.

ترجع الأمور حيث كان : شامي وحمزة وعلي.

167

{ سَلْ } أصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة إلى السين بعد حذفها واستغني عن همزة الوصل فصار " سل " .

وهو أمر للرسول أو لكل أحد وهو سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيامة.

{ بَنِى إِسْرَاءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَاهُم مِّنْ ءَايَة بَيِّنَةٍ } [البقرة : 211] على أيدي أنبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الإسلام.

وكم استفهامية أو خبرية { وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ } [البقرة : 211] هي آياته وهي أجل نعمة من الله لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم إياها ، إن الله أظهرها لتكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله { فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ } [التوبة : 125] (التوبة : 521) أو حرفوا آيات

الكتب الدالة على دين محمد عليه السلام { مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ } [البقرة : 211] من بعد ما عرفها وصحت عنده لأنه إذا لم يعرفها فكأنها غائبة عنه { فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [البقرة : 211] لمن استحقه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 165

(114/1)

{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَواةُ الدُّنْيَا } [البقرة : 212] المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها ، أو الله تعالى يخلق الشهوات فيهم ولأن جميع الكائنات منه ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا { وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [البقرة : 212] كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها { وَالَّذِينَ اتَّقَوْا } [البقرة : 212] عن الشرك وهم هؤلاء الفقراء { فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [البقرة : 212] لأنهم في جنة عالية وهم في نار هاوية { وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [البقرة : 212] بغير تقتير يعني أنه يوسع على من أراد التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره ، وهذه التوسعة عليكم من الله لحكمة وهي استدارجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان المؤمنون أحق بها منكم

168

{ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً } [البقرة : 213] متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح عليهما السلام ، أو هم نوح ومن كان معه في السفينة فاختلفوا { فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيّانَ } [البقرة : 213] ويدل على حذفه قوله تعالى : { لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } [البقرة : 213] (البقرة : 312) وقراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وقوله تعالى : { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا } [يونس : 19] (يونس : 91) أو كان الناس أمة واحدة كفاراً فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والأول الأوجه { مُبَشِّرِينَ } بالثواب للمؤمنين { وَمُنذِرِينَ } بالعقاب للكافرين وهما حالان { وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ } [البقرة : 213] أي مع كل واحد منهم كتابه { بِالْحَقِّ } بتبيان الحق { لِيَحْكُمَ } الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه { بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 165

البقرة : 213] في دين الإسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق.

{ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ } [البقرة : 213] في الحق { إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ } [البقرة : 213] أي الكتاب المنزل لإزاله الاختلاف أي ازدادوا في الاختلاف لما أنزل عليهم الكتاب { مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ } [البقرة : 213] على صدقه { بَغْيَا بَيْنَهُمْ } [الجاثية : 17] مفعول له أي حسداً بينهم وظلماً لحرصهم

على الدنيا وقلة إنصاف منهم { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } [البقرة : 213] أي هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف فيه { مِنَ الْحَقّ } [البقرة : 213] بيان لما اختلفوا فيه { بِإِذْنِهِ } بعلمه { وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [البقرة : 213] { أَمْ حَسِبْتُمْ } [التوبة : 16] أم منقطعة لا متصلة لأن شرطها أن يكون قبلها همزة الاستفهام كقولك " أعندك زيد أم عمرو " أي أيهما عندك؟ وجوابه زيد إن كان عنده زيد ، أوعمرو إن كان عنده عمرو.

وأما " أم " المنقطعة فتقع بعد الاستفهام وبعد الخبر وتكون بمعنى بل والهمزة ، والتقدير : بل أحسبتم ومعنى الهمزة فيها للتقرير وإنكار الحسبان واستبعاده.

لما ذكر ما كانت عليه الأمم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات

169

(115/1)

تشجيعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين وأهل الكتاب وإنكارهم لآياته وعداوتهم له ، قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم { أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم } [البقرة : 214] أي ولم يأتكم وفي لما معنى التوقع يعني أن إتيان ذلك متوقع منتظر.

{ مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا } [البقرة : 214] مضوا أي حالهم التي هي مثل في الشدة { مِن قَبْلِكُمْ } [المائدة : 5] من النبيين والمؤمنين { مَّسَّتْهُمُ } بيان للمثل وهو استئناف كأن قائلاً قال : كيف كان ذلك المثل فقيل : مستهم { الْبَأْسَآءِ } أي البؤس { وَالضَّرَّآءِ } المرض والجوع { وَزُلْزِلُوا } وحركوا بأنواع البلايا وأزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة { حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ } [البقرة : 214] إلى الغاية التي قال الرسول ومن معه من المؤمنين فيها { مَتَى نَصْرُ اللَّهِ } [البقرة : 214] أي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ، ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة فقيل لهم { أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة : 214] إجابة لهم إلى طلبهم من عاجل النصر.

يقول بالرفع : نافع على حكاية حال ماضية نحو " شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه " .

وغيره بالنصب على إضمار " أن " ومعنى الاستقبال لأن " أن علم له.

ولما قال عمرو بن الجموح وهو شيخ كبير وله مال عظيم : ماذا ننفق من أموالنا وأين نضعها؟ نزل.

جزء : 1 رقم الصفحة : 165

{ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالاقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [البقرة : 215] فقد تضمن قوله ما أنفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير ، وبنى الكلام على

ما هو أهم وهو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها عن الحسن هي في التطوع { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [البقرة : 215] فيجزى عليه { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ } [البقرة : 246] فرض عليكم جهاد الكفار { وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ } [البقرة : 216]
170
من الكراهة فوضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها :
فإنما هي إقبال وإدبار كأنه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له أوهو فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أي وهو مكروه لكم { وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } [البقرة : 216] فأنتم تكرهون الغزو وفيه إحدى الحسنيين إما الظفر والغنيمة وإما الشهادة والجنة { وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا } [البقرة : 216] وهو القعود عن الغزو { وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ } [البقرة : 216] لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر { وَاللَّهُ يَعْلَمُ } [محمد : 26] ما هو خير لكم { وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 216] ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شق عليكم ، ونزل في سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقاتلوا المشركين وقد أهل هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك فقالت قريش : قد استحل محمد عليه السلام الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف.
جزء : 1 رقم الصفحة : 170
{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ } [البقرة : 217] أي يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام.
{ قِتَالٍ فِيهِ } [البقرة : 217] بدل الاشتمال من الشهر .
وقرىء عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله : للذين استضعفوا لمن آمن منهم.
{ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ } [البقرة : 217] أي إثم كبير.
قتال مبتدأ وكبير خبره وجاز الابتداء بالنكرة لأنها قد وصفت بـ فيه وأكثر الأقاويل على أنها منسوخة بقوله تعالى : { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ } [التوبة : 5] (التوبة : 5).
{ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 217] أي منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه عن البيت عام الحديبية وهو مبتدأ { وَكُفْرٌ بِهِ } [البقرة : 217] أي بالله عطف على صد { وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } [الحج : 25] عطف على سبيل الله أي وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام.
وزعم الفراء أنه معطوف على الهاء في به أي كفر به وبالمسجد الحرام ، ولا
171

يجوز عن البصريين العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار فلا تقول : مررت به وزيد ولكن تقول وبزيد ، ولو كان معطوفاً على الهاء هنا لقيل وكفر به وبالمسجد الحرام.
{ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ } [البقرة : 217] أي أهل المسجد الحرام وهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمؤمنون وهو عطف على صد أيضاً { مِنْهُ } من المسجد الحرام وخبر الأسماء الثلاثة { أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ } [البقرة : 217] أي مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطإ والبناء على الظن { وَالْفِتْنَةُ } الإخراج أو الشرك { أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ } [البقرة : 217] في الشهر الحرام ، أو تعذيب الكفار المسلمين أشد قبحاً من قتل هؤلاء المسلمين في الشهر الحرام { وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ } [البقرة : 217] أي إلى الكفر وهو إخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم.
وحتى } معناها التعليل نحو " فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة " أي يقاتلونكم كي يردوكم.
وقوله تعالى :
جزء : 1 رقم الصفحة : 170
{ إِنِ اسْتَطَاعُوا } [البقرة : 217] استبعاد لاستطاعتهم كقولك لعدوك " إن ظفرت بي فلا تبق علي " وأنت واثق بأنه لا يظفر بك { وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ } [البقرة : 217] ومن يرجع عن دينه إلى دينهم { فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ } [البقرة : 217] أي يمت على الردة { فَأُوالَـائِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالاخِرَةِ } [البقرة : 217] لما يفوتهم بالردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الإسلام وفي الآخرة من الثواب وحسن المآب { وَأُوالَـائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : 217] وبها احتج الشافعي رحمه الله على أن الردة لا تحبط العمل حتى يموت عليها.
وقلنا : قد علق الحبط بنفس الردة بقوله تعالى : { وَمَن يَكْفُرْ بِالايمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } [المائدة : 5] (المائدة : 5) والأصل عندنا أن المطلق لا يحمل على المقيد ، وعنده يحمل عليه فهو بناء على هذا.
ولما قالت السرية أيكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله نزل { إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا } [البقرة : 218] تركوا مكة وعشائرهم { وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 218] المشركين ولا وقف عليه لأن { أُوالَـائِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ } خبر " إن " .
قيل : من رجا طلب ومن خاف هرب { وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة : 218] نزل في الخمر أربع آيات نزل بمكة :
172
{ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالاعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا } [النحل : 67] (النحل : 76).
فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ، ثم إن عمر ونفراً من الصحابة قالوا : يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزل :
جزء : 1 رقم الصفحة : 170

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } [البقرة : 219] فشربها قوم وتركها آخرون ، ثم دعا عبد الرحمن بن عوف جماعة فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ " قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون " فنزل { لا تَقْرَبُوا الصَّلَواةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى } [النساء : 43] (النساء : 34) فقل من يشربها ، ثم دعا عتبان بن مالك جماعة فلما سكروا منها تخاصموا وتضاربوا فقال عمر : اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزل { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ } [المائدة : 90] إلى قوله { فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ } [المائدة : 91] (المائدة : 19) فقال عمر : انتهينا يا رب.

وعن علي رضي الله عنه : لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ، ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه.

والخمر ما غلى واشتد وقذف بالزبد منع عصير العنب ، وسميت بمصدر خمره خمراً إذا ستره لتغطيتها العقل.

والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد من فعله يقال يسرته إذا أقمرته ، واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة بلا كد وتعب ، أو من اليسار كأنه سلب يساره.

وصفة الميسر أنه كانت لهم عشرة أقداح سبعة منها عليها خطوط وهو الفذ وله سهم ، والتوأم وله سهمان ، والرقيب وله ثلاثة ، والحلس وله أربعة ، والنافس وله خمسة ، والمسبل وله ستة ، والمعلى وله سبعة ، وثلاثة أغفال لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد ، فيجعلون الأقداح

في خريطة ويضعونها على يد عدل ثم يجلجلها ويدخل يده ويخرج باسم رجل قدحاً قدحاً منها ، فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ، ومن خرج له قدح ما لا نصيب له لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله ، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ، وفي حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما ، والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل { قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ } [البقرة : 219] بسبب التخاصم والتشاتم وقول الفحش والزور كثير : حمزة وعلي.

{ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ } [البقرة : 219] بالتجارة في الخمر والتلذذ بشربها ، وفي الميسر بارتفاق الفقراء أو نيل المال بلا كد { وَإِثْمُهُمَآ } وعقاب الإثم في تعاطيهما { أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا } [البقرة : 219] لأن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيها الآثام من وجوه كثيرة.

{ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ } [البقرة : 219] أي الفضل أي أنفقوا ما فضل عن قدر الحاجة ، وكان التصدق بالفضل في أول الإسلام فرضاً فإذا كان الرجل صاحب زرع أمسك قوت سنة

وتصدق بالفضل ، وإذا كان صانعاً أمسك قوت يومه وتصدق بالفضل فنسخت بآية الزكاة.
العفو : أبو عمرو ؛ فمن نصبه جعل ماذا اسماً واحداً في موضع النصب بـ ينفقون والتقدير : قل ينفقون العفو ، ومن رفعه جعل ما مبتدأ وخبره ذا مع صلته فذا بمعنى " الذين " وينفقون صلته أي ما الذي ينفقون فجاء الجواب العفو أي هو العفو فإعراب الجواب كإعراب السؤال ليطابق الجواب السؤال.
{ كَذَالِكَ } الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف أي تبييناً مثل هذا التبيين { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الايَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِى الدُّنْيَا } أي في أمر الدنيا { وَالاخِرَةِ } وفي يتعلق بتتفكرون أي تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتأخذون بما أصلح لكم ، أو تتفكرون في الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ، ويجوز أن يتعلق بـ يبين أي يبين لكم الآيات في أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون.
ولما نزل { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا } [النساء : 10] (النساء : 01) اعتزلوا اليتامى وتركوا

(118/1)

مخالطتهم والقيام بأموالهم وذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم فنزل.
{ فِى الدُّنْيَا وَالاخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ } [البقرة : 220] أي مداخلتهم على وجه الإصلاح لهم ولأموالهم خير من مجانبتهم { وَإِن تُخَالِطُوهُمْ } [البقرة : 220] وتعاشروهم ولم تجانبوهم { فَإِخْوَانُكُمْ } فهم إخوانكم في الدين ومن حق الأخ أن يخالط أخاه { وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ } [البقرة : 220] لأموالهم { مِنَ الْمُصْلِحِ } [البقرة : 220] لها فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الإصلاح { وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ } [البقرة : 220] إعناتكم { لاعْنَتَكُمْ } لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم { أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } [البقرة : 209] غالب يقدر على أن يعنت عباده ويحرجهم { حَكِيمٌ } لا يكلف إلا وسعهم وطاقتهم.
ولما سأل مرثد النبي صلى الله عليه وسلّم عن أن يتزوج عناق وكانت مشركة نزل { وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ } [البقرة : 221] أي لا تتزوجوهن.
يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره زوجه { وَلامَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ } [البقرة : 221] ولو كان الحال أن المشركة تعجبكم وتحبونها { وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ } [البقرة : 221] ولا تزوجوهم بمسلمة كذا قاله الزجاج.
وقال جامع العلوم : حذف أحد المفعولين والتقدير ولا تنكحوهن المشركين { حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ

خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ } [البقرة : 221].

ثم بين علة ذلك فقال { أُولَـائِكَ } وهو إشارة إلى المشركات والمشركين { يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } [البقرة : 221] إلى الكفر الذي هو عمل أهل النار فحقهم أن لا يوالوا ولا يصاهروا { وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ } [البقرة : 221] أي وأولياء الله وهم المؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة وما يوصل إليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم { بِإِذْنِهِ } بعلمه أو بأمره { وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [البقرة : 221] يتعظون.

جزء : 1 رقم الصفحة : 173

كانت العرب لم يؤاكلوا الحائض ولم يشاربوها ولم يساكنوها كفعل اليهود

175

والمجوس ، فسأل أبو الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن ذلك وقال : يا رسول الله كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزل { وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ } [البقرة : 222] هو مصدر يقال حاضت محيضاً كقولك " جاء مجيئاً " { قُلْ هُوَ أَذًى } [البقرة : 222] أي المحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه { فَاعْتَزِلُوا النِّسَآءَ فِي الْمَحِيضِ } [البقرة : 222] فاجتنبوهن أي فاجتنبوا مجامعتهن. وقيل : إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض ، واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء ، فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين.

ثم عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله يجتنب ما اشتمل عليه الإزار ، ومحمد رحمه الله لا يوجب إلا اعتزال الفرج.

وقالت عائشة رضي الله عنها : يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك.

{ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ } [البقرة : 222] مجامعين أو ولا تقربوا مجامعتهن { حَتَّى يَطْهُرْنَ } [البقرة : 222] بالتشديد كوفي غير حفص أي يغتسلن وأصله " يتطهرون " فأدغم التاء في الطاء لقرب مخرجيهما. غيرهم يطهرن أي ينقطع دمهن ، والقراءتان كآيتين فعملنا بهما وقلنا له أن يقربها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل عملاً بقراءة التخفيف ، وفي أقل منه لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت الصلاة عملاً بقراءة التشديد ، والحمل على هذا أولى من العكس لأنه حينئذ يجب ترك العمل بإحداهما لما عرف ، وعند الشافعي رحمه الله لا يقربها حتى تطهر وتتطهر دليله قوله تعالى : { فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ } [البقرة : 222] فجامعوهن فجمع بينهما { مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ } [البقرة : 222] من المأتى الذي أمركم الله به وحلله لكم وهو القبل { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } [البقرة : 222] من ارتكاب ما نهوا عنه أو العوادين إلى الله تعالى وإن زلوا فزلوا والمحبة لمعرفته بعظم عفو الله حيث لا ييأس { وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [البقرة : 222] بالماء أو المتنزهين من أدبار النساء أو من الجماع في الحيض أو من الفواحش.

جزء : 1 رقم الصفحة : 173
كان اليهود يقولون إذا أتى الرجل أهله باركة أتى الولد أحول فنزل { نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ } [البقرة : 223] مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث
176
تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور والولد بالنبات ، ووقع قوله نساؤكم حرث لكم بياناً وتوضيحاً لقوله : فأتوهن من حيث أمركم الله .
أي إن المأتى الذي أمركم الله به هو مكان الحرث لا مكان الفرث تنبيهاً على أن المطلوب الأصلي في الإتيان هو طلب النسل لإقضاء الشهوة فلا تأتوهن إلا من المأتي الذي نيط به هذا المطلوب { فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة : 223] جامعوهن متى شئتم أو كيف شئتم باركة أو مستلقية أو مضطجعة بعد أن يكون المأتي واحداً وهو موضع الحرث وهو تمثيل ، أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة.
وقوله : هو أذى فاعتزلوا النساء ، من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم .
من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة ، فعلى كل مسلم أن يتأدب بها ويتكلف مثلها في المحاورات والمكاتبات { وَقَدِّمُوا لانفُسِكُمْ } [البقرة : 223] ما يجب تقديمه من الأعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه ، أو هو طلب الولد أو التسمية على الوطء { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] فلا تجترئوا على المناهي { وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ } [البقرة : 223] صائرون إليه فاستعدوا للقائه { وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ } [البقرة : 223] بالثواب يا محمد.
وإنما جاء يسألونك ثلاث مرات بلا واو ثم مع الواو ثلاثاً لأن سؤالهم عن تلك الحوارث الأول كأنه وقع في أحوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لأن كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ ، وسألوا عن الحوادث الأخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع.
لذلك.
جزء : 1 رقم الصفحة : 173
{ وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لايْمَانِكُمْ } [البقرة : 224] العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الإناء فيتعرض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً منه.
تقول فلان عرضة دون الخير ، وكان الرجل يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو إصلاح ذات بين أو إحسان إلى أحد أوعبادة ثم يقول : أخاف الله أن أحنث في يميني فيترك البرّ إرادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أي حاجزاً لما حلفتم عليه ، وسمي المحلوف عليه يميناً بتلبسه باليمين كقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً
177
منها فليكفر عن يمينه .

وقوله { أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ } [البقرة : 224] عطف بيان لأيمانكم أي للأمور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

واللام تتعلق بالفعل أي ولا تجعلوا الله لأيمانكم برزخاً ، ويجوز أن تكون اللام للتعليل ويتعلق أن تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لأجل أيمانكم به عرضة لأن تبروا والله سميعٌ لأيمانكم عليمٌ بنياتكم.

{ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ } [البقرة : 225] اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ، ولغو اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الأيمان وهو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه والأمر بخلافه ، والمعنى لا يعاقبكم بلغوا اليمين الذي يحلفه أحدكم ، وعند الشافعي رحمه الله هو ما يجري على لسانه من غير قصد للحلف نحو " لا والله " و " بلى والله " .

جزء : 1 رقم الصفحة : 177

(120/1)

{ وَلَـاكِن يُؤَاخِذُكُم } [المائدة : 89] ولكن يعاقبكم { بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ } [البقرة : 225] بما اقترفته من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وهو أن يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهو اليمين الغموس ، وتعلق الشافعي بهذا النص على وجوب الكفارة في الغموس لأن كسب القلب العزم والقصد ، والمؤاخذة غير مبينة هنا وبينت في المائدة فكان البيان ثمة بياناً هنا ، وقلنا : المؤاخذة هنا مطلقة.

وهي في دار الجزاء والمؤاخذة ثم مقيدة بدار الابتلاء فلا يصح حمل البعض على البعض { وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة : 225] حيث لم يؤاخذكم باللغو في أيمانكم.

{ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ } [البقرة : 226] يقسمون وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ومن في { مِن نِّسَآئِهِمْ } [البقرة : 226] يتعلق بالجار والمجرور أي للذين كما تقول لك مني نصرة ولك مني معونة أي للمؤلين من نسائهم { تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ } [البقرة : 226] أي استقر للمؤلين ترقب أربعة أشهر لا بـ يؤلون لأن آلى يعدّى بـ " على " يقال آلى فلان على امرأته ، وقول القائل " آلى فلان من امرأته " وهم توهمه من هذه الآية.

ولك أن تقول عدّي بـ " من " لما في هذا القسم من معنى البعد فكأنه قيل : يبعدون من نسائهم { فَإِن فَآءُو } [البقرة : 226] في الأشهر لقراءة عبد الله فإن فاءوا فيهن أي رجعوا إلى الوطء عن الإصرار بتركه { فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [البقرة : 192] حيث شرع الكفارة

178

{ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ } [البقرة : 227] بترك الفيء فتربصوا إلى مضي المدة { فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ } [البقرة

: 227] لايلائه { عَلِيمٌ } بنيته وهو وعيد على إصرارهم وتركهم الفيئة ، وعند الشافعي رحمه الله معناه فإن فاءوا وإن عزموا بعد مضي المدة لأن الفاء للتعقيب.

وقلنا قوله : فإن فاءوا " .

وإن عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول : أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقمت عندكم إلى آخره وإلا لم أقم إلا ريثما أتحول.

{ وَالْمُطَلَّقَاتُ } أراد المدخول بهن من ذوات الأقراء.

{ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ } [البقرة : 234] خبر في معنى الأمر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات ، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجوداً ، ونحوه قولهم في الدعاء " رحمك الله " أخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها.

وبناؤه على المبتدأ مما زاده أيضاً فضل تأكيد لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبات بخلاف الفعلية.

وفي ذكر الأنفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث ، لأن أنفس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن أن يقمعن أنفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص.

جزء : 1 رقم الصفحة : 177

{ ثَلَاثَةَ قُرُواءٍ } [البقرة : 228] جمع قرء أو قرء وهو الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران.

وقوله تعالى : { وَالَّائِى يَائِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآ ئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ } [الطلاق : 4] (الطلاق : 4).

فأقام الأشهر مقام الحيض دون الأطهار ، ولأن المطلوب من العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرأ به الأرحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة ، ولأنه لو كان ظهراً ـ كما قال الشافعي ـ لانقضت العدة بقرأين وبعض الثالث فانتقص العدد عن الثلاثة ، لأنه إذا طلقها لآخر الطهر فذا محسوب من العدة عنده ، وإذا طلقها في آخر الحيض فذا غير مسحوب من العدة عندنا ، والثلاث اسم

179

خاص لعدد مخصوص لا يقع على ما دونه.

ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وامرأة مقرىء.

وانتصاب ثلاثة على أنه مفعول به أي يتربصن مضي ثلاثة قروء أو على الظرف أي يتربصن مدة ثلاثة قروء ، وجاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الأقراء لاشتراكهما في الجمعية اتساعاً ، ولعل القروء كانت أكثر استعمالاً في جمع قرء من الأقراء فأوثر عليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل.

{ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ } [البقرة : 228] من الولد أو من دم الحيض أو منهما ، وذلك إذا أرادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها أن تضع ، ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها ، أو كتمت حيضها وقالت ـ وهي حائض ـ قد طهرت استعجالاً للطلاق ، ثم عظم فعلهن فقال { إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ } [البقرة : 228] لأن من آمن بالله وبعقابه لا يجترىء على مثله من العظائم { وَبُعُولَتُهُنَّ } البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع { أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ } [البقرة : 228] أي أزواجهن أولى برجعتهن ، وفيه دليل أن الطلاق الرجعي لا يحرم الوطء حيث سماه زوجاً بعد الطلاق { فِي ذَالِكَ } [البقرة : 228] في مدة ذلك التربص ، والمعنى أن الرجل إن أراد الرجعة وأبتها المرأة وجب إيثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا أن لها حقاً في الرجعة { إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا } لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن { وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ } [البقرة : 228] ويجب لهن من الحق على الرجال من المهر والنفقة وحسن العشرة وترك المضارة مثل الذي يجب لهم عليهن من الأمر والنهي { بِالْمَعْرُوفِ } بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس ، فلا يكلف أحد الزوجين صاحبه ما ليس له.

والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل ، فلا يجب عليه إذا غسلت ثيابه أو خبزت له أن يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال { وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ } [البقرة : 228] زيادة في الحق وفضيلة بالقيام بأمرها وإن اشتركا في اللذة والاستمتاع أو بالإنفاق وملك النكاح { وَاللَّهُ عَزِيزٌ } [البقرة : 228] لا يعترض عليه في أموره { حَكِيمٌ } لا يأمر إلا بما هو صواب وحسن.

جزء : 1 رقم الصفحة : 177

{ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ } [البقرة : 229] الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم أي

180

التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع ، والإرسال دفعة واحدة.

ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله { ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } [الملك : 4] (الملك : 4) أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين وهو دليل لنا في أن الجمع بين الطلقتين والثلاثة بدعة في طهر واحد ، لأن الله تعالى أمرنا بالتفريق لأنه وإن كان ظاهره الخبر فمعناه الأمر وإلا يؤدي إلى الخلف في خبر الله تعالى ، لأن الطلاق على وجه الجمع قد يوجد.

وقيل : قالت أنصارية : إن زوجي قال : لا أزال أطلقك ثم أراجعك فنزلت الطلاق مرتان أي الطلاق الرجعي مرتان لأنه لا رجعة بعد الثالث

جزء : 1 رقم الصفحة : 180

{ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ } [البقرة : 229] برجعة ، والمعنى فالواجب عليكم إمساك بمعروف { أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ } [البقرة : 229] بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة.

وقيل : بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث.

ونزل في جميلة وزوجها ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وقد أعطاها حديقة فاختلعت منه بها وهو أول خلع كان في الإسلام { وَلا يَحِلُّ لَكُمْ } [البقرة : 229] أيها الأزواج أو الحكام لأنهم الآمرون بالأخذ والإيتاء عند الترافع إليهم فكأنهم الآخذون والمؤتون { أَن تَأْخُذُوا مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا } [البقرة : 229] مما أعطيتموهن من المهور { إِلا أَن يَخَافَآ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } [البقرة : 229] إلا أن يعلم الزوجان ترك إقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها { فَإِنْ خِفْتُمْ } [النساء : 3] أيها الولاة ، وجاز أن يكون أول خطاب للأزواج وآخره للحكام { أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا } [البقرة : 229] فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما أعطت { فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ } [البقرة : 229] فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر.

إلا أن يخافا حمزة على البناء للمفعول وإبدال ألا يقيما من ألف الضمير وهو من بدل الاشتمال نحو " خيف زيد تركه إقامة حدود الله " .

{ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ } [البقرة : 229] أي ما حد من النكاح واليمين والإيلاء والطلاق والخلع وغير ذلك { فَلا تَعْتَدُوهَا } [البقرة : 229] فلا تجاوزوها بالمخالفة { وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوالَـائِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [البقرة : 229] الضارون أنفسهم.

{ فَإِن طَلَّقَهَا } [البقرة : 230] مرة ثالثة بعد المرتين ، فإن قلت الخلع طلاق عندنا وكذا

181

عند الشافعي رحمه الله في قول ، فكأن هذه تطليقة رابعة.

قلت : الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة ، وهذه بيان لتلك أي فإن طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا { فَلا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 180

البقرة : 230] من بعد التطليقة الثالثة { حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ } [البقرة : 230] حتى تتزوج غيره.

والنكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج ، وفيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها ، والإصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف في أصول الفقه ، والفقه فيه أنه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلصاً لم تحل له إلا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه { فَإِن طَلَّقَهَا } [البقرة : 230] الزوج الثاني بعد الوطء { فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ } [البقرة : 230] على الزوج الأول وعليها { أَن يَتَرَاجَعَآ }

[البقرة : 230] أن يرجع كل واحد منهما إلى صاحبه بالزواج { إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ } [البقرة : 230] إن كان في ظنهما أنهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل إن علما أنهما يقيمان لأن اليقين مغيب عنهما لا يعلمه إلا الله { وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا } [البقرة : 230] وبالنون : المفضل { لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [البقرة : 230] يفهمون ما بين لهم.

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } [البقرة : 231] أي آخر عدتهن وشارفن منتهاها ، والأجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها.

يقال لعمر الإنسان أجل ، وللموت الذي ينتهى به أجل.

{ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ } [البقرة : 231] أي فإما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة ، وإما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار { وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا } [البقرة : 231] مفعول له أو حال أي مضارين ، وكان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطوّل العدة عليها فهو الإمساك ضراراً { لِّتَعْتَدُوا } لتظلموهن أو لتلجئوهن إلى الافتداء { وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ } [النساء : 114] يعني الإمساك للضرار { فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ } [الطلاق : 1] بتعريضها لعقاب الله { وَلا تَتَّخِذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا } [البقرة : 231] أي جدوا بالأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد اتخذتموها هزواً.

يقال لمن لم يجد في الأمر إنما أنت لاعب وهازىء

{ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 231] بالإسلام وبنبوة محمد عليه السلام { وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ } [البقرة : 231] من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها { يَعِظُكُم بِهِ } [النساء : 58] بما أنزل

عليكم وهو حال { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] فيما امتحنكم به { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : 231] من الذكر والاتقاء والاتعاظ وغير ذلك وهو أبلغ وعد ووعيد.

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } [البقرة : 231] أي انقضت عدتهن فدل سياق الكلامين على افتراق البلوغين لأن النكاح يعقبه هنا وذا يكون بعد العدة ، وفي الأولى الرجعة وذا يكون في العدة { فَلا تَعْضُلُوهُنَّ } [البقرة : 232] فلا تمنعوهن.

العضل : المنع والتضييق { أَن يَنكِحْنَ } [البقرة : 232] من أن ينكحن { أَزْوَاجَهُنَّ } الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن ، وفيه إشارة إلى انعقاد النكاح بعبارة النساء ، والخطاب للأزواج الذي يعضلون

نساءهم بعد انقضاء العدة ظلماً ولا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج ، سموا أزواجاً باسم ما يؤول إليه.

أو للأولياء في عضلهن أن يرجعن إلى أزواجهن الذين كانوا أزواجاً لهن ، سموا أزواجاً باعتبار ما كان.

نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته أن ترجع إلى الزوج الأول.

أو للناس أي لا يوجد فيما بينكم عضل لأنه إذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين { إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم } [البقرة : 232] إذا تراضى الخطاب والنساء { بِالْمَعْرُوفِ } بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط ، أو بمهر المثل والكفء لأن عند عدم أحدهما للأولياء أن يتعرضوا.

والخطاب في { ذَالِكَ } للنبي صلى الله عليه وسلّم أو لكل واحد { يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ } [البقرة : 232] فالموعظة إنما تنجع فيهم { ذالِكُمْ } أي ترك العضل والضرار { أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ } [البقرة : 232] أي لكم من أدناس الآثام أو أزكى وأطهر وأفضل وأطيب { وَاللَّهُ يَعْلَمُ } [محمد : 26] ما في ذلك من الزكاء والطهر { وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 216] ذلك.

جزء : 1 رقم الصفحة : 180

جزء : 1 رقم الصفحة : 183

{ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـادَهُنَّ } [البقرة : 233] خبر في معنى الأمر المؤكد كـ { يَتَرَبَّصْنَ } وهذا 183

(124/1)

الأمر على وجه الندب أو على وجه الوجوب إذا لم يقبل الصبي إلا ثدي أمه ، أو لم توجد له ظئر ، أو كان الأب عاجزاً عن الاستئجار ، أو أراد الوالدات المطلقات وإيجاب النفقة والكسوة لأجل الرضاع { حَوْلَيْنِ } ظرف { كَامِلَيْنِ } تأمين وهو تأكيد لأنه مما يتسامح فيه فإنك تقول : أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما { لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } [البقرة : 233] بيان لمن توجه إليه الحكم أي هذا الحكم لمن أراد إتمام الرضاعة.

والحاصل أن الأب يجب عليه إرضاع ولده دون الأم ، وعليه أن يتخذ له ظئراً إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك ولا تجبر عليه ، ولا يجوز استئجار الأم ما دامت زوجة أو معتدة { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ } [البقرة : 233] الهاء يعود إلى اللام الذي بمعنى " الذي " ، والتقدير : وعلى الذي يولد له وهو الوالد ، وله في محل الرفع على الفاعلية كـ " عليهم " في { الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } [الفاتحة : 7] (الفاتحة : 7) وإنما قيل على المولود له دون الوالد ليعلم أن الوالدات إنما ولدن لهم إذ الأولاد للآباء والنسب إليهم لا إليهن فكان عليهم أن يرزقوهن ويكسوهن إذا أرضعن ولدهم كالأظار ،

ألاى ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله : { وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شيئا } [لقمان : 33] (لقمان : 33) { رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } [البقرة : 233] بلا إسراف ولا تقتير ، وتفسيره ما يعقبه وهو أن لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا { لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا } [البقرة : 233] وجدها أو قدر إمكانها.

والتكليف إلزام ما يؤثره في الكلفة.

وانتصاب وسعها على أنه مفعول ثانٍ لـ تكلف لا على الاستثناء ودخلت إلا بين المفعولين.

{ لا تُضَآرَّ } [البقرة : 233] مكي وبصري بالرفع على الإخبار ومعناه النهي وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وأن يكون الأصل " تضارر " بكسر الراء أو " تضارر " بفتحها.

الباقون لا تضار على النهي والأصل " تضارر " أسكنت الراء الأولى وأدغمت في الثانية فالتقى الساكنان ففتحت الثانية لالتقاء الساكنين

جزء : 1 رقم الصفحة : 183

{ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا } [البقرة : 233] أي لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو أن تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة ، وأن تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد ، وأن تقول بعدما ألفها الصبي أطلب له ظئر أو ما أشبه ذلك { وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ } [البقرة : 233] أي ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيئاً مما وجب عليه من رزقها وكسوتها أو يأخذه منها وهي تريد إرضاعه.

وإذا كان مبنياً للمفعول فهو نهي عن أن يلحق بها الضرار

184

(125/1)

من قبل الزوج ، وعن أن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ، أو تضار بمعنى تضر والباء من صلته أي لا تضر والدة ولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تدفعه إلى الأب بعد ما ألفها ، ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها أو يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد.

وإنما قيل بولدها وبولده لأنه لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف إليها الولد استعطافاً لها عليه وكذلك الوالد { وَعَلَى الْوَارِثِ } [البقرة : 233] عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه أي وعلى وارث الصبي عند عدم الأب مثل ذلك أي مثل الذي كان على أبيه في حياته من الرزق والكسوة.

واختلف فيه ؛ فعند ابن أبي ليلى : كل من ورثه ، وعندنا : من كان ذا رحم محرم منه لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلى الوارث ذي الرحم المحرم مثل ذلك ، وعند الشافعي رحمه الله : لا نفقة

فيما عدا الولاد.
{ فَإِنْ أَرَادَا } [البقرة : 233] يعني الأبوين { فِصَالا } فطاماً صادراً { عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ } [البقرة : 233] بينهما { فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ } [البقرة : 230] في ذلك زادا على الحولين أو نقصا ، وهذه توسعة بعد التحديد ، والتشاور استخراج الرأي من شرت العسل إذا استخرجته ، وذكره ليكون التراضي عن تفكر فلا يضر الرضيع ، فسبحان الذي أدب الكبير ولم يهمل الصغير واعتبر اتفاقهما ، لأن للأب النسبة والولاية وللأم الشفقة والعناية.
{ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ } [البقرة : 233] أي لأولادكم عن الزجاج.
وقيل : استرضع منقول من أرضع ، يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي معدّى إلى مفعولين أي أن تسترضعوا المراضع أولادكم فحذف أحد المفعولين يعني غير الأم عند إبائها أو عجزها
جزء : 1 رقم الصفحة : 183
{ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم } [البقرة : 233] إلى المراضع { مَّآ ءَاتَيْتُم } [البقرة : 233] ما أردتم إيتاءه من الأجرة.
أتيتم مكي من أتى إليه إحساناً إذا فعله ومنه قوله { كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا } [مريم : 61] (مريم : 16) أي مفعولاً ، والتسليم ندب لا شرط للجواز { بِالْمَعْرُوفِ } متعلق بـ سلمتم أي سلمتم الأجرة إلى المراضع بطيب نفس وسرور { وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة : 233] لا تخفى عليه أعمالكم فهو يجازيكم عليها.
{ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ } [البقرة : 234] تقول توفيت الشيء واستوفيته إذا أخذته وافياً تاماً
185
أي تستوفى أرواحهم { وَيَذَرُونَ } ويتركون { أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ } [البقرة : 234] أي وزوجات الذين يتوفون منكم يتربصن أي يعتددن ، أو معناه يتربصن بعدهم بأنفسهن فحذف بعدهم للعلم به.
وإنما احتيج إلى تقديره لأنه لا بد من عائد يرجع إلى المبتدأ في الجملة التي وقعت خبراً.
يتوفون : المفضل أي يستوفون آجالهم { أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } [البقرة : 234] أي وعشر ليال والأيام داخلة معها ولا يستعمل التذكير فيه ذهاباً إلى الأيام تقول صمت عشراً ولو ذكرت لخرجت من كلامهم { فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } [الطلاق : 2] فإذا انقضت عدتهن { فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 233] أيها الأئمة والحكام { فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ } [البقرة : 234] من التعرض للخاطب { بِالْمَعْرُوفِ } بالوجه الذي لا ينكره الشرع { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [البقرة : 234] عالم بالبواطن.
{ وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَآءِ } [البقرة : 235] الخطبة الاستنكاح ، والتعريض أن تقول لها إنك لجميلة أو صالحة ومن غرضي أن أتزوج ونحو ذلك من الكلام الموهم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغبت فيه ، ولا يصرح بالنكاح فلا يقول إني أريد أن أتزوجك.
والفرق بين الكناية والتعريض أن الكناية أن تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن

تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج إليه جئتك : لأسلم عليك ولأنظر إلى وجهك الكريم ، ولذلك قالوا :

جزء : 1 رقم الصفحة : 183

وحسبك بالتسليم مني تقاضيا

(126/1)

فكأنه إمالة الكلام إلى غرض يدل على الغرض { أَوْ أَكْنَنتُمْ فِى أَنفُسِكُمْ } [البقرة : 235] أو سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين { عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ } [البقرة : 235] لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن فاذكروهن { وَلَـاكِن لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا } [البقرة : 235] جماعا لأنه مما يسر أي لا تقولوا في العدة إني قادر على هذا العمل { إِلا أَن تَقُولُوا قَوْلا مَّعْرُوفًا } [البقرة : 235] وهو أن تعرضوا ولا تصرحوا.

وإلا متعلق بـ لا تواعدوهن أي لا

186

تواعدوهن مواعدة قط إلا مواعدة معروفة غير منكرة { وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ } [البقرة : 235] من عزم الأمر وعزم عليه.

وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح لأن العزم على الفعل يتقدمه فإذا نهى عنه كان عن الفعل أنهى ، ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح ، أو ولا تقطعوا عقدة النكاح لأن حقيقة العزم القطع ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام أي ولا تعزموا على عقدة النكاح { حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ } [البقرة : 235] حتى تنقضي عدتها.

وسميت العدة كتاباً لأنها فرضت بالكتاب يعني حتى يبلغ التربص المكتوب عليها أجله أي غايته { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ } [البقرة : 235] من العزم على ما لا يجوز { فَاحْذَرُوهُ } ولا تعزموا عليه { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة : 235] لا يعاجلكم بالعقوبة.

جزء : 1 رقم الصفحة : 183

ونزل فيمن طلق امرأته ولم يكن سمى لها مهراً ولا جامعها { لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 236] لاتبعة عليكم من إيجاب مهر { إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ } [البقرة : 236] شرط ، ويدل على جوابه لا جناح عليكم والتقدير : إن طلقتم النساء فلا جناح عليكم { مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ } [البقرة : 236] ما لم تجامعوهن ، وما شرطية أي إن لم تمسوهن تماسوهن : حمزة وعلي حيث وقع لأن الفعل واقع بين اثنين { أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً } [البقرة : 236] إلا أن تفرضوا لهن فريضة أو حتى تفرضوا ، وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك أن المطلقة غير الموطوءة لها نصف المسمى إن سمى لها مهر ، وإن لم يسم

لها مهر فليس لها نصف مهر المثل بل تجب المتعة ، والدليل على أن الجناح تبعة المهر قوله وإن طلقتموهن إلى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم إثبات للجناح المنفي ثمة { وَمَتِّعُوهُنَّ } معطوف على فعل محذوف تقديره فطلقوهن ومتعوهن.

والمتعة درع وملحفة وخمار { عَلَى الْمُوسِعِ } [البقرة : 236] الذي له سعة { قَدَرُهُ } مقداره الذي يطيقه.

قدره فيهما : كوفي غير أبي بكر وهما لغتان { وَعَلَى الْمُقْتِرِ } [البقرة : 236] الضيق الحال.

{ قَدَرُهُ } ولا تجب المتعة عندها إلا لهذه وتستحب لسائر المطلقات { مَّتَاعًا } تأكيد لمتعوهن أي تمتيعاً { بِالْمَعْرُوفِ } بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة { حَقًّا }

187

صفة لـ متاعاً أي متاعاً واجباً عليهم أو حق ذلك حقاً { عَلَى الْمُحْسِنِينَ } [البقرة : 236] على المسلمين ، أو على الذين يحسنون إلى المطلقات بالتمتيع.

وسماهم قبل الفعل محسنين كقوله عليه السلام من قتل قتيلاً فله سلبه وليس هذا الإحسان هو التبرع بما ليس عليه إذ هذه المتعة واجبة.

ثم بين حكم التي سمى لها مهراً في الطلاق قبل المس فقال { وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ } [البقرة : 237] " أن " مع الفعل بتأويل المصدر في موضع الحر أي من قبل مسكم إياهن { وَقَدْ فَرَضْتُمْ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 183

(127/1)

البقرة : 237] في موضع الحال { لَهُنَّ فَرِيضَةً } [البقرة : 237] مهراً { فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَن يَعْفُونَ } [البقرة : 237] يريد المطلقات.

و " أن " مع الفعل في موضع النصب على الاستثناء كأنه قيل : فعليكم نصف ما فرضتم في جميع الأوقات إلا وقت عفوهن عنكم من المهر.

والفرق بين الرجال " يعفون " " والنساء " يعفون " أن الواو في الأول ضميرهم والنون علم الرفع ، والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن ، والفعل مبني لا أثر في لفظه للعامل { أَوْ يَعْفُوَا } [البقرة : 237] عطف على محله { الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ } [البقرة : 237] هو الزوج كذا فسره علي رضي الله عنه وهو قول سعيد بن جبير وشريح ومجاهد وأبي حنيفة والشافعي على الجديد رضي الله عنهم ، وهذا لأن الطلاق بيده فكان إبقاء العقد بيده ، والمعنى أن الواجب شرعاً هو النصف إلا أن تسقط هي الكل أو يعطي هو الكل تفضلاً ، وعند مالك والشافعي في القديم هو الولي.

قلنا : هو لا يملك التبرع بحق الصغيرة فكيف يجوز حمله عليه؟ { وَأَن تَعْفُوا } [البقرة : 237] مبتدأ خبره { أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى } [المائدة : 8] والخطاب للأزواج والزوجات على سبيل التغليب ذكره الزجاج أي عفو الزوج بإعطاء كل المهر خير له ، وعفو المرأة بإسقاط كله خير لها أو للأزواج { وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ } [البقرة : 237]

188

التفضل { بَيْنَكُمْ } أي ولا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض { إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة : 110] فيجازيكم على تفضلكم.

{ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ } [البقرة : 238] داوموا عليها بمواقيتها وأركانها وشرائطها { وَالصَّلَوَاةِ الْوُسْطَى } [البقرة : 238] بين الصلوات أي الفضلى من قولهم للأفضل الأوسط.

وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل.

وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله وعليه الجمهور لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً وقال عليه السلام إنها الصلاة التي شغل عنها سليمان حتى توارت بالحجاب وفي مصحف حفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر ولأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار ، وفضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم.

وقيل : صلاة الظهر لأنها في وسط النهار ، أو صلاة الفجر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل ، أو صلاة الغرب لأنها بين الأربع والمثنى ، ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر ، أو صلاة العشاء لأنها بين وترين ، أو هي غير معينة كليلة القدر ليحفظوا الكل.

جزء : 1 رقم الصفحة : 183

{ وَقُومُوا لِلَّهِ } [البقرة : 238] في الصلاة { قَانِتِينَ } حال أي مطيعين خاشعين أو ذاكرين الله في قيامكم.

والقنوت أن تذكر الله قائماً أو مطيلين القيام { فَإِنْ خِفْتُمْ } [النساء : 3] فإن كان بكم خوف من عدو أو غيره { فَرِجَالا } حال أي فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام { أَوْ رُكْبَانًا } [البقرة : 239] وحداناً بإيماء ويسقط عنه التوجه إلى القبلة { فَإِذَآ أَمِنتُمْ } [البقرة : 239] فإذا زال خوفكم { فَاذْكُرُوا اللَّهَ } [البقرة : 198] فصلوا صلاة الأمن { كَمَا عَلَّمَكُم } [البقرة : 239] أي ذكراً مثل ما علمكم { مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 151] من صلاة الأمن.

{ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لازْوَاجِهِم } [البقرة : 240] بالنصب

189

شامي وأبو عمرو وحمزة وحفص أي فليوصوا وصية عن الزجاج.
غيرهم بالرفع أي فعليهم وصيةٌ { مَّتَاعًا } نصب بالوصية لأنها مصدر أو تقديره متعوهن متاعاً { إِلَى الْحَوْلِ } [البقرة : 240] صفة لـ متاعاً { غَيْرَ إِخْرَاجٍ } [البقرة : 240] مصدر مؤكد كقولك " هذا القول غير ما تقول " ، أو بدل من متاعاً والمعنى أن حق الذين يتوفون عن أزواجهم أن يوصوا قبل أن يحتضروا بأن تمتع أزواجهم بعدهم حولاً كاملاً أي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن ، وكان ذلك مشروعاً في أول الإسلام ثم نسخ بقوله تعالى : { النَّاسُ } (البقرة : 241).
مع قوله تعالى : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَآءِ } [البقرة : 144] (البقرة : 441).
{ فَإِنْ خَرَجْنَ } [البقرة : 240] بعد الحول { فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِى أَنفُسِهِنَّ } [البقرة : 234] من التزين والتعرض للخطاب { مِن مَّعْرُوفٍ } [البقرة : 240] مما ليس بمنكر شرعاً { وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [البقرة : 228] فيما حكم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 183
جزء : 1 رقم الصفحة : 190
{ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ } [البقرة : 241] أي نفقة العدة { بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا } [البقرة : 180] نصب على المصدر { كَذَالِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } هو في موضع الرفع لأنه خبر " لعل " ، وإن أريد به المتعة فالمراد غير المطلقة المذكورة وهي على سبيل الندب { أَلَمْ تَرَ } [الحج : 63] تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين وتعجيب من شأنهم ، ويجوز أن يخاطب به من لم ير ولم يسمع لأن هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب { إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ } [البقرة : 243] من قرية قيل :
190
واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم بدعاء حزقيل عليه السلام.
وقيل : هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم { وَهُمْ أُلُوفٌ } [البقرة : 243] في موضع النصب على الحال ، وفيه دليل على الألوف الكثيرة لأنها جمع كثرة وهي جمع ألف لا آلف { حَذَرَ الْمَوْتِ } [البقرة : 243] مفعول له { فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا } [البقرة : 243] أي فأماتهم الله ، وإنما جيء به على هذه العبارة للدلالة على أنهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة ، وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد ، وأن الموت إذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى أن يكون في سبيل الله { ثُمَّ أَحْيَاهُمْ } [البقرة : 243] ليعتبروا ويعلموا أنه لا مفر من حكم الله وقضائه ، وهو معطوف على فعل محذوف تقديره فماتوا ثم أحياهم ، ولما كان معنى قوله فقال لهم الله موتوا فأماتهم كان عطفاً عليه معنى { إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ } [البقرة : 243] حيث يبصرهم ما يعتبرون به كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم ، أو لذو فضل على الناس حيث أحيا أولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى إلى يوم النشور { وَلَـاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ } [البقرة : 243] ذلك.

والدليل على أنه ساق هذه القصة بعثاً على الجهاد ما أتبعه من الأمر بالقتال في سبيل الله وهو قوله.

جزء : 1 رقم الصفحة : 190

{ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 190] فحرض على الجهاد بعد الإعلام لأن الفرار من الموت لا يغني ، وهذا الخطاب لأمة محمد عليه السلام أو لمن أحياهم { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ } [البقرة : 244] يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون { عَلِيمٌ } بما يضمرونه { مَّنْ } استفهام في موضع رفع بالابتداء { ذَا } خبره { الَّذِى } نعت لـ ذا أو بدل منه { يُقْرِضُ اللَّهَ } [البقرة : 245] صلة الذي سمى ما ينفق في سبيل الله قرضاً لأن القرض ما يقبض ببدل مثله من بعد ، سمى به لأن المقرض يقطعه من ماله فيدفعه إليه.

191

(129/1)

والقرض القطع ومنه المقراض ، وقرض الفأر والانقراض فنبههم بذلك على أنه لا يضيع عنده وأنه يجزيهم عليه لا محالة { قَرْضًا حَسَنًا } [البقرة : 245] بطيبة النفس من المال الطيب ، والمراد النفقة في الجهاد لأنه لما أمر بالقتال في سبيل الله ويحتاج فيه إلى المال حث على الصدقة ليتهيأ أسباب الجهاد { فَيُضَاعِفَهُ لَهُ } [البقرة : 245] بالنصب : عاصم على جواب الاستفهام.

وبالرفع : أبو عمر ونافع وحمزة وعلي عطفاً على يقرض ، أو هو مستأنف أي فهو يضاعفه.

فيضعفه : شامي.

فيضعفه : مكي.

{ أَضْعَافًا } في موضع المصدر { كَثِيرَةً } لا يعلم كنهها إلا الله.

وقيل : الواحد بسبعمائة.

{ وَاللَّهُ يَقْبِضُ } يقتر الرزق على عباده ويوسعه عليهم فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيق بالسعة.

ويبصط حجازي وعاصم وعلي { مَّن ذَا الَّذِى } [البقرة : 245] فيجازيكم على ما قدمتم.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلا } [البقرة : 246] الأشراف لأنهم يملأون القلوب جلالة والعيون مهابة { مِن بَنِى إِسْرَاءِيلَ } [المائدة : 78] من للتبعيض { مِن بَعْدِ مُوسَى } [البقرة : 246] من بعد موته ومن لابتداء الغاية { إِذْ قَالُوا } [الممتحنة : 4] حين قالوا { لِنَبِيٍّ لَّهُمُ } [البقرة : 246] هم شمعون أو يوشع أو اشمويل

جزء : 1 رقم الصفحة : 190

{ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا } [البقرة : 246] أنهض للقتال معنا أميراً نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي إلى أمره { نُّقَاتِلْ } بالنون والجزم على الجواب { فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [التوبة : 38] صلة نقاتل { قَالَ } النبي { هَلْ عَسَيْتُمْ } [البقرة : 246] عسيتم حيث كان : نافع.

{ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ } [البقرة : 246] شرط فاصل بين اسم " عسى " وخبره وهو { أَلا تُقَاتِلُوا } [البقرة : 246] والمعنى : هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون وتجبنون ، فأدخل " هل " مستفهماً عما هو متوقع عنده ، وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه { قَالُوا وَمَا لَنَآ أَلا نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 246] وأي داعٍ لنا إلى ترك القتال وأي غرض لنا فيه { وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآ ئِنَا } [البقرة : 246] الواو في وقد للحال وذلك أن قوم جالوت كانوا يسكنون بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم

192

أربعمائة وأربعين يعنون إذا بلغ الأمر منا هذا المبلغ فلا بد من الجهاد { فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ } [النساء : 77] أي أجيبوا إلى ملتمسهم { تَوَلَّوْا } أعرضوا عنه { إِلا قَلِيلا مِّنْهُمْ } [المائدة : 13] وهم كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر { وَاللَّهُ عَلِيمُ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة : 95] وعيد لهم على ظلمهم بترك الجهاد.

{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ } [البقرة : 247] هو اسم أعجمي كجالوت وداود ، ومنع من الصرف للتعريف والعجمة { مَلِكًا } حال { قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا } [البقرة : 247] أي كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له { وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ } [البقرة : 247] الواو للحال { وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 190

البقرة : 247] أي كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق بالملك وأنه فقير لا بد للملك من مال يعتضد به ، وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام ، والملك في سبط يهوذا وهو كان من سبط بنيامين ، وكان رجلاً سقاء أو دباغاً فقيراً. وروي أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكاً فأتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت

193

{ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ } [البقرة : 247] الطاء في اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة أي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكمه.

ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة فقال { وَزَادَهُ بَسْطَةً } [البقرة : 247] مفعول ثانٍ { فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ } [البقرة : 247] قالوا : كان أعلم بني إسرائيل بالحرب والديانات في وقته ، وأطول من كل إنسان برأسه ومنكبه.
والبسطة السعة والامتداد ، والملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل ذليل مزدرى غير منتفع به ، وأن يكون جسيماً لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب.
{ وَاللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ } [البقرة : 247] أي الملك له غير منازع فيه وهو يؤتيه من يشاء إيتاءه وليس ذلك بالوراثة { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } [البقرة : 247] أي واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر { عَلِيمٌ } بمن يصطفيه للملك فثمة طلبوا من نبيهم آية على اصطفاء الله طالوت.
جزء : 1 رقم الصفحة : 190
{ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ } [البقرة : 248] أي صندوق التوراة ، وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون.
{ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ } [البقرة : 248] سكون وطمأنينة { وَبَقِيَّةٌ } هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام { مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَى وَءَالُ هَارُونَ } [البقرة : 248] أي مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما { تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ } [البقرة : 248] يعني التابوت وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه ، والجملة في موضع الحال وكذا فيه سكينة .
ومن ربكم } نعت لـ سكينة " ومما ترك نعت لـ بقية { إِنَّ فِي ذَالِكَ لاَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [البقرة : 248] إن في رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين.
{ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ } [البقرة : 249] خرج { بِالْجُنُودِ } عن بلده إلى جهاد العدو وبالجنود في موضع الحال أي مختلطاً بالجنود وهم ثمانون ألفاً ، وكان الوقت قيظاً وسألوا أن يجري الله لهم نهراً { قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم } [البقرة : 249] مختبركم أي يعاملكم معاملة المختبر { بِنَهَرٍ } وهو نهر فلسطين ليتميز المحقق في الجهاد من المعذر { فَمَن شَرِبَ مِنْهُ } [البقرة : 249] كرعاً { فَلَيْسَ مِنِّي } [البقرة : 249] فليس من أتباعي وأشياعي { وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ } [البقرة : 249] ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه { فَإِنَّهُ مِنِّى } [البقرة : 249] وبفتح الياء : مدني وأبو عمرو.
واستثنى { إِلا مَنِ اغْتَرَفَ } من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة عن الاستثناء إلا أنها قدمت للعناية { غُرْفَةَ بِيَدِهِ } [البقرة : 249] غرفة : حجازي وأبو عمرو بمعنى المصدر ، وبالضم بمعنى المغروف ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة

جزء : 1 رقم الصفحة : 190

باليد دون الكرع ، والدليل عليه { فَشَرِبُوا مِنْهُ } [البقرة : 249] أي فكرعوا { إِلا قَلِيلا مِّنْهُمْ } [المائدة : 13] وهم ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً { فَلَمَّا جَاوَزَهُ } [البقرة : 249] أي النهر { هُوَ } طالوت { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ } [هود : 58] أي القليل { قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ } [البقرة : 249] أي لا قوة لنا { بِجَالُوتَ } هو جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكان في بيضته ثلثمائة رطل من الحديد { وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا اللَّهِ } [البقرة : 249] يوقنون بالشهادة.

قيل : الضمير في قالوا للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه.

وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ } [البقرة : 249] كم خبرية وموضعها رفع بالابتداء { غَلَبَتْ } خبرها { فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } [البقرة : 249] بنصره { وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة : 249] بالنصر.

{ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } [البقرة : 250] خرجوا لقتالهم { قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ } [البقرة : 250] أصبب { عَلَيْنَا صَبْرًا } [الأعراف : 126] على القتال { وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا } [البقرة : 250] بتقوية قلوبنا وإلقاء الرعب في صدور عدونا { وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 250] أعنا عليهم { فَهَزَمُوهُم } أي طالوت والمؤمنون جالوت وجنوده { بِإِذْنِ اللَّهِ } [فاطر : 32] بقضائه { وَقَتَلَ دَاوُادُ جَالُوتَ } [البقرة : 251] كان بيشا أو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم ، فأوحى الله إلى نبيهم أن داود هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له : إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته ، ثم حسده وأراد قتله ثم مات تائباً

جزء : 1 رقم الصفحة : 190

{ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } [البقرة : 251] في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها ، وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود { وَالْحِكْمَةَ } والنبوة { وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ } [البقرة : 251] من صنعة الدروع وكلام الطيور والدواب وغير ذلك.

{ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ } [البقرة : 251] هو مفعول به { بَعْضُهُمْ } بدل من الناس دفاع : مدني مصدر دفع أو دافع { بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الارْضُ } [البقرة : 251] أي ولولا

195

أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل ، أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد { وَلَاكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : 251] بإزالة الفساد عنهم وهو دليل على المعتزلة في مسألة الأصلح { تِلْكَ } مبتدأ خبره { اللَّهِ أَلا

} [غافر : 4] يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره على الجبابرة على يد صبي { نَتْلُوهَا } حال من آيات الله ، والعامل فيه معنى الإشارة ، أو آيات الله بدل من تلك ونتلوها الخبر.

{ عَلَيْكَ بِالْحَقِّ } [الجاثية : 6] باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك { وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ } [البقرة : 252] حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب أو سماع من أهله.

جزء : 1 رقم الصفحة : 190

{ تِلْكَ الرُّسُلُ } [البقرة : 253] إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في هذه السورة من آدم إلى داود أو التي ثبت علمها عند رسول الله عليه السلام { فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } [البقرة : 253] بالخصائص وراء الرسالة لاستوائهم فيها كالمؤمنين يستوون في صفة الإيمان ويتفاوتون في الطاعات بعد الإيمان.

ثم بين ذلك بقوله { مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 196

(132/1)

البقرة : 253] أي كلمه الله حذف العائد من الصلة يعني منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام { وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ } [البقرة : 253] مفعول أول { دَرَجَاتٍ } مفعول ثانٍ أي بدرجات أو إلى درجات يعني ومنهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة وهو محمد صلى الله عليه وسلّم ، لأنه هو المفضل عليهم بإرساله إلى الكافة ، وبأنه أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف أو أكثر ، وأكبرها القرآن لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر.

وفي هذا الإبهام تفخيم وبيان أنه العلم الذي لا يشتبه على أحد ، والمتميز الذي لا يلتبس.

وقيل : أريد به محمد وإبراهيم وغيرهما من أولي العزم من

196

الرسل { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا } [البقرة : 87] كإحياء الموتى وإبراء الأكمة والأبرص وغير ذلك { وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ } [البقرة : 87] قويناه بجبريل أو بالإنجيل { وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ } [البقرة : 253] أي ما اختلف لأنه سببه { الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم } [البقرة : 253] من بعد الرسل { مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ } [البقرة : 213] المعجزات الظاهرات { وَلَـاكِنِ اخْتَلَفُوا } [البقرة : 253] بمشيئتي.

ثم بين الاختلاف فقال { فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ } [البقرة : 253] بمشيئتي.

يقول الله أجريت أمور رسلي على هذا ، أي لم يجتمع لأحد منهم طاعة جميع أمته في حياته ولا بعد وفاته بل اختلفوا عليه فمنهم من آمن ومنهم من كفر { وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا } [البقرة : 253] كرره للتأكيد أي لو شئت أن لا يقتتلوا لم يقتتلوا إذ لا يجري في ملكي إلا ما يوافق مشيئتي ، وهذا يبطل قول المعتزلة لأنه أخبر أنه لو شاء أن يقتتلوا لم يقتتلوا وهم يقولون شاء أن لا يقتتلوا فاقتتلوا { وَلَـاكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ } [البقرة : 253] أثبت الإرادة لنفسه كما هو مذهب أهل السنة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم }

جزء : 1 رقم الصفحة : 196

في الجهاد في سبيل الله ، أو هو عام في كل صدقة واجبة { مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ } [البقرة : 254] أي من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه { وَلا خُلَّةٌ } [البقرة : 254] حتى يسامحكم أخلاؤكم به { وَلا شَفَاعَةٌ } [البقرة : 254] أي للكافرين ، فأما المؤمنون فلهم شفاعة أو إلا بإذنه { وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [البقرة : 254] أنفسهم بتركهم التقديم ليوم حاجاتهم ، أو الكافرون بهذا اليوم هم الظالمون.

لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : مكي وبصري { اللَّهُ لا إِلَـاهَ إِلا هُوَ } [البقرة : 255] " لا " مع اسمه وخبره وما أبدل من موضعه في موضع الرفع خبر المبتدأ وهو الله { الْحَىُّ } الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء { الْقَيُّومُ } الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه { لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ } [البقرة : 255] نعاس وهو ما يتقدم النوم من

197

الفتور { وَلا نَوْمٌ } [البقرة : 255] عن المفضل : السنة ثقل في الرأس ، والنعاس في العين ، والنوم في القلب وهو تأكيد للقيوم ، لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً ، وقد أوحى إلى موسى عليه السلام : قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا.

{ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الارْضِ } [البقرة : 255] ملكاً وملكاً { مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُا إِلا بِإِذْنِهِ } [البقرة : 255] ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه وهو بيان لملكوته وكبريائه ، وأن أحداً لا يتمالك أن يتكلم يوم القيامة إلا إذا أذن له في الكلام ، وفيه رد لزعم الكفار أن الأصنام تشفع لهم { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ } [البقرة : 255] ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السماوات والأرض لأن فيهم العقلاء { وَلا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ } [البقرة : 255] من معلومه يقال في الدعاء " اللهم اغفر علمك فينا " أي معلومك

جزء : 1 رقم الصفحة : 196

{ إِلا بِمَا شَآءَ } [البقرة : 255] إلا بما علم { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ } [البقرة : 255] أي علمه ومنه الكراسة لتظمنها العلم والكراسي العلماء ، وسمي العلم كرسياً تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم وهو كقوله تعالى : { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا } [غافر : 7] (غافر : 7) أو ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك أو عرشه كذا عن الحسن ، أو هو سرير دون العرش في الحديث ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بفلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة أو قدرته بدليل قوله { وَلا نَوْمٌ } [البقرة : 255] ولا يثقله ولا يشق عليه { حِفْظُهُمَا } حفظ السموات والأرض { وَهُوَ الْعَلِىُّ } [البقرة : 255] في ملكه وسلطانه { الْعَظِيمِ } في عزه وجلاله أو العلي المتعالي عن الصفات التي لا تليق به العظيم ، المتصف بالصفات التي تليق به ، فهما جامعان لكمال التوحيد.

وإنما ترتبت الجمل في آية الكرسي بلا حرف عطف لأنها وردت على سبيل البيان ؛ فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساهٍ عنه ، والثانية لكونه مالكاً لما يدبره ، والثالثة لكبرياء شأنه ، والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق ، والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها أو لجلاله وعظم قدره.

وإنما فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد ، منه ما روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلّم من قرأ

198

آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ، ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله . وقال عليه السلام سيد البشر آدم ، وسيد العرب محمد ولا فخر ، وسيد الفرس سلمان ، وسيد الروم صهيب ، وسيد الحبشة بلال ، وسيد الجبال الطور ، وسيد الأيام يوم الجمعة ، وسيد الكلام القرآن ، وسيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسي قال ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وقال من قرأ آية الكرسي عند منامه بعث إليه ملك يحرسه حتى يصبح قال من قرأ هاتين الآيتين حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح ، وإن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي : آية الكرسي وأول " حم المؤمن " إلى

جزء : 1 رقم الصفحة : 196

{ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } [غافر : 3] لاشتمالهما على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ، ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذاكراً له كان أفضل من سائر الأذكار وبه يعلم أن أشرف العلوم علم التوحيد.

{ لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ } [البقرة : 256] أي لا إجبار على الدين الحق وهو دين الإسلام.

وقيل : هو إخبار في معنى ، النهي ، وروي أنه كان لأنصاري ابنان فتنصرا فلزمهما أبوهما وقال : والله لا أدعكما حتى تسلما ، فأبيا فاختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال الأنصاري : يا

رسول الله أيدخل بعضي في النار وأنا أنظر؟ فنزلت فخلاهما.
قال ابن مسعود وجماعة : كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال { قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } [البقرة : 256] قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة { فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ } [البقرة : 256] بالشيطان أو الأصنام { وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ } [البقرة : 256] تمسك { بِالْعُرْوَةِ } أي المعتصم

(134/1)

والمتعلق { الْوُثْقَى } تأنيث الأوثق أي الأشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون { لا انفِصَامَ لَهَا } [البقرة : 256] لا انقطاع للعروة ، وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده ، والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحله شبهة { وَاللَّهُ سَمِيعٌ } [البقرة : 224] لإقراره { عَلِيمٌ } باعتقاده.
{ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [البقرة : 257] أرادوا أن يؤمنوا أي ناصرهم ومتولي أمورهم { يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ } [البقرة : 257] من ظلمات الكفر والضلالة وجمعت لاختلافها { إِلَى النُّورِ } [إبراهيم : 1] إلى الإيمان والهداية ووحد لاتحاد الإيمان { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } [النور : 39] مبتدأ والجملة وهي { أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ } [البقرة : 257] خبره { يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } [البقرة : 257] وجمع لأن الطاغوت في معنى الجمع يعني والذين صمموا على الكفر أمرهم على عكس ذلك ، أو الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبهة في الدين إن وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين ، والذين كفروا أولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات الذي يظهر لهم إلى ظلمات الشك والشبهة { أُولَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : 39].
ثم عجب نبيه عليه السلام وسلاه بمجادلة إبراهيم عليه السلام نمرود الذي كان يدعي الربوبية بقوله.
جزء : 1 رقم الصفحة : 196
جزء : 1 رقم الصفحة : 200
{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ } [البقرة : 258] في معارضته ربوبية ربه.
والهاء في ربه يرجع إلى إبراهيم أو إلى الذي حاج فهو ربهما { أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } [البقرة : 258] لأنّ آتاه الله يعني أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبر فحاج لذلك ، وهو دليل على المعتزلة في الأصلح أوحاج وقت أن أتاه الله الملك { إِذْ قَالَ } [البقرة : 258] نصب بـ حاج أو بدل من أن آتاه إذا جعل بمعنى الوقت { إِبْرَاهِ مُ رَبِّيَ } [البقرة : 258] رب : حمزة

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى } [البقرة : 258] كأنه قال له : من ربك؟ قال : ربي الذي يحيي ويميت { قَالَ } نمرود { أَلَمْ تَرَ إِلَى } [البقرة : 258] يريد أعفو عن القتل وأقتل فانقطع اللعين بهذا عند المخاصمة فزاد إبراهيم عليه السلام ما لا يتأتى فيه التلبيس على الضعفة حيث { قَالَ إِبْرَاهِ مُ } [البقرة : 126] عليه السلام { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } [البقرة : 258] وهذا ليس بانتقال من حجة إلى حجة كما زعم البعض لأن الحجة الأولى كانت لازمة ، ولكن لما عاند اللعين حجة الإحياء بتخلية واحد وقتل آخر ، كلمه من وجه لا يعاند ، وكانوا أهل تنجيم ، وحركة الكواكب من المغرب إلى المشرق معلومة لهم ، والحركة الشرقية المحسوسة لنا قسرية كتحريك الماء النمل على الرحى إلى غير جهة حركة النمل فقال : إن ربي يحرك الشمس قسراً على غير حركتها ، فإن كنت رباً فحركها بحركتها فهو أهون { فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ } [البقرة : 258] تحير ودهش { وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : 258] أي لا يوفقهم وقالوا : إنما لم يقل نمرود فليأت ربك بالشمس من المغرب لأن الله تعالى صرفه عنه.

وقيل : إنه كان يدعي الربوبية لنفسه وما كان يعترف بالربوبية لغيره.

ومعنى قوله أنا أحيي وأميت أن الذي ينسب إليه الإحياء والإماتة أنا لا غيري ، والآية تدل على إباحة التكلم في علم الكلام والمناظرة فيه لأنه قال : ألم ترى الذي حاج إبراهيم في ربه .

والمحاجة تكون بين اثنين فدل على أن إبراهيم حاجه أيضاً ، ولو لم يكن مباحاً لما باشرها إبراهيم عليه السلام لكون الأنبياء عليهم السلام معصومين عن ارتكاب الحرام ، ولأنا أمرنا بدعاء الكفرة إلى الإيمان بالله وتوحيده وإذا دعوناهم إلى ذلك لا بد أن يطلبوا منا الدليل على ذلك ، وذا لا يكون إلا بعد المنظارة كذا في شرح التأويلات.

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

(135/1)

{ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ } [البقرة : 259] معناه أو أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة لم تر عليه لأن كلتيهما كلمة تعجيب ، أو هو محمول على المعنى دون اللفظ تقديره : أرأيت

201

كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر.

وقال صاحب الكشف : فيه الكاف زائدة والذي عطف على قوله إلى الذي حاج عن الحسن أن المار كان كافراً بالبعث لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي أنى يحيي والأكثر أنه عزيز أراد أن يعاين إحياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه إبراهيم عليه السلام وأنى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الإحياة واستعظام لقدرة المحيي { عَلَى قَرْيَةٍ } [الأنبياء : 95] هي بيت

المقدس حين خربه بختنصر وهي التي خرج منها الألوف { وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } [البقرة : 259] ساقطة مع سقوفها أو سقطت السقوف ثم سقطت عليها الحيطان وكل مرتفع عرش { قَالَ أَنَّى يُحْيِ } [البقرة : 259] أي كيف { هَاذِهِ } أي أهل هذه { اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِا ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ } [البقرة : 259] أي أحياه { قَالَ } له ملك { كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } [البقرة : 259] بناء على الظن ، وفيه دليل جواز الاجتهاد روي أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً ، ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم { قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا ئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ } [البقرة : 259] روي أن طعامه كان تيناً وعنباً وشرابه عصيراً ولبناً فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله { لَمْ يَتَسَنَّهْ } [البقرة : 259] لم يتغير والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين ، لأن لامها هاء لأن الأصل سنهة والفعل سانهت.

يقال سانهت فلاناً أي عاملته سنة أو واو لأن الأصل سنوة والفعل سانيت ومعناه لم تغيره السنون.

لم يتسن بحذف الهاء في الوصل وبإثباتها في الوقف : حمزة وعلي { وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ } [البقرة : 259] كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه فمات وتفتتت عظامه ، أو وانظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيش مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

{ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ } [البقرة : 259] فعلنا ذلك يريد إحياءه بعد الموت وحفظ ما معه.

وقيل : الواو عطف على محذوف أي لتعتبر ولنجعلك.

قيل : أتى قومه راكباً حماراً وقال : أنا عزيز فكذبوه فقال : هاتوا التوراة فأخذ يقرؤها عن ظهر قلبه ولم يقرأ التوراة ظاهر أحد قبل عزيز فذلك كونه آية.

وقيل : رجع إلى منزله فرأى أولاده شيوخاً وهو شاب { وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ } [البقرة : 259] أي عظام الحمار أو عظام الموتى الذين تعجب من إحيائهم

202

{ كَيْفَ نُنشِزُهَا } [البقرة : 259] نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب.

ننشرها بالراء : حجازي وبصري نحييها ثمّ نكسوها أي العظام لحماً جعل اللحم كاللباس مجازاً فلمّا تبيّن له فاعله مضمر تقديره فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أنّ الله على كلّ شيءٍ قديرٌ } فحذف الأول لدلالة الثاني عليه كقولهم " ضربني وضربت زيداً " ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعني أمر إحياء الموتى.

قال اعلم على لفظ الأمر : حمزة وعلي أي قال الله له اعلم أو هو خاطب نفسه.

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى } [البقرة : 260] بصرني { كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى } [البقرة : 260] موضع كيف نصب بـ " يحيي { قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَاكِن لِّيَطْمَاِنَّ قَلْبِى } وإنما قال له أو لم تؤمن وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين.

وبلى إيجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال ، وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة فعلم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف الضروري.

واللام تتعلق بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك أراد طمأنينة القلب { قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ } [البقرة : 260] طاوساً وديكاً وغراباً وحمامة { فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ } [البقرة : 260] وبكسر الصاد : حمزة أي أملهن واضممهن إليك { ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا } ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك وفي أرضك وكانت أربعة أجبل أو سبعة.

جزأ بضمتين وهمز : أبو بكر

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

{ ثُمَّ ادْعُهُنَّ } [البقرة : 260] قل لهن تعالين بإذن الله { يَأْتِينَكَ سَعْيًا } [البقرة : 260] مصدر في موضع الحال أي ساعيات مسرعات في طيرانهن أو في مشيهن على أرجلهن.

وإنما أمره بضمها إلى نفسه بعد أخذها ليتأملها ويعرف أشكالها وهيئآتها وحلاّها لئلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ، وروي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وأن يمسك رؤوسها ، ثم أمر أن يجعل أجزاءها على الجبال عل كل جبل ربعاً من كل طائر ، ثم يصيح بها تعالين بإذن الله تعالى فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن

203

إلى رؤوسهن كل جثة إلى رأسها { وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } [البقرة : 260] لا يمتنع عليه ما يريده { حَكِيمٌ } فيما يدبر لا يفعل إلا ما فيه الحكمة ، ولما برهن على قدرته على الإحياء حث على الإنفاق في سبيل الله ، وأعلم أن من أنفق في سبيله فله في نفقته أجر عظيم وهو قادر عليه فقال : { مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 261] لا بد من حذف مضاف أي مثل نفقتهم { كَمَثَلِ حَبَّةٍ } [البقرة : 261] أو مثلهم كمثل حبة { أَنابَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنابُلَةٍ مِّا ئَةُ حَبَّةٍ } [البقرة : 261] المنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سبباً أسند إليها الإنبات كما يسند إلى الأرض وإلى الماء.

ومعنى إنباتها سبع سنابل أن تخرج ساقاً يتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة ، وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر والممثل به موجود في الدخن والذرة وربما فرخت

ساق البرة في الأرض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ، على أن التمثيل يصح وإن لم يوجد على سبيل الفرض ، والتقدير ووضع سنابل موضع سنبلات كوضع قروء موضع أقراء { وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَآءُ } [البقرة : 261] أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت أحوال المنفقين ، أو يزيد على سبعمائة لمن يشاء.

يضعّف : شامي ويضعّف : مكي { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } [البقرة : 247] واسع الفضل والجود { عَلِيمٌ }

بنيات المنفقين.

{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَآ أَنْفَقُوا مَنًّا } [البقرة : 262] هو أن يعتد على من أحسن إليه بإحسانه ويريه أنه اصطنعه وأوجب عليه حقاً له وكانوا يقولون إذا صنعتم صنيعة فانسوها { وَلا أَذًى } [البقرة : 262] هو أن يتطاول عليه بسبب ما أعطاه.

ومعنى " ثم " إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى وأن تركهما خير من نفس الإنفاق كما جعل الاستقامة على الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله { ثُمَّ اسْتَقَامُوا } [فصلت : 30] (فصلت : 03)

204

{ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ } [آل عمران : 199] أي ثواب إنفاقهم { وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } [البقرة : 62] من بخس الأجر { وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 38] من فوته ، أو لا خوف من العذاب ولا حزن بفوت الثواب.

وإنما قال هنا : لهم أجرهم وفيما بعد فلهم أجرهم لأن الموصول هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة.

{ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ } [البقرة : 263] رد جميل { وَمَغْفِرَةٌ } وعفو عن السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول ، أو ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل { خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى } [البقرة : 263] وصح الإخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة { وَاللَّهُ غَنِىٌّ } [البقرة : 263] لا حاجة له إلى منفق يمن ويؤذي { حَلِيمٌ } عن معاجلته بالعقوبة وهذا وعيد له.

ثم أكد ذلك بقوله { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالاذَى كَالَّذِى } الكاف نصب صفة مصدر محذوف والتقدير إبطالاً مثل إبطال الذي { يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ } [البقرة : 264] أي لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء

الناس ولا يريد بإنفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة ، ورئاء مفعول له { كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ } مثّله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر أملس عليه تراب { فَأَصَابَهُ وَابِلٌ } [البقرة : 264] مطر عظيم القطر { فَتَرَكَهُ صَلْدًا } [البقرة : 264] أجرد نقياً من التراب الذي كان عليه { لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا } [البقرة : 264] لا يجدون ثواب شيء مما أنفقوا ، أو الكاف في محل النصب على الحال أي لا تطلبوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق.

وإنما قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق لأنه أراد بالذي ينفق الجنس أو الفرق الذي ينفق { وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 264] ما داموا مختارين الكفر.

{ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ } [البقرة : 265] أي وتصديقاً للإسلام وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم ، لأنه إذا أنفق المسلم ماله في سبيل الله علم أن تصديقه وإيمانه بالثواب من أصل نفسه ومن إخلاص

205

قلبه.

ومن لابتداء الغاية وهو معطوف على المفعول له أي للإبتغاء والتثبيت ، والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله { كَمَثَلِ جَنَّة } [البقرة : 265] بستان { بِرَبْوَةٍ } مكان مرتفع ، وخصها لأن الشجر فيها أزكى وأحسن ثمراً بربوة : عاصم وشامي { أَصَابَهَا وَابِلٌ فَاَتَتْ أُكُلَهَا } ثمرتها أكلها " : نافع ومكي وأبو عمر و { ضِعْفَيْنِ } مثلي ما كانت تثمر قبل بسبب الوابل { فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ } [جزء : 1 رقم الصفحة : 200

(138/1)

البقرة : 265] فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها ، أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل ، وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها رضا الله تعالى زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة : 265] يرى أعمالكم على إكثار وإقلال ويعلم نياتكم فيهما من رياء وإخلاص.

الهمزة في { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ } [البقرة : 266] للإنكار { أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } [البقرة : 266] بستان { مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ لَهُ } [البقرة : 266] لصاحب البستان { فِيهَآ } في الجنة { مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ } [النحل : 69] يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها ، أو أن النخيل والأعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وإن كانت محتوية على سائر الأشجار تغليباً لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات.

{ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ } [البقرة : 266] الواو للحال ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر ، والواو في { وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ } [البقرة : 266] أولاد صغار للحال أيضاً ، والجملة في موضع الحال من الهاء في أصابه { فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ } [البقرة : 266] ريح تستدير في الأرض ثم تستطع نحو السماء كالعمود { فِيهِ } في الإعصار وارتفع { نَارٌ } بالظرف إذ جرى الظرف وصفاً لإعصار { فَاحْتَرَقَتْ } الجنة ، وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة رياء فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة جامعة للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم فهلكت بالصاعقة { كَذَالِكَ } كهذا البيان الذي بين فيما تقدم { يُبَيّنُ اللَّهُ لَكُمُ الايَاتِ } [البقرة : 219] في التوحيد والدين { لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ } [البقرة : 219] فتنتبهوا.

206

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ } من جياد مكسوباتكم ، وفيه دليل وجوب الزكاة في أموال التجارة { وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مّنَ الارْضِ } [البقرة : 267] من الحب والثمر والمعادن وغيرها والتقدير : ومن طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات { وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ } [البقرة : 267] ولا تقصدوا المال الرديء { مِنْهُ تُنفِقُونَ } [البقرة : 267] تخصونه بالإنفاق وهو في محل الحال أي ولا تيمموا الخبيث منفقين أي مقدرين النفقة { وَلَسْتُم بِاَاخِذِيهِ } [البقرة : 267] وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم { إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ } [البقرة : 267] إلا بأن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك " أغمض فلان عن بعض حقه " إذا غض بصره ، ويقال للبائع " أغمض " أي لا تستقص كأنك لا تبصر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه.

{ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ } [البقرة : 267] عن صدقاتكم { حَمِيدٌ } مستحق للحمد أو محمود.

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ } [البقرة : 268] في الإنفاق { الْفَقْرَ } ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا ، والوعد يستعمل في الخير والشر { وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَآءِ } [البقرة : 268] ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل { وَاللَّهُ يَعِدُكُم } [البقرة : 268] في الإنفاق { مَّغْفِرَةً مّنْهُ } [البقرة : 268] لذنوبكم وكفارة لها { وَفَضْلا } وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم ، أو وثواباً عليه في الآخرة { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } [البقرة : 247] يوسع على من يشاء { عَلِيمٌ } بأفعالكم ونياتكم.

{ يُؤْتِى الْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ } [البقرة : 269] علم القرآن والسنة ، أو العلم النافع الموصل إلى رضا الله والعمل به ، والحكيم عند الله هو العالم العامل { وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ } [البقرة : 269] ومن يؤت : يعقوب أي ومن يؤته الله الحكمة { فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا } [البقرة : 269] تنكير تعظيم أي أوتي خيراً أيّ خير كثير.

{ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الالْبَابِ } [البقرة : 269] وما يتعظ بمواعظ الله إلا ذوو العقول السليمة أو العلماء العمال ، والمراد به الحث على

العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق.

{ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ } [البقرة : 270] في سبيل الله أو في سبيل الشيطان { أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ } [البقرة : 270] في طاعة الله أو في معصيته { فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ } [البقرة : 270] لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه { وَمَا لِلظَّالِمِينَ } [البقرة : 270] الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو ينذرون في المعاصي أو لا يفون بالنذور { مِنْ أَنصَارٍ } [البقرة : 270] ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه.

{ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِىَ } [البقرة : 271] فنعم شيئاً إبداؤها و " ما " نكرة غير موصولة ولا موصوفة ، والمخصوص بالمدح هي .

فنعما هي بكسر النون وإسكان العين : أبوعمرو ومدني غير ورش.

وبفتح النون وكسر العين : شامي وحمزة وعلي.

وبكسر النون والعين : غيرهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

{ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ } [البقرة : 271] وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء { فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } [الانفال : 19] فالإخفاء خير لكم.

قالوا : المراد صدقات التطوع والجهر في الفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل ، والمتطوع إن أراد أن يقتدي به كان إظهاره أفضل.

{ وَيُكَفِّرُ } بالنون وجزم الراء : مدني وحمزة وعلي.

بالياء ورفع الراء : شامي وحفص.

وبالنون والرفع : غيرهم.

فمن جزم فقد عطف على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط ، ومن رفع فعلى الاستئناف والياء على معنى يكفر الله.

{ عَنكُم مِّن سَيِّاَاتِكُمْ } [البقرة : 271] والنون على معنى نحن نكفر { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 265] من الإبداء والإخفاء { خَبِيرٌ } عالم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 200

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

{ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ } [البقرة : 272] لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك ، وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب { وَلَـاكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ } [البقرة : 272] أو ليس عليك التوفيق على الهدى أو خلق الهدى وإنما ذلك إلى الله { وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ } [البقرة : 273] من مال

208

{ فَلانفُسِكُمْ } فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم { وَمَا تُنفِقُونَ إِلا ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ } [البقرة : 272] وليست نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله أي رضا الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله ، أو هذا نفي معناه النهي أي ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله { وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ } [البقرة : 272] ثوابه أضعافاً مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها { وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ } [البقرة : 272] ولا تنقصون كقوله : { وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شيئا } [الكهف : 33] (الكهف : 33).

أي لم تنقص.

(140/1)

الجار في { لِلْفُقَرَآءِ } متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء ، أو هو خبر مبتدأ محذوف أي هذه الصدقات للفقراء { الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [البقرة : 273] هم الذين أحصرهم الجهاد فمنعهم من التصرف { لا يَسْتَطِيعُونَ } [النساء : 98] لاشتغالهم به { ضَرْبًا فِى الارْضِ } [البقرة : 273] للكسب.

وقيل : هم أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر ، فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار ، وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلّم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى.

{ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ } [البقرة : 273] بحالهم.

يحسبهم وبابه : شامي ويزيد وحمزة وعاصم غير الأعشى وهبيرة.

والباقون بكسر السين.

{ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } [البقرة : 273] مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة { تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ } [البقرة : 273] من صفرة الوجوه ورثاثة الحال { لا يَسْـَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا } [البقرة : 273] إلحاحاً.

قيل : هو نفي السؤال
209
والإلحاح جميعاً كقوله :
جزء : 1 رقم الصفحة : 208
على لاحب لا يهتدي بمناره
يريد نفي المنار والاهتداء به.
والإلحاح هو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه وفي الحديث إن الله يحب الحي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف وقيل : معناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا { وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [البقرة : 273] لا يضيع عنده.
{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً } [البقرة : 274] هما حالان أي مسرين ومعلنين يعني يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير ، فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال.
وقيل : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار : عشرة بالليل ، وعشرة بالنهار ، وعشرة في السر ، وعشرة في العلانية.
أو في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم ، تصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية.
{ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 62] { الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوا } [البقرة : 275] هو فضل مال خال عن العوض في معاوضة مال بمال.
وكتب الربوا بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة ، وزيدت الألف بعدها تشبيهاً بواو الجمع.
{ لا يَقُومُونَ } [البقرة : 275] إذا بعثوا من قبورهم { إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ } [البقرة : 275] أي المصروع لأنه تخبط في المعاملة فجوزى على المقابلة.
والخبط : الضرب على غير استواء كخبط العشواء { مِنَ الْمَسِّ } [البقرة : 275] من الجنون وهو يتعلق بـ لا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ، أو
210
بـ " يقوم " أي كما يقوم المصروع من جنونه ، والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف.
وقيل : الذين يخرجون من الأجداث يوفضون إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين ، لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض { ذَالِكَ } العقاب { بِأَنَّهُمْ {
جزء : 1 رقم الصفحة : 208

بسبب أنهم { قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوا } [البقرة : 275] ولم يقل " إنما الربا مثل البيع " مع أن الكلام في الربا لا في البيع ، لأنه جيء به على طريقة المبالغة وهو أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلاً وقانوناً في الحل حتى شبهوا به البيع.

{ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوا } [البقرة : 275] إنكار لتسويتهم بينهما إذ الحل مع الحرمة ضدان فأنى يتماثلان و دلالة على أن القياس يهدمه النص لأنه جعل الدليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه { فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ } [البقرة : 275] فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا

(141/1)

{ فَانتَهَى } فتبع النهي وامتنع { فَلَهُ مَا سَلَفَ } [البقرة : 275] فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم { وَأَمْرُهُا إِلَى اللَّهِ } [البقرة : 275] يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره إليكم شيء فلا تطالبوه به { وَمَنْ عَادَ } [البقرة : 275] إلى استحلال الرباعن الزجاج أو إلى الربا مستحلاً { فَأُولَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } لأنهم بالاستحلال صاروا كافرين لأن من أحل ما حرم الله عز وجل فهو كافر فلذا استحق الخلود ، وبهذا تبين أنه لا تعلق للمعتزلة بهذه الآية في تخليد الفساق.

{ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوا } [البقرة : 276] يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه { وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ } [البقرة : 276] ينميها ويزيدها أي يزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه ، وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط .

{ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ } [البقرة : 276] عظيم الكفر باستحلال الربا { أَثِيمٍ } متمادٍ في الإثم بأكله.

{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَواةَ وَءَاتَوُا الزكاة لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 277] قيل : المراد به الذين آمنوا بتحريم الربا

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِىَ مِنَ الرِّبَوا } أخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها.

روي أنها نزلت في ثقيف.

وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا { مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [البقرة : 91] كاملي الإيمان فإن دليل كماله امتثال المأمور به.

{ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } [البقرة : 279] فاعلموا بها من أذن بالشيء إذا علم ، يؤيده قراءة الحسن فأيقنوا.

فآذنوا " : حمزة وأبو بكر غير ابن غالب.

فأعلموا بها غيركم ولم يقل بحرب الله ورسوله لأن هذا أبلغ ، لأن المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله.

وروي أنها لما نزلت قالت ثقيف : لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله { وَإِن تُبْتُمْ } [البقرة : 279] من الارتباء { فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ } [البقرة : 279] المديونين بطلب الزيادة عليها { وَلا تُظْلَمُونَ } [البقرة : 279] بالنقصان منها.

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

{ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ } [البقرة : 280] وإن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة ذو إعسار { فَنَظِرَةٌ } فالحكم أوفا لأمر نظرة أي إنظار { إِلَى مَيْسَرَةٍ } [البقرة : 280] يسار.

ميسرة " : نافع وهما لغتان { وَأَن تَصَدَّقُوا } [البقرة : 280] بالتخفيف : عاصم ، أي تتصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم.

وبالتشديد : غيره.

فالتخفيف على حذف إحدى التاءين ، والتشديد على الإدغام { خَيْرٌ لَّكُمْ } [البقرة : 184] في القيامة ، وقيل : أريد بالتصديق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة { إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة : 184] أنه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وإن علمه كأنه لا يعلمه.

{ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ } [البقرة : 281] ترجعون : أبو عمرو فرجع لازم ومتعدٍ.

قيل : هي آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال : ضعها في رأس المائتين

212

(142/1)

والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعدها أحداً وعشرين يوماً أو أحداً وثمانين أو سبعة أيام أو ثلاث ساعات { ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } [البقرة : 281] أي جزاء ما كسبت { وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ } [البقرة : 281] بنقصان الحسنات وزيادة السيآت.

{ يُظْلَمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ } أي إذا داين بعضكم بعضاً.

يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطياً أو آخذاً { إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } [نوح : 4] مدة معلومة كالحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج ، وإنما احتيج إلى ذكر الدين ولم يقل إذا تداينتم إلى أجل

مسمى ليرجع الضمير إليه في قوله { فَاكْتُبُوهُ } إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ، ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال.

وإنما أمر بكتابة الدين لأن ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود ، والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه والأمر للندب.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد به السلم وقال : لما حرم الله الربا أباح السلف.

وعنه : أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية ، وفيه دليل على اشتراط الأجل في السلم

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

{ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ } [البقرة : 282] بين المتداينين { كَاتِبُ بِالْعَدْلِ } [البقرة : 282] هو متعلق بـ كاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يجب أن يكتب ولا ينقص ، وفيه دليل على أن يكون

213

الكاتب فقيهاً عالماً بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلاً بالشرع ، وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا إلا فقيهاً ديناً حتى يكتب ما هو متفق عليه { وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ } [البقرة : 282] ولا يمتنع واحد من الكتاب { أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ } [البقرة : 282] مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وكما متعلق بأن يكتب { فَلْيَكْتُبْ } تلك الكتابة لا يعدل عنها { وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ } [البقرة : 282] ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به فيكون ذلك إقراراً على نفسه بلسانه.

والإملال والإملاء لغتان { وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } [البقرة : 283] وليتق الله الذي عليه الدين ربه فلا يمتنع عن الإملاء فيكون جحوداً لكل حقه { وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شيئا } [البقرة : 282] ولا ينقص من الحق الذي عليه شيئاً في الإملاء فيكون جحوداً لبعض حقه { فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا } [البقرة : 282] أي مجنوناً لأن السفه خفة في العقل أو محجوراً عليه لتبذيره وجهله بالتصرف { أَوْ ضَعِيفًا } [البقرة : 282] صبياً { أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ } [البقرة : 282] لعي به أو خرس أو جهل باللغة { فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ } [البقرة : 282] الذي يلي أمره ويقوم به { بِالْعَدْلِ } بالصدق والحق { وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ } [البقرة : 282] واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين { مِّن رِّجَالِكُمْ } [البقرة : 282] من رجال المؤمنين.

والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام وشهادة الكفار بعضهم على بعض مقبولة عندنا

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

{ فَإِن لَّمْ يَكُونَا } [البقرة : 282] فإن لم يكن الشهيدان { رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ } [البقرة : 282] فليشهد رجل وامرأتان وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص { مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ } [البقرة : 282] ممن تعرفون عدالتهم ، وفيه دليل على أن غير المرضي شاهد { أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الاخْرَى } [البقرة : 282] لأجل أن تنسى إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى إن تضل إحداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد : حمزة كقوله : { وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ } [المائدة : 95] (المائدة : 59).

فتذكر بالنصب : مكي وبصري من الذّكر لا من الذّكر { وَلا يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا } [البقرة : 282] لأداء الشهادة أو للتحمل لئلا تتوى حقوقهم ، وسماهم شهداء قبل التحمل تنزيلاً لما يشارف منزلة الكائن ، فالأوّل للفرض والثاني للندب { وَلا تَسْأَمُوا } [البقرة : 282] ولا تملوا قال الشاعر :

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش

ثمانين حولاً لا أبالك يسأم

والضمير في { أَن تَكْتُبُوهُ } [البقرة : 282] للدين أو الحق { صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا } [البقرة : 282] على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ، وفيه دلالة جواز السلم في الثياب لأن ما يكال أو يوزن لا يقال فيه الصغير والكبير وإنما يقال في الذرعي ، ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن

تكتبوه مختصراً أو مشبعاً أو { إِلَى أَجَلِهِ } [البقرة : 282] إلى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته { ذالِكُمْ } إشارة إلى أن تكتبوه لأنه في معنى المصدر أي ذلك الكتب { أَقْسَطُ } أعدل من القسط وهو العدل { عِندَ اللَّهِ } [الحجرات : 13] ظرف لأقسط { وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ } [البقرة : 282] وأعون على إقامة الشهادة وبني أفعلا التفضيل أي " أقسط " و " أقوم " من أقسط وأقام مذهب سيبويه { وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا } [البقرة : 282] وأقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم وصاحب الحق فإنه قد يقع الشك في المقدار والصفات وإذا رجعوا إلى المكتوب زال ذلك ، وألف أدنى منقلبة من واو لأنه من الدنو { إِلا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً } [البقرة : 282] عاصم أي إلا أن تكون التجارة تجارة أو إلا أن تكون المعاملة تجارة حاضرة غيره تجارة حاضرة على " كان " التامة أي إلا أن تقع تجارة حاضرة ، أو هي ناقصة والاسم تجارة حاضرة والخبر { تُدِيرُونَهَا } وقوله { بَيْنَكُمْ } ظرف لـ تديرونها ومعنى إدارتها بينهم تعاطيها يداً بيد { فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا } [البقرة : 282] يعني إلا أن تتبايعوا بيعاً ناجزاً يداً بيد فلا بأس أن لا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين { وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ } [البقرة : 282] أمر بالإشهاد على التبايع مطلقاً ناجزاً أو كالئاً لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف ، أو أريد به وأشهدوا إذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على أن الإشهاد كافٍ فيه دون الكتابة والأمر للندب { وَلا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ } [البقرة : 282] يحتمل البناء للفاعل لقراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر وللمفعول لقراءة ابن عباس رضي الله عنهما ولا يضارر والمعنى نهي

الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منهما ، وعن التحريف والزيادة والنقصان ، أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويلزّا ، أولاً يعطى الكاتب حقه من الجعل ، أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد { وَإِن تَفْعَلُوا } [البقرة : 282] وإن تضاروا { فَإِنَّهُ } فإن الضرار { فُسُوقُ بِكُمْ } [البقرة : 282] مأثم { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] في مخالفة أوامره { وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ } [البقرة : 282] شرائع دينه { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [البقرة : 282] لا يلحقه سهو ولا قصور.

جزء : 1 رقم الصفحة : 208

{ وَإِن كُنتُمْ } [المائدة : 6] أيها المتداينون { عَلَى سَفَرٍ } [النساء : 43] مسافرين { وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ } [البقرة : 283] فرهان : مكي وأبو عمرو أي فالذي يستوثق به رهن وكلاهما جمع رهن 215

(144/1)

كسقف وسقف وبغل وبغال ، ورهن في الأصل مصدر سمي به ثم كسر تكسير الأسماء.

ولما كان السفر مظنة لأعواز الكتب والإشهاد ، أمر على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والإشهاد لا أن السفر شرط تجويز الارتهان.

وقوله { مَّقْبُوضَةٌ } يدل على اشتراط القبض لا كما زعم مالك أن الرهن يصح بالإيجاب والقبول بدون القبض { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا } [البقرة : 283] فإن أمن بعض الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه به فلم يتوثق بالكتابة والشهود والرهن { فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ } [البقرة : 283] دينه. وائتمن افتعل من الأمن وهو حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن وأمنه منه وائتمانه له ، وأن يؤدي إليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه.

وسمي الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه { وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ } [البقرة : 283] في إنكار حقه { وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ } [البقرة : 283] هذا خطاب للشهود { وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ } [البقرة : 283] ارتفع قلبه بـ " آثم " على الفاعلية كأنه قيل : فإنه يأثم قلبه ، أو بالابتداء وآثم خبره مقدم والجملة خبر " إن " .

وإنما أسند إلى القلب وحده والجملة هي الآثمة لا القلب وحده ، لأن كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب ولا يتكلم بها ، فلما كان إثماً مقترفاً مكتسباً بالقلب أسند إليه لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما تقول " هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي " ، ولأن القلب رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله ، وإن فسدت فسد الجسد كله ، فكأنه قيل : فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان منه ، ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح ، ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب ،

وإذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب.
وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أكبر الكبائر الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة { وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 265] من كتمان الشهادة وإظهارها { عَلِيمٌ } لا يخفى عليه شيء.
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَاَمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالاْرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } خلقاً وملكاً { وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ } [البقرة : 284] يعني من السوء { يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ } [البقرة : 284] يكافئكم ويجازيكم ولا
216

(145/1)

تدخل الوساوس وحديث النفس فيما يخفيه الإنسان ، لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه ، والحاصل أن عزم الكفر كفر وخطرة الذنوب من غير عزم معفوة ، وعزم الذنوب إذا ندم عليه ورجع عنه واستغفر منه مغفور.
فأما إذا هم بسيئة وهو ثابت على ذلك إلا أنه منع عنه بمانع ليس باختياره فإنه لا يعاقب على ذلك عقوبة فعله أي بالعزم على الزنا لا يعاقب عقوبة الزنا ، وهل يعاقب عقوبة عزم الزنا؟ قيل : لا لقوله عليه السلام : إن الله عفا عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم به والجمهور على أن الحديث في الخطرة دون العزم وأن المؤاخذة في العزم ثابتة وإليه مال الشيخ أبو منصور وشمس الأئمة الحلواني رحمهما الله ، والدليل عليه قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ } [النور : 19] (النور : 91).
الآية.
وعن عائشة رضي الله عنها : ما هم العبد بالمعصية من غير عمل يعاقب على ذلك بما يلحقه من الهم والحزن في الدنيا.
وفي أكثر التفاسير أنه لما نزلت هذه الآية جزعت الصحابة رضي الله عنهم وقالوا : أنؤاخذ بكل ما حدثت به أنفسنا فنزل قوله آمن الرسول إلى قوله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتعلق ذلك بالكسب دون العزم.
وفي بعضها أنها نسخت بهذه الآية ، والمحققون على أن النسخ يكون في الأحكام لا في الأخبار { فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ } [البقرة : 284] برفعهما : شامي وعاصم أي فهو يغفر ويعذب ، ويجزمهما : غيرهم عطفاً على جواب الشرط ، وبالإدغام : أبو عمرو ، وكذا في الإشارة والبشارة.
وقال صاحب الكشاف : مدغم الراء في اللام لاحن مخطىء ، لأن الراء حرف مكرر فيصير بمنزلة المضاعف ، ولا يجوز إدغام المضاعف ، ورواية عن أبي عمر مخطىء مرتين لأنه يلحن وينسب

إلى أعلم الناس في العربية ما يؤذن بجهل عظيم { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ } [المجادلة : 6] من المغفرة والتعذيب وغيرهما { قَدِيرٌ } قادر.
217
{ الرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ } [البقرة : 285] إن عطف المؤمنون على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في { كُلٌّ } راجعاً إلى الرسول والمؤمنون } أي كلهم { ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ } [البقرة : 285] ووقف عليه ، وإن كان مبتدأ كان عليه كل مبتدأ ثانياً والتقدير كل منهم وآمن خبر المبتدأ الثاني والجملة خبر الأول ، وكان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن.
وكتابه : حمزة وعلي يعني القرآن أو الجنس { لا نُفَرّقُ } [البقرة : 285] أي يقولون لا نفرق بل نؤمن بالكل { بَيْنَ أَحَدٍ مّن رُّسُلِهِ } [البقرة : 285] أحد في معنى الجمع ولذا دخل عليه بين وهو لا يدخل إلا على اسم يدل على أكثر من واحد.
تقول المال بين القوم ولا تقول المال بين زيد.
{ وَقَالُوا سَمِعْنَا } [البقرة : 285] أجبنا قولك { وَأَطَعْنَا } أمرك { غُفْرَانَكَ } أي اغفر لنا غفرانك فهو منصوب بفعل مضمر { رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة : 285] المرجع ، وفيه إقرار بالبعث والجزاء.
والآية تدل على بطلان الاستثناء في الإيمان وعلى بقاء الإيمان لمرتكب الكبائر.
{ لا يُكَلّفُ اللَّهُ نَفْسًا } [البقرة : 286] محكي عنهم أو مستأنف { إِلا وُسْعَهَا } [الأعراف : 42] إلا طاقتها وقدرتها لأن التكليف لا يرد إلا بفعل يقدر عليه المكلف ، كذا في شرح التأويلات.
وقال صاحب الكشاف : الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه أي لا يكلفها إلا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى غاية الطاقة والمجهود ، فقد كان في طاقة الإنسان أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } [البقرة : 286] ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر ، وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لأن الافتعال للانكماش
218

(146/1)

والنفس تنكمش في الشر وتتكلف للخير { رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ } [البقرة : 286] تركنا أمراً من أوامرك سهواً { أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة : 286] ودل هذا على جواز المؤاخذة في النسيان والخطأ خلافاً للمعتزلة لإمكان التحرز عنهما في الجملة ولولا جواز المؤاخذة بهما لم يكن للسؤال معنى { رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا } [البقرة : 286] عبأ يأصر حامله أي يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق

من نحو قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك { كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا } [البقرة : 286] كاليهود { رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } [البقرة : 286] من العقوبات النازلة بمن قبلنا { وَاعْفُ عَنَّا } [البقرة : 286] امح سيئاتنا { وَاغْفِرْ لَنَا } [التحريم : 8] واستر ذنوبنا وليس بتكرار فالأول للكبائر والثاني للصغائر { وَارْحَمْنَآ } بتثقيل ميزاننا مع إفلاسنا ، والأول من المسخ والثاني من من الخسف والثالث من الغرق { أَنتَ مَوْلَانَا } [البقرة : 286] سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا { فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 286] فمن حق المولى أن ينصر عبيده في الحديث من قرأ آمن الرسول إلى آخره في ليلة كفتاه وفيه من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل ويجوز أن يقال : قرأت سورة البقرة أو قرأت البقرة لما روي عن علي رضي الله عنه : خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش.

وقال بعضهم : يكره ذلك بل يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة والله أعلم.

219

سورة آل عمران

نزلت بالمدينة وهي مائتا آية

{ الم } حركت الميم لالتقاء الساكنين أعني سكونها وسكون لام الله وفتحت لخفة الفتحة ، ولم تكسر للياء وكسر الميم قبلها تحامياً عن توالي الكسرات ، وليس فتح الميم لسكونها وسكون ياء قبلها إذ لو كان كذلك لوجب فتحها في حم .

ولا يصح أن يقال : إن فتح الميم هو فتحة همزة الله نقلت إلى الميم لأن تلك الهمزة همزة وصل تسقط في الدرج وتسقط معها حركتها ، ولو جاز نقل حركتها لجاز إثباتها وإثباتها غير جائز.

وأسكن يزيد والأعشى الميم وقطعا الألف ، والباقون بوصل الألف وفتح الميم والله مبتدأ

جزء : 1 رقم الصفحة : 220

{ لا إِلَـاهَ إِلا هُوَ } [البقرة : 255] خبره وخبر " لا " مضمر والتقدير : لا إله في الوجود إلا هو ، وهو في موضع الرفع بدل من موضع " لا " ، واسمه { الْحَىُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران : 2] خبر مبتدأ محذوف أي هو الحي ، أو بدل من هو والقيوم فيعول من قام وهو القائم بالقسط والقائم على كل نفس بما كسبت { نَزَّلَ } أي هو نزل { عَلَيْكَ الْكِتَابَ } [النحل : 64] القرآن { بِالْحَقِّ } حال أي نزله حقاً ثابتاً { مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } [فاطر : 31] لما قبله { وَأَنزَلَ التَّوْرَاةِ وَالانجِيلَ } [آل عمران : 3] هما اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ، ووزنهما ع بتفعلة وافعيل إنما يصح بعد كونهما

220

عربيين.
وإنما قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والإنجيل لأن القرآن نزل منجماً ونزل الكتابان جملة { مِن قَبْلُ } [يوسف : 6] من قبل القرآن { هُدًى لِّلنَّاسِ } [آل عمران : 4] لقوم موسى وعيسى أو لجميع الناس { وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ } [آل عمران : 4] أي جنس الكتب لأن الكل يفرق بين الحق والباطل ، أو الزبور ، أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له تفخيماً لشأنه { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ } [آل عمران : 4] من كتبه المنزلة وغيرها { لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ } [آل عمران : 4] ذو عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها منتقم { إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِي الارْضِ وَلا فِى السَّمَآءِ } [آل عمران : 5] أي في العالم فعبر عنه بالسماء والأرض أي هو مطلع على كفر من كفر وإيمان من آمن وهو مجازيهم عليه { هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الارْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ } [آل عمران : 6] من الصور المختلفة { لا إِلَاهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ } [آل عمران : 6] في سلطانه { الْحَكِيمُ } في تدبيره.
روي أنه لما قدم وفد بني نجران وهم ستون راكباً.
أميرهم العاقب وعمدتهم السيد وأسقفهم وحبرهم أبو حارثة خاصموا في أن عيسى إن لم يكن ولداً الله فمن أبوه؟ فقال عليه السلام : ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا : بلى.
قال : ألم تعلموا أن الله تعالى حي لا يموت وعيسى يموت ، وأن ربنا قيم على العباد يحفظهم ويرزقهم وعيسى لا يقدر على ذلك ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وعيسى لا يعلم إلا ما علم ، وإنه صور عيسى في الرحم كيف شاء فحملته أمه ووضعته وأرضعته ، وكان يأكل ويحدث وربنا منزه عن ذلك كله؟ فانقطعوا فنزل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية.
221
جزء : 1 رقم الصفحة : 220
{ هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ } [آل عمران : 7] القرآن { مِنْهُ } من الكتاب { ءَايَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ } [آل عمران : 7] أحكمت عبارتها بأن حفظت من الاحتمال والاشتباه { هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } [آل عمران : 7] أصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد إليها { وَأَخَّرَ } وآيات أخر { مُتَشَابِهَاتٌ } مشتبهات محتملات.
مثال ذلك { الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : 5] (طه : 5) فالاستواء يكون بمعنى الجلوس وبمعنى القدرة والاستيلاء ، ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم وهو قوله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ } [الشورى : 11] (الشورى : 11) أو المحكم ما أمر الله به في كل كتاب أنزله نحو قوله : { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ } [الأنعام : 151] (الأنعام : 151) الآيات ، { وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ } [الإسراء : 23] (الأسراء : 32).
الآيات.
والمتشابه ما وراءه أو ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ، وما احتمل أوجهاً ، أو ما يعلم تأويله وما لا

يعلم تأويله ، أو الناسخ الذي يعمل به والمنسوخ الذي لا يعمل به.
وإنما لم يكن كل القرآن محكماً لما في المتشابه من الابتلاء به والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ، ولما في تقادح العلماء وإتعابهم والقرائح في استخراج معانيه ورده إلى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله تعالى.
{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } [آل عمران : 7] ميل عن الحق وهم أهل البدع { فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ } [آل عمران : 7] فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب إليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول أهل الحق { مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ } [آل عمران : 7] طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم { وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ } [آل عمران : 7] وطلب أن يؤولوه التأويل الذي يشتهونه { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُا إِلا اللَّهُ } [آل عمران : 7] أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا الله
جزء : 1 رقم الصفحة : 220

(148/1)

{ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } [آل عمران : 7] والذين رسخوا أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع مستأنف عند الجمهور ، والوقف عندهم في قوله إلا الله وفسروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه ، وهو مبتدأ عندهم والخبر يقولون آمنّا به وهو ثناء منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم واعتقاد الحقية بلا تكييف ، وفائدة إنزال المتشابه الإيمان به ، واعتقاد حقية ما أراد الله به ، ومعرفة قصور أفهام البشر عن الوقوف
222
على ما لم يجعل لهم إليه سبيلاً ، ويعضده قراءة أبي ويقول الراسخون وعبد الله إن تأويله إلا عند الله .
ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به أي بالمتشابه أو بالكتاب { كُلٌّ } من متشابهه ومحكمه { مِّنْ عِندِ رَبِّنَا } [آل عمران : 7] من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه { وَمَا يَذَّكَّرُ } [البقرة : 269] وما يتعظ وأصله يتذكر { إِلَّا أُوْلُوا الالْبَابِ } [البقرة : 269] أصحاب العقول ، وهو مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمل.
وقيل : يقولون حال من الراسخين.
جزء : 1 رقم الصفحة : 220
{ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا } [آل عمران : 8] لا تملها عن الحق بخلق الميل في القلوب { بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا }

[آل عمران : 8] للعمل بالمحكم والتسليم للمتشابه { وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً } [آل عمران : 8] من عندك نعمة بالتوفيق والتثبيت { إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ } [آل عمران : 8] كثير الهبة ، والآية من مقول الراسخين ويحتمل الاستئناف أي قولوها وكذلك التي بعدها وهي { رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ } [آل عمران : 9] أي تجمعهم لحساب يوم أو لجزاء يوم { لا رَيْبَ فِيهِ } [الأنعام : 12] لا شك في وقوعه

{ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [آل عمران : 9] الموعد.

والمعنى أن الإلهية تنافي خلف الميعاد كقولك " إن الجواد لا يخيب سائله " أي لا يخلف ما وعد المسلمين والكافرين من الثواب والعقاب.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } [النساء : 56] برسول الله { لَن تُغْنِىَ } [آل عمران : 10] تنفع أو تدفع { عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران : 10] من عذابه { شيئا } من الأشياء { وَأُولَائِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ } [آل عمران : 10] حطبها { كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ } [آل عمران : 11] الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الإنسان من شأنه وحاله.

والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة في تكذيب الحق كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ،

أو منصوب المحل بـ " لن تغني أي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك.

كداب بلا همز حيث كان : أبو عمرو.

{ كَذَّبُوا بِـَايَـاتِنَآ } [الأنبياء : 77] تفسير لدأبهم مما فعلوا ، أو فعل بهم على أنه جواب سؤال مقدر عن حالهم ، ويجوز أن يكون حالاً أي قد كذبوا { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ } [الانفال : 52] بسبب ذنوبهم يقال أخذته بكذا أي جازيته عليه { وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [آل عمران : 11] شديد عقابه فالإضافة غير محضة { قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا } [الانفال : 38] هم مشركو مكة { سَتُغْلَبُونَ } يوم بدر { وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ } [آل عمران : 12] من الجهنام وهي بئر عميقة.

وبالياء فيهما : حمزة وعلي { وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [آل عمران : 12] المستقر جهنم.

{ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ } [آل عمران : 13] الخطاب لمشركي قريش { فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا } [آل عمران : 13] يوم بدر { فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [آل عمران : 13] وهم المؤمنون { وَأُخْرَى } وفئة أخرى

{ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ } [آل عمران : 13] يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين ألفين ، أو مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفاً وعشرين ، أراهم الله إياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم.

ترونهم نافع أي ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة ، أو مثلي أنفسهم.

ولا يناقض هذا ما قال في سورة الأنفال { وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ } [الانفال : 44] (الأنفال : 44) لأنهم قللوا أولاً في أعينهم حتى اجترؤا عليهم ، فلما اجتمعوا كثروا في أعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين ونظيره من المحمول على اختلاف الأحوال { فَيَوْمَاإِذٍ لا يُسْاَلُ عَن ذَنابِهِ إِنسٌ وَلا جَآنٌّ } [الرحمن : 39] (الرحمن : 93).

{ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم } (الصافات : 42).

وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى في أعينهم أبلغ في القدرة وإظهار الآية.

ومثليهم نصب على الحال لأنه من رؤية العين بدليل قوله { مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ } [آل عمران : 13] يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها { وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ } [آل عمران : 13] كما أيد أهل بدر بتكثيرهم في أعين العدو { إِنَّ فِى ذَالِكَ } [السجدة : 26] في تكثير القليل { لَعِبْرَةً } لعظة { لاوْلِى الابْصَارِ } [آل عمران : 13] لذوي البصائر.

224

{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ } [آل عمران : 14] المزين هو الله عند الجمهور للابتلاء كقوله : { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الارْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ } [الكهف : 7] (الكهف : 7).

دليله قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل.

وعن الحسن : الشيطان { حُبُّ الشَّهَوَاتِ } [آل عمران : 14] الشهوة توقان النفس إلى الشيء ، جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة ، أو كأنه أراد تخسيسها بتسميتها شهوات إذ الشهوة مسترذلة عند الحكماء ، مذموم من اتبعها ، شاهد على نفسه بالبهيمية { مِّنَ النِّسَآءِ } [النساء : 22] والإماء داخلة فيها { وَالْبَنِينَ } جمع ابن وقد يقع في غير هذا الموضع على الذكور والإناث ، وهنا أريد به الذكور فهم المشتهون في الطباع والمعدون للدفاع { وَالْقَنَاطِيرِ } جمع قنطار وهو المال الكثير.

قيل : ملء مسك ثور أو مائة ألف دينار ، ولقد جاء الإسلام وبمكة مائة رجل قد قنطروا { الْمُقَنطَرَةِ } المنضدة أو المدفونة { مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ } [آل عمران : 14] سمي ذهباً لسرعة ذهابه بالإنفاق ، وفضة لأنها تتفرق بالإنفاق والفض التفريق { وَالْخَيْلِ } سميت به لاختيالها في مشيها { الْمُسَوَّمَةِ } المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها { وَالانْعَامُ } هي الأزواج الثمانية { وَالْحَرْثِ } الزرع { ذَالِكَ } المذكور { مَّتَاعَ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا } [يونس : 23] يتمتع به في الدنيا { وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ } المرجع.

ثم زهدهم في الدنيا فقال { قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَالِكُمْ } [آل عمران : 15] من الذي تقدم { لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ } [آل عمران : 15] كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلك ، فـ جنات مبتدأ للذين اتقوا خبره { تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ } [الرعد : 35] صفة لـ " جنات ، ويجوز أن يتعلق اللام بـ " خير " واختص المتقين لأنهم هم المنتفعون به.

ويرتفع جنات على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جناتٍ بالجر على البدل من خير

225

(150/1)

{ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران : 15] أي رضا الله { وَاللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ } [آل عمران : 15] عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها أو بصير بالذين اتقوا وبأحوالهم فلذا أعدلهم الجنات.

{ الَّذِينَ يَقُولُونَ } [النساء : 75] نصب على المدح أو رفع أو جر صفة للمتقين أو للعباد { رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا } [آل عمران : 16] إجابة لدعوتك { فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا } [آل عمران : 16] إنجازاً لوعدك { وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة : 201] بفضلك { الصَّابِرِينَ } على الطاعات والمصائب وهو نصب على المدح { وَالصَّادِقِينَ } قولاً بإخبار الحق ، وفعلاً بإحكام العمل ، ونية بإمضاء العزم { وَالْقَانِتِينَ } الداعين أو المطيعين { وَالْمُنَافِقِينَ } المتصدقين { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالاسْحَارِ } [آل عمران : 17] المصلين أو طالبين المغفرة ، وخص الأسحار لأنه وقت إجابة الدعاء ، ولأنه وقت الخلوة.

قال لقمان لابنه : يا بني لا يكن الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم.

والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها ، وللإشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح.

{ شَهِدَ اللَّهُ } [آل عمران : 18] أي حكم أو قال { أَنَّهُ } أي بأنه { لا إِلَاهَ إِلا هُوَ وَالْمَلَائكَةُ } [آل عمران : 18] بما عاينوا من عظيم قدرته

جزء : 1 رقم الصفحة : 223

{ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ } [آل عمران : 18] أي الأنبياء والعلماء { قَآ اِمَا بِالْقِسْطِ } [آل عمران : 18] مقيماً للعدل فيما يقسم من الأرزاق والآجال ويثيب ويعاقب ، وما يأمر به عباده من إنصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم.

وانتصابه على أنه حال مؤكدة من اسم الله تعالى أو من هو ، وإنما جاز إفراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت " جاء زيد وعمرو راكباً " لم يجز لعدم الإلباس فإنك لو قلت " جاءني زيد وهند راكبا " جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح.

وكرر { لا إِلَاهَ إِلا هُوَ } [البقرة : 255] للتأكيد { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [البقرة : 129] رفع على الاستئناف أي هو العزيز وليس بوصف لـ هو لأن الضمير لا يوصف يعني أنه العزيز الذي لا يغالب ، الحكيم الذي لا يعدل عن الحق

226

{ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الاسْلَامُ } [آل عمران : 19] جملة مستأنفة.

وقرىء أن الدين على البدل من قوله أنه لا إله إلا هو أي شهد الله أن الدين عند الله الإسلام.

قال عليه السلام من قرأ الآية عند منامه خلق الله تعالى منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة ، ومن قال بعدها : وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة يقول الله تعالى يوم القيامة : إن لعبدي عندي عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة " .

{ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [آل عمران : 19] أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، واختلافهم أنهم تركوا الإسلام وهو التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزيز بن الله { إِلا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ } [آل عمران : 19] أنه الحق الذي لا محيد عنه { بَغْيَا بَيْنَهُمْ } [الجاثية : 17] أي ما كان ذلك الاختلاف إلا حسداً بينهم وطلباً منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناساً لا شبهة في الإسلام.

وقيل : هو اختلافهم في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام حيث آمن به بعض وكفر به بعض.

وقيل : هم النصارى واختلافهم في أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله { وَمَن يَكْفُرْ بِاَايَاتِ اللَّهِ } [آل عمران : 19] بحججه ودلائله

جزء : 1 رقم الصفحة : 223

(151/1)

{ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [آل عمران : 19] سريع المجازاة { فَإِنْ حَآجُّوكَ } [آل عمران : 20] فإن جادلوك في أن دين الله الإسلام والمراد بهم وفد بني نجران عند الجمهور { فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ } [آل عمران : 20] أي أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم أجعل فيها لغيره شريكاً بأن أعبده وأدعو إلهاً معه ، يعني أن ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شيئا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } .

فهو دفع للمحاجة بأن ما هو عليه ومن معه من

المؤمنين هو اليقين الذي لا شك فيه فما معنى المحاجة فيه { وَمَنِ اتَّبَعَنِ } [آل عمران : 20] عطف على التاء في أسلمت أي أسلمت أنا ومن أتبعني وحسن للفاصل ، ويجوز أن يكون الواو بمعنى " مع " فيكون مفعولاً معه.

ومن اتبعني في الحالين : سهل ويعقوب وافق أبو عمرو في الوصل.

وجهي : مدني وشامي وحفص والأعشى والبرجمي.

{ وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [آل عمران : 20] من اليهود والنصارى { وَالامِّيِّانَ } والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب { ءَأَسْلَمْتُمْ } بهمزتين : كوفي ، يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يقتضي حصول الإسلام فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟ وقيل : لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الأمر أي أسلموا كقوله { فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ } [المائدة : 91] (المائدة : 19) أي انتهوا { فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا } [آل عمران : 20] فقد أصابوا الرشد حيث خرجوا من الضلال إلى الهدى { وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـاغُ } [آل عمران : 20] أي لم يضروك فإنك رسول منبه ما عليك إلا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى { وَاللَّهُ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ } [آل عمران : 15] فيجازيهم على إسلامهم وكفرهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 223

جزء : 1 رقم الصفحة : 228

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيّانَ } [آل عمران : 21] هم أهل الكتاب رضوان بقتل آبائهم الأنبياء { بِغَيْرِ حَقّ } [الحج : 40] حال مؤكدة لأن قتل النبي لا يكون حقاً { وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ } [آل عمران : 21] ويقاتلون : حمزة { بِالْقِسْطِ } بالعدل { مِنَ النَّاسِ } [المائدة : 67] أي سوى الأنبياء.

قال عليه السلام قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عباد بني إسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم { فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [آل عمران : 21] دخلت الفاء في خبر " إن " لتضمن اسمها معنى الجزاء كأنه قيل : الذين يكفرون فبشرهم بعذاب أليم بمعنى من يكفر فبشرهم ، وهذا لأن " إن " لا تغير معنى الابتداء فهي للتحقيق فكأن دخولها كلا دخول ولو كان مكانها " ليت " أو " لعل " لامتنع دخول الفاء

{ أولئك الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } [آل عمران : 22] أي ضاعت { فِى الدُّنُيَا وَالاخِرَةِ } [يوسف : 101] فلهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة { وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ } [آل عمران : 22] جمع لوقف رؤوس الآي وإلا فالواحد النكرة في النفي يعم.

{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ } [آل عمران : 23] يريد أحبار اليهود وأنهم حصلوا نصيباً وافراً من التوراة.

ومن للتبعيض أو للبيان { يَدَّعُونَ } حال من الذين { إِلَى كِتَابِ اللَّهِ } [آل عمران : 23] أي التوراة أو القرآن { لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ } [النور : 48] جعل حاكماً حيث كان سبباً للحكم أو ليحكم النبي.

روي أنه عليه السلام دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد : على أي دين أنت؟ قال النبي عليه السلام : على ملة إبراهيم.

قالا : إن إبراهيم كان يهودياً.

قال لهما : إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا { ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم } [النور : 47] استبعاد لتوليهم بعد علمهم بأن الرجوع إلى كتاب الله واجب { وَهُم مُّعْرِضُونَ } [آل عمران : 23] وهم قوم لا يزال الإعراض ديدنهم { ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ } [آل عمران : 24] أي ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل وهي أربعون يوماً أو سبعة أيام وذلك مبتدأ وبأنهم خبره { وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ } [آل عمران : 24] أي غرهم افتراؤهم على الله وهو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فلا يعذبنا بذنوبنا إلا مدة يسيرة.

جزء : 1 رقم الصفحة : 228

{ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ } [آل عمران : 25] فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت

229

{ لا رَيْبَ فِيهِ } [الأنعام : 12] لا شك فيه { وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } [آل عمران : 25] جزاء ما كسبت { وَهُمْ } يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه في معنى كل الناس { لا يُظْلَمُونَ } [البقرة : 281] بزيادة في سيئاتهم ونقصان في حسناتهم.

{ قُلِ اللَّهُمَّ } [الزمر : 46] الميم عوض من " يا " ولذا لا يجتمعان ، وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه ، وفيه لام التعريف وبقطع همزته في " يا الله " وبالتفخيم { مَالِكَ الْمُلْكِ } [آل عمران : 26] تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثانٍ أي يا مالك الملك { تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ } [آل عمران : 26] تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له من الملك { وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ } [آل عمران : 26] أي تنزعه فالملك الأول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل.

روي أنه عليه السلام حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقالت اليهود والمنافقون : هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت { وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ } [آل

عمران : 26] بالملك { وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ } [آل عمران : 26] بنزعه منه { بِيَدِكَ الْخَيْرُ } [آل عمران : 26] أي الخير والشر فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر ، أو لأن الكلام وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال : بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعداءك { إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران : 26] ولا يقدر على شيء أحد غيرك إلا بإقدارك.

وقيل : المراد بالملك ملك العافية أو ملك القناعة.

قال عليه السلام ملوك الجنة من أمتي القانعون بالقوت يوماً فيوماً أو ملك قيام الليل.

وعن الشبلي : الاستغناء بالمكون عن الكونين تعز بالمعرفة أو بالاستغناء بالمكون أو بالقناعة وتذل بأضدادها.

ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر ، وعطف عليه رزقه بغير حساب بقوله

{ تُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ } [آل عمران : 27] فالإيلاج إدخال الشيء في الشيء وهو مجاز هنا أي تنقص من ساعات الليل وتزيد في النهار ، وتنقص من ساعات النهار وتزيد في الليل { وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيّتِ } [آل عمران : 27] الحيوان من النطفة ، أو الفرخ من البيضة ، أو المؤمن من الكافر { وَتُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَىِّ } [آل عمران : 27] النطفة من الإنسان ، أو البيض من الدجاج ، أو الكافر من المؤمن { وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران : 27] لا يعرف الخلق عدده ومقداره وإن كان معلوماً عنده ، ليدل على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ، ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم.

وفي بعض الكتب : أنا الله ملك الملوك ، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي ، فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة ، وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة ، فلا تشتغلوا بسبب الملوك ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم.

وهو معنى قولهم عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم الحي من الميت والميت من الحي بالتشديد حيث كان : مدني وكوفي غير أبي بكر.

{ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ } [آل عمران : 28] نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو لصداقة قبل الإسلام أو غير ذلك ، وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله والبغض في الله باب

عظيم في الإيمان.
{ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } [النساء : 144] يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم { وَمَن يَفْعَلْ ذَالِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَىْءٍ } [آل عمران : 28] أي ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله في شيء لأن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان { إِلا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً } [آل عمران : 28] إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه أي إلا أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار الموالاة وإبطان المعاداة { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران : 30] أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد
جزء : 1 رقم الصفحة : 228
{ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } [آل عمران : 28] أي مصيركم
231

(154/1)

إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر.
{ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ } [آل عمران : 29] من ولاية الكفار أو غيرها مما لا يرضي الله { يَعْلَمْهُ اللَّهُ } [البقرة : 197] ولم يخف عليه وهو أبلغ وعيد { وَيَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الارْضِ } استئناف وليس بمعطوف على جواب الشرط أي هو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض فلا يخفى عليه سركم وعلنكم { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 284] فيكون قادراً على عقوبتكم { يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُواءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُا أَمَدَا بَعِيدًا } [آل عمران : 30] يوم منصوب بـ تود والضمير في بينه لليوم أي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين ، تتمنى لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهو له أمداً بعيداً أي مسافة بعيدة ، أو بـ اذكر ويقع تجد على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره أي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه ، ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تود ، نعم الرفع جائز إذا كان الشرط ماضياً لكن الجزم هو الكثير.
وعن المبرد أن الرفع شاذ.
وكرر قوله { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } [آل عمران : 30] ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه { وَاللَّهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ } [البقرة : 207] ومن رأفته بهم أن حذرهم نفسه حتى لا يتعرضوا لسخطه ، ويجوز أن يريد أنه مع كونه محذوراً لكمال قدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ } [فصلت : 43] (فصلت : 34).
ونزل حين قال اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه.

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران : 31] محبة العبد لله إيثار طاعته على غير ذلك ، ومحبة الله العبد أن يرضى عنه ويحمد فعله.

وعن الحسن : زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل ، فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه.

وقيل : محبة الله

232

معرفته ودوام خشيته ودوام اشتغال القلب به وبذكره ودوام الأنس به.

وقيل : هي اتباع النبي عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله إلا ما خص به.

وقيل : علامة المحبة أن يكون دائم التفكير ، كثير الخلوة ، دائم الصمت ، لا يبصر إذا نظر ، ولا يسمع إذا نودي ، ولا يحزن إذا أصيب ، ولا يفرح إذا أصاب ، ولا يخشى أحداً ولا يرجوه { وَالرَّسُولِ } قيل : هي علامة المحبة { فَإِن تَوَلَّوْا } [المائدة : 49] أعرضوا عن قبول الطاعة ، ويحتمل أن يكون مضارعاً أي فإن تتولوا { فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ } [آل عمران : 32] أي لا يحبهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 228

{ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى } [آل عمران : 33] اختار { ءَادَمَ } أبا البشر { وَنُوحًا } شيخ المرسلين { إِنَّ اللَّهَ } [آل عمران : 33] إسماعيل وإسحاق وأولادهما { إِنَّ اللَّهَ } [آل عمران : 33] موسى وهارون هما ابنا عمران بن يصهر.

وقيل : عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة { عَلَى الْعَالَمِينَ } [البقرة : 47] على عالمي زمانهم { ذُرِّيَّةً } بدل من آل إبراهيم وآل عمران { بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ } [آل عمران : 34] مبتدأ وخبره في موضع النصب صفة لـ " ذرية " يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض : موسى وهارون من عمران ، وعمران من يصهر ، ويصهر من قاهث ، وقاهث من لاوي ، ولاوي من يعقوب ، ويعقوب من إسحاق ، وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان وهو يتصل بيهودا بن يعقوب بن إسحاق ، وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

وقيل : بعضها من بعض في الدين { وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة : 224] يعلم من يصلح للإصطفاء ، أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها { إِذْ قَالَتِ } [آل عمران : 35] وإذا منصوب به أو بإضمار " اذكر " .

{ امْرَأَتُ عِمْرَانَ } [آل عمران : 35] هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم جدة عيسى وهي حنة بنت فاقوذا { رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ } [آل عمران : 35] أوجبت { مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا } [آل عمران : 35] هو حال من ما وهي بمعنى الذي أي معتقاً لخدمة

233

بيت المقدس لا يد لي عليه ولا أستخدمه ، وكان هذا النوع من النذر مشروعاً عندهم أو مخلصاً للعبادة يقال " طين حر " أي خالص { فَتَقَبَّلْ مِنِّي } [آل عمران : 35] منّي } مدني وأبو عمر ، والتقبل : أخذ الشيء على الرضا به { إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا } الضمير لـ ما في بطني وإنما أنّث على تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة { قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَى } [آل عمران : 36] أنثى حال من الضمير في وضعتها أي وضعت الحبلة أو النفس أو النسمة أنثى ، وإنما قالت هذا القول لأن التحرير لم يكن إلا للغلمان فاعتذرت عما نذرت وتحزنت إلى ربها ولتكلمها بذلك على وجه التحزن والتحسر قال الله

جزء : 1 رقم الصفحة : 228

{ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ } [آل عمران : 36] تعظيماً لموضوعها أي والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عزائم الأمور.

وضعت : شامي وأبو بكر بمعنى ولعل لله فيه سراً وحكمة ، وعلى هذا يكون داخلاً في القول.

وعلى الأول يوقف عند قوله أنثى وقوله : والله أعلم بما وضعت " .

ابتداء إخبار من الله تعالى { وَلَيْسَ الذَّكَرُ } [آل عمران : 36] الذي طلبت { كَالانثَى } التي وهبت لها واللام فيهما للعهد { وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ } [آل عمران : 36] معطوف على إني وضعتها أنثى وما بينهما جملتان معترضتان.

وإنما ذكرت حنة تسميتها مريم لربها لأن مريم في لغتهم العابدة ، فأرادت بذلك التقرب والطلب إليه أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ، ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها ولولدها من الشيطان بقوله { وَإِنِّى } وإنّي مدني { أُعِيذُهَا بِكَ } [آل عمران : 36] أجيرها { وَذُرِّيَّتَهَا } أولادها { مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } [آل عمران : 36] الملعون في الحديث ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها.

{ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا } [آل عمران : 37] قبل الله مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر { بِقَبُولٍ حَسَنٍ } [آل عمران : 37] قيل : القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط لما يسعط به وهو اختصاصه لها

234

بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها أنثى في ذلك ، أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة.

روي أن حنة لما ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم : دونكم هذه النذيرة ، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم ، وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم فقال لهم زكريا : أنا أحق بها ، عندي أختها.

فقالوا : لا حتى نقترع عليها.
فانطلقوا ـ وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر ـ فألقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها.
وقيل : هو مصدر على تقدير حذف المضاف أي فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص
جزء : 1 رقم الصفحة : 228

(156/1)

{ وَأَنابَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا } [آل عمران : 37] مجاز عن التربية الحسنة ، قال ابن عطاء : ما كانت ثمرته مثل عيسى فذاك أحسن النبات.
ونباتا مصدر على خلاف الصدر أو التصدير فنبتت نباتاً { وَكَفَّلَهَا } وكفلها : قبلها أو ضمن القيام بأمرها.
وكفّلها : كوفي أي كفلها الله زكريا يعني جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها { زَكَرِيَّآ } بالقصر : كوفي غير أبي بكر في كل القرآن.
وقرأ أبو بكر بالمد والنصب هنا.
غيرهم بالمد والرفع كالثانية والثالثة ومعناه في العبري : دائم الذكر والتسبيح { كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ } [آل عمران : 37] قيل : بنى لها زكريا محراباً في المسجد أي غرفة تصعد إليها بسلم.
وقيل : المحراب أشرف المجالس ومقدّمها كأنها وضعت في أشرف موضع من بيت المقدس.
وقيل : كانت مساجدهم تسمى المحاريب وكان لا يدخل عليها إلا هو وحده { وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا } [آل عمران : 37] كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثدياً قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء { قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَاذَا } من أين لك هذا الرزق الذي لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آتٍ في غير حينه؟ { قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ } [آل عمران : 37] فلا تستبعد.
قيل : تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد { إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ } [آل عمران : 37] من جملة كلام مريم أو من كلام رب العالمين { بِغَيْرِ حِسَابٍ } [البقرة : 212] بغير تقدير لكثرته أو تفضلاً بغير محاسبة ومجازاة على عمل.
235
{ هُنَالِكَ } في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب أو في ذلك الوقت فقد يستعار هنا و " حيث و " ثم " للزمان.
لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد أمها حنة

في الكرامة على الله ، وإن كانت عاقراً عجوزاً فقد كانت أمها كذلك.
وقيل : لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر { دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُا قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً } [آل عمران : 38] ولداً والذرية يقع على الواحد والجمع
جزء : 1 رقم الصفحة : 228
{ طَيِّبَةً } مباركة والتأنيث للفظ الذرية { إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ } [آل عمران : 38] مجيبه { فَنَادَتْهُ الْمَلَائكَةُ } [آل عمران : 39] قيل : ناداه جبريل عليه السلام.
وإنما قيل الملائكة لأن المعنى أتاه النداء من هذا الجنس كقولهم " فلان يركب الخيل " .
فناديه بالياء والإمالة : حمزة وعلي { وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ } [آل عمران : 39] وفيه دليل على أن المرادات تطلب بالصلوات ، وفيها إجابة الدعوات وقضاء الحاجات.
وقال ابن عطاء : ما فتح الله تعالى على عبد حالة سنية إلا باتباع الأوامر وإخلاص الطاعات ولزوم المحاريب { إِنَّ اللَّهَ } [التوبة : 111] بكسر الألف : شامي وحمزة وعلى إضمار القول ، أو لأن النداء قول.
الباقون : بالفتح أي بأن الله { يُبَشِّرُكِ } يبشرك وما بعده : حمزة وعلي من بشره والتخفيف والتشديد لغتان { بِيَحْيَى } هو غير منصرف إن كان عجمياً وهو الظاهر فللتعريف والعجمة كموسى وعيسى ، وإن كان عربياً فللتعريف ووزن الفعل كـ " يعمر { مُصَدِّقًا } حال منه { بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران : 39] أي مصدقاً بعيسى مؤمناً به فهو أول من آمن به.
وسمي عيسى كلمة الله لأن تكون بـ " كن " بلا أب ، أو مصدقاً بكلمة من الله مؤمناً بكتاب منه { وَسَيِّدًا } هو الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف ، وكان يحيى فائقاً على قومه لأنه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة.
وقال الجنيد : هو الذي جاد بالكونين عوضاً عن المكون { وَحَصُورًا } هو الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصراً لنفسه أي منعاً لها من

(157/1)

الشهوات { وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران : 39] ناشئاً من الصالحين لأنه كان من أصلاب الأنبياء أو كائناً من جملة الصالحين { قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ } [آل عمران : 40] استبعاد من حيث العادة واستعظام للقدرة لا تشكك { وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ } [آل عمران : 40] كقولهم " أدركته السن العالية " أي أثر فيّ الكبر وأضعفني وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون { وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ } [آل عمران : 40] لم تلد { قَالَ كَذَالِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ } [آل عمران : 40] من الأفعال

العجيبة.

جزء : 1 رقم الصفحة : 228

جزء : 1 رقم الصفحة : 237

{ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّى } [آل عمران : 41] لي مدني وأبو عمرو { ءَايَةً } علامة أعرف بها الحبل لأتلقى النعمة بالشكر إذا جاءت { قَالَ ءَايَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ } [آل عمران : 41] أي لا تقدر على تكليم الناس { ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إلا رَمْزًا } [آل عمران : 41] إلا إشارة بيد أو رأس أوعين أو حاجب وأصله التحرك ، يقال ارتمز إذا تحرك.

واستثنى الرمز وهو ليس من جنس الكلام لأنه لما أدّى مؤدّى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاماً ، أو هو استثناء منقطع.

وإنما خص تكليم الناس ليعلم أنه يحبس لسانه عن القدرة عن تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذا قال { وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِىِّ وَالابْكَارِ } [آل عمران : 41] أي في أيام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة والأدلة الظاهرة ، وإنما حبس لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له : آيتك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر ، وأحسن الجواب ما كان منتزعاً من السؤال.

والعشي من حين الزوال إلى الغروب ، والإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.

{ وَإِذْ } عطف على إذا قالت امرأة عمران أو التقدير واذكر إذ { قَالَتِ الْمَلَـٰئكَةُ يَـٰمَرْيَمُ } [آل عمران : 42] روي أنهم كلموها شفاها { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ } [آل عمران : 42] أولاً حين تقبلك من أمك ورباك واختصك بالكرامة السنية { وَطَهَّرَكِ } مما يستقذر من الأفعال

237

{ وَاصْطَفَاكِ } آخراً { عَلَى نِسَآءِ الْعَـٰلَمِينَ } [آل عمران : 42] بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم يكن ذلك لأحد من النساء { يَـٰمَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ } [آل عمران : 43] أديمي الطاعة أو أطيلي قيام الصلاة { وَاسْجُدِى } وقيل : أمرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة ، ثم قيل لها { وَارْكَعِى مَعَ الرَّٰكِعِينَ } [آل عمران : 43] أي ولتكن صلاتك مع المصلين أي في الجماعة ، أو وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم

جزء : 1 رقم الصفحة : 237

(158/1)

{ ذَالِكَ } إشارة إلى ما سبق من قصة حنة وزكريا ويحيى ومريم { مِنْ أَنابَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ } [آل عمران : 44] يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي { وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون

أَقْلَامَهُمْ } [آل عمران : 44] أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين ، أو هي الأقلام التي كانوا يكتبون التوراة بها اختاروها للقرعة تبركاً بها { أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ } [آل عمران : 44] متعلق بمحذوف دل عليه يلقون كأنه قيل ؛ يلقونها ينظرون أيهم يكفل مريم أو ليعلموا أو يقولون { وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ } [آل عمران : 44] في شأنها تنافساً في التكفل بها { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائكَةُ } [آل عمران : 45] أي اذكر { يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ } [آل عمران : 45] أي بعيسى { مِنْهُ } في موضع جر صفة لكلمة { اسْمُهُ } مبتدأ وذكر ضمير الكلمة لأن المسمى بها مذكر { الْمَسِيحُ } خبره والجملة في موضع جر صفة لـ " كلمة " .

والمسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله " مشيحاً " بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله : { وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ } (مريم : 13).

وقيل : سمي مسيحاً لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برأ ، أو لأنه كان يمسح الأرض بالسياحة لا يستوطن مكاناً { عِيسَى } بدل من المسيح { ابْنَ مَرْيَمَ } [المائدة : 116] خبر مبتدأ محذوف أي هو ابن مريم ، ولا يجوز أن يكون صفة لعيسى لأن اسمه عيسى فحسب وليس اسمه عيسى بن مريم.

وإنما قال ابن مريم إعلاماً لها أنه يولد من

غير أب فلا ينسب إلا إلى أمه وجيهاً ذا جاه وقدر في الدّنيا بالنبوة والطاعة { وَالاخِرَةِ } بعلو الدرجة والشفاعة { وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ } [آل عمران : 45] برفعه إلى السماء ، وقوله وجيهاً حال من كلمة لكونها موصوفة وكذا ومن المقربين أي وثابتاً من المقربين ، وكذا ويكلّم النّاس أي ومكلماً الناس في المهد حال من الضمير في يكلم أي ثابتاً في المهد وهو ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر

{ وَكَهْلا } عطف عليه أي ويكلم الناس طفلاً وكهلاً أي يكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحالة الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الأنبياء { وَمِنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران : 46] حال أيضاً والتقدير يبشرك به موصوفاً بهذه الصفات.

{ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَالِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ } [آل عمران : 47] أي إذا قدر تكون شيء كونه من غير تأخير لكنه عبر بقوله كن إخباراً عن سرعة تكون الأشياء بتكوينه { وَيُعَلِّمُهُ } مدني وعاصم وموضعه حال معطوفة على وجيهاً .

الباقون : بالنون على أنه كلام مبتدأ الكتاب } أي الكتابة وكان أحسن الناس خطاً في زمانه.

وقيل : كتب الله والحكمة } بيان الحلال والحرام أو الكتاب الخط باليد.

والحكمة : البيان باللسان { وَالتَّوْرَاةَ وَالانجِيلَ * وَرَسُولا } أي ونجعله رسولاً أو يكون في موضع الحال أي وجيهاً في الدنيا والآخرة ورسولاً { إِلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ أَنِّى } بأني { قَدْ جِئْتُكُم بِاَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } [آل عمران : 49] بدلالة تدل على صدقي فيما أدعيه من النبوة { أَنِّى أَخْلُقُ لَكُم } [آل عمران :

49] نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم .
إنّي : نافع على
239

(159/1)

الاستئناف { مِنَ الطِّينِ كَهَيْاَةِ الطَّيْرِ } [المائدة : 110] أي أقدر لكم شيئاً مثل صورة الطير { فَأَنفُخُ فِيهِ } [آل عمران : 49] الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير { فَيَكُونُ طَيْرًا } [آل عمران : 49] فيصير طيراً كسائر الطيور.
طائراً : مدني { بِإِذْنِ اللَّهِ } [فاطر : 32] بأمره.
قيل : لم يخلق شيئاً غير الخفاش { وَأُبْرِئُ الاكْمَهَ } [آل عمران : 49] الذي ولد أعمى { والابْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ } كرر بإذن الله دفعاً لو هم من يتوهم فيه اللاهوتية.
روي أنه أحيا سام بن نوح عليه السلام وهم ينظرون إليه فقالوا : هذا سحر مبين فأرنا آية فقال : يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبىء لك كذا وهو قوله
جزء : 1 رقم الصفحة : 237
{ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ } [آل عمران : 49] وما فيهما بمعنى " الذي " ، أو مصدرية { إِنَّ فِى ذَالِكَ } [السجدة : 26] فيما سبق { لاَيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ } أي قد جئتكم بآية وجئتكم مصدقاً { وَلاِحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } [آل عمران : 50] رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولأحل لكم.
وما حرم الله عليهم في شريعة موسى عليه السلام الشحوم ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك { وَجِئْتُكُم بِاَايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ } [آل عمران : 50] كرر للتأكيد { فَاتَّقُوا اللَّهَ } [آل عمران : 123] في تكذيبي وخلافي { وَأَطِيعُونِ } في أمري { إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ } [آل عمران : 51] إقرار بالعبودية ونفي للربوبية عن نفسه بخلاف ما يزعم النصارى { فَاعْبُدُوهُ } دوني { هَاذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ } [آل عمران : 51] يؤدي صاحبه إلى النعيم المقيم.
جزء : 1 رقم الصفحة : 237
{ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ } [آل عمران : 52] علم من اليهود كفراً علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس { قَالَ مَنْ أَنصَارِى } [آل عمران : 52] أنصاري مدني وهو جمع ناصر كأصحاب أو جمع نصير كأشراف { إِلَى اللَّهِ } [غافر : 44] يتعلق بمحذوف حال من الياء أي من أنصاري
240
ذاهباً إلى الله ملتجئاً إليه { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ } [آل عمران : 52] حواريّ الرجل صفوته وخاصته { نَحْنُ

أَنصَارُ اللَّهِ } [آل عمران : 52] أعوان دينه { بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا } [آل عمران : 52] يا عيسى { بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران : 52] إنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد { رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ } [آل عمران : 53] أي رسولك عيسى { فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران : 53] مع الأنبياء الذين يشهدون لأممهم ، أو مع الذين يشهدون لك بالوحدانية ، أو مع أمة محمد عليه السلام لأنهم شهداء على الناس { وَمَكَرُوا } أي كفار بني إسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر حين أرادوا قتله وصلبه { وَمَكَرَ اللَّهُ } [آل عمران : 54] أي جازاهم على مكرهم بأن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل ، ولا يجوز إضافة المكر إلى الله تعالى إلا على معنى الجزاء ، لأنه مذموم عند الخلق وعلى هذا الخداع والاستهزاء كذا في شرح التأويلات.

{ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ } [آل عمران : 54] أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب { إِذْ قَالَ اللَّهُ } [المائدة : 110] ظرف لمكر الله { يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ } أي مستوفي أجلك ومعناه أني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومميتك حتف أنفك لا قتلاً بأيديهم { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [آل عمران : 55] إلى سمائي ومقر ملائكتي { وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 237

(160/1)

آل عمران : 55] من سوء جوارهم وخبث صحبتهم.

وقيل : متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالي على فلان إذا استوفيته ، أو مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن ، إذ الواو لا توجب الترتيب.

قال النبي عليه السلام ينزل عيسى خليفة على أمتي يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ، ويتزوج ويولد ثم يتوفى وكيف

241

تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي وفي وسطها " أو متوفي نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب { وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ } [آل عمران : 55] أي المسلمين لأنهم متبعوه في أصل الإسلام وإن اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى { فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا } [آل عمران : 55] بك { إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } [القلم : 39] يعلونهم بالحجة وفي أكثر الأحوال بها وبالسيف { ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ } [آل عمران : 55] في الآخرة { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ } [آل عمران : 55] وتفسير الحكم هاتان الآيتان فيوفيهم حفص.

جزء : 1 رقم الصفحة : 237

{ ذَالِكَ } إشارة إلى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ { نَتْلُوهُ عَلَيْكَ } [آل عمران : 58] خبره { مِّنَ الايَاتِ } [الدخان : 33] خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف { وَالذِّكْرِ } الحكيم } القرآن يعني المحكم ، أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه.

ونزل لما قال وفد بني نجران هل رأيت ولداً بلا أب.

{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 242

آل عمران : 59] أي إن شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم عليه السلام { خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ } [آل عمران : 59] قدره جسداً من طين وهي جملة مفسرة لحالة شبه عيسى بآدم ولا موضع لها أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم ، فكذلك حال عيسى مع أن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب ، فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه ، وعن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم : لم تعبدون

242

عيسى؟ قالوا : لأنه لا أب له قال : فآدم أولى لأنه لا أبوين له.

قالوا : كان يحيي الموتى.

قال : فحزقيل أولى لأن عيسى أحيا أربعة نفر وحزقيل ثمانية آلاف.

فقالوا : كان يبرىء الأكمه والأبرص.

قال : فجرجيس أولى لأنه طبخ وأحرق ثم قام سالماً { ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن } [آل عمران : 59] أي أنشأه بشراً { فَيَكُونُ } أي فكان وهو حكاية حال ماضية ، و " ثم " لترتيب الخبر على الخبر لا لترتيب المخبر عنه { الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ } [آل عمران : 60] خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق { فَلا تَكُن } [السجدة : 23] أيها السامع { مِنَ الْمُمْتَرِينَ } [البقرة : 147] الشاكين.

ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلّم ويكون من باب التهييج لزيادة الثبات لأنه عليه السلام معصوم من الامتراء { فَمَنْ حَآجَّكَ } [آل عمران : 61] من النصارى { فِيهِ } في عيسى { مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ } [البقرة : 145] من البينات الموجبة للعلم وما بمعنى " الذي " { فَقُلْ تَعَالَوْا } [آل عمران : 61] هلموا والمراد المجيء بالعزم والرأي كما تقول : تعالى نفكر في هذه

المسألة { نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ } [آل عمران : 61] أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة { ثُمَّ نَبْتَهِلْ } [آل عمران : 61] ثم نتباهل بأن نقول " بهلة الله على الكاذب منا ومنكم " .

والبهلة بالفتح والضم اللعنة ، وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته ، وأصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً.

روي أنه عليه السلام لما دعاهم إلى المباهلة قالوا : حتى ننظر.

فقال العاقب.

وكان ذا رأيهم والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل وما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، ولئن فعلتم لتهلكن ، فإن أبيتم إلا إلف دينكم فودعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقد غدا محتضناً للحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول : إذا أنا دعوت فأمنوا.

فقال أسقف نجران : يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا

يبقى على وجه الأرض نصراني فقالوا : يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك فصالحهم النبي على ألفي حلة كل سنة فقال عليه السلام " والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير " وإنما ضم الأبناء والنساء وإن كانت المباهلة مختصة به وبمن يكاذبه لأن ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته إن تمت المباهلة.

وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على قرب مكانهم ومنزلتهم ، وفيه دليل واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلّم لأنه لم يرو أحد من موافق أو مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك { فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } [آل عمران : 61] منا ومنكم في شأن عيسى ونبتهل ونجعل معطوفان على " ندع " .

{ إِنَّ هَاذَآ } [ص : 23] الذي قص عليك من نبأ عيسى { لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ } [آل عمران : 62] هو فصل بين اسم " إن " وخبرها ، أو مبتدأ والقصص الحق خبره ، والجملة خبر " إن " وجاز دخول اللام على الفصل لأنه إذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل أجوز لأنه أقرب إلى المبتدأ منه ، وأصلها أن تدخل على المبتدأ.

وومن " في { وَمَا مِنْ إِلَـاهٍ إِلا اللَّهُ } [آل عمران : 62] بمنزلة البناء على الفتح في " لا إله إلا الله "

في إفادة معنى الاستغراق ، والمراد الرد على النصارى في تثليثهم { وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ } [آل عمران : 62] في الانتقام { الْحَكِيمُ } في تدبير الأحكام { فَإِن تَوَلَّوْا } [المائدة : 49] أعرضوا ولم يقبلوا { فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِالْمُفْسِدِينَ } [آل عمران : 63] وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله : { زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ } [النحل : 88] (النحل : 88).

جزء : 1 رقم الصفحة : 242

(162/1)

{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ } هم أهل الكتابين أو وفد نجران أو يهود المدينة

244

{ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآء } [آل عمران : 64] أي مستوية { بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ } [آل عمران : 64] لا يختلف فيها القرآن والتوراة والإنجيل.

وتفسير الكلمة قوله { أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شيئا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ } [آل عمران : 64] يعني تعالوا إليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ، لأن كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ، ولا نطيع أحبارنا فميا أحدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع إلى ما شرع الله.

وعن عدي بن حاتم : ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال " أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم " قال : نعم.

قال : " هو ذاك " .

{ فَإِن تَوَلَّوْا } [المائدة : 49] عن التوحيد { فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران : 64] أي لزمتكم الحجة فوجب عليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال أو صراع : اعترف بأني أنا الغالب وسلم إليّ الغلبة.

{ مُسْلِمُونَ * يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالانْجِيلُ إِلا مِن بَعْدِهِ } زعم كل فريق من اليهود والنصارى أن إبراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين فيه فقيل لهم : إن اليهودية إنما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الإنجيل وبين إبراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسى ألفان ، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة.

{ أَفَلا تَعْقِلُونَ } [البقرة : 44] حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال.

{ هَاأَنتُمْ هؤلاء } [محمد : 38] ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره { حَاجَجْتُمْ } جملة مستأنفة مبينة للجملة الأولى يعني أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى.

وبيان حماقتكم وقلة عقولكم أنكم جادلتم { فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ } [آل عمران : 66] مما نطق به التوراة والإنجيل { فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ } [آل عمران : 66] ولا ذكر له في كتابيكم من دين إبراهيم.

وقيل : هؤلاء بمعنى " الذين " وحاججتم " صلته.

ها أنتم بالمد وغير الهمز حيث كان : مدني وأبو عمرو.

{ وَاللَّهُ يَعْلَمُ } [محمد : 26] علم ما حاججتم فيه { وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ } [البقرة : 216] وأنتم جاهلون به.

ثم أعلمهم بأنه بريء من دينهم فقال

245

{ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَاكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [آل عمران : 67] كأنه أراد بالمشركين اليهود والنصارى لإشراكهم به عزيراً والمسيح ، أو ما كان من المشركين كما لم يكن منهم { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ } [آل عمران : 68] إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو القرب { لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ } [آل عمران : 68] في زمانه وبعده { وَهَاذَا النَّبِىُّ } [آل عمران : 68] خصوصاً خص بالذكر لخصوصيته بالفضل والمراد محمد عليه السلام { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } [البقرة : 165] من أمته { وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 68] ناصرهم.

{ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ } [آل عمران : 69] هم اليهود دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً إلى اليهود { وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنفُسَهُمْ } [آل عمران : 69] وما يعود وبال الإضلال إلا عليهم لأن العذاب يضاعف لهم بضلالهم وإضلالهم { وَمَا يَشْعُرُونَ } [البقرة : 9] بذلك.

{ يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ } بالتوراة والإنجيل ، وكفرهم بها أنهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وغيرها { وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ } [البقرة : 84] تعترفون بأنها آيات الله أو تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وأنتم تشهدون نعته في الكتابين ، أو تكفرون بآيات الله جميعاً وأنتم تعلمون أنها حق { تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ } تخلطون الإيمان بموسى وعيسى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلّم { وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ } [آل عمران : 71] نعت محمد عليه السلام { وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة : 22] أنه حق

246

{ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } [آل عمران : 72] فيم بينهم { ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا } [آل عمران : 72] أي القرآن { وَجْهَ النَّهَارِ } [آل عمران : 72] ظرف أي أوله يعني أظهروا الإيمان بما أنزل على المسلمين في أول النهار { وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ } [آل عمران : 72] واكفروا به آخره { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [آل عمران : 72] لعل المسلمين يقولون ما رجعوا وهم أهل كتاب وعلم إلا لأمر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم.

{ وَلا تُؤْمِنُوا إِلا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ } [آل عمران : 73] ولا تؤمنوا متعلق بقوله أن يؤتى أحدٌ مّثل ما أوتيتم } وما بينهما اعتراض أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ، أرادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه إلا إلى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام { أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ } [آل عمران : 73] عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة.

ومعنى الاعتراض أن الهدى هدى الله من شاء هداه حتى أسلم أو ثبت على الإسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين ، وكذلك قوله

جزء : 1 رقم الصفحة : 246

{ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ } يريد الهداية والتوفيق ، أو يتم الكلام عند قوله إلا لمن تبع دينكم أي ولا تؤمنوا هذا الإيمان الظاهر وهو إيمانهم وجه النهار إلا لمن تبع دينكم إلا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم ، لأن رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم.

ومعنى قوله أن يؤتى لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني أن ما بكم من الحسد والبغي أن يأتي أحد مثل ما أوتيتم من العلم ، والكتاب دعاكم إلى أن قلتم ما قلتم ، ويدل عليه قراءة ابن كثير آن بالمد والاستفهام يعني الآن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الكتاب

247

تحسدونهم.

وقوله أو يحاجوكم على هذا معناه دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو لما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم { وَاللَّهُ وَاسِعٌ } [البقرة : 247] أي واسع الرحمة { عَلِيمٌ } بالمصلحة { يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ } [البقرة : 105] بالنبوة أو بالإسلام { مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } [البقرة : 105].

جزء : 1 رقم الصفحة : 246

{ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } [آل عمران : 75] هو عبد الله بن سلام ، استودعه رجل من قريش ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداه إليه { وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } [آل عمران : 75] هو فنحاص بن عازوراء ، استودعه رجل من قريش ديناراً فجحده وخانه.

وقال : المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم ، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم { مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا } إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه ملازماً له.

يؤده ولا يؤده بكسر الهاء مشبعة : مكي وشامي ونافع وعلي وحفص ، واختلس أبو عمرو في رواية. غيرهم : بسكون الهاء.

{ ذَالِكَ } إشارة إلى ترك الأداء الذي دل عليه لا يؤده { بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الامّيّانَ سَبِيلٌ } [آل عمران : 75] أي تركهم أداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا من الأميين سبيل أي لا يتطرق علينا إثم وذم في شأن الأميين يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب ، وما فعلنا بهم من حبس أموالهم والإضرار بهم لأنهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم وكانوا يقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة.

وقيل : بايع اليهود رجالاً من قريش ، فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا : ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم { وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ } [آل عمران : 75] بادعائهم أن ذلك في كتابهم { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة : 75] أنهم كاذبون { بَلَى } إثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الأميين أي بلى عليهم سبيل

فيهم.

وقوله { مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى } [آل عمران : 76] جملة مسأنفة مقررة للجملة التي سدت " بلى " مسدها ، والضمير في بعده يرجع إلى الله تعالى أي كل من أوفى بعهد الله واتقاه { فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [آل عمران : 76] أي يحبهم فوضع الظاهر موضع الضمير وعموم المتقين قام مقام الضمير الراجع من الجزاء إلى من ويدخل في ذلك الإيمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر وأعمال السوء.

قيل : نزلت في عبد الله بن سلام ونحوه من مسلمي أهل الكتاب ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى من أوفى أي كل من أوفى بما عاهد الله عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فإن الله يحبه.

ونزل فيمن حرّف التوراة وبدل نعته عليه السلام من اليهود وأخذ الرشوة على ذلك

جزء : 1 رقم الصفحة : 246

{ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ } [آل عمران : 77] يستبدلون { بِعَهْدِ اللَّهِ } [النحل : 91] بما عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول المصدق لما معهم { وَأَيْمَانِهِمْ } وبما حلفوا به من قولهم " والله لنؤمنن به ولننصرنه " { ثَمَنًا قَلِيلا } [النحل : 95] متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك ، وقوله بعهد الله يقوي

رجوع الضمير في بعهده إلى الله { أولئك لا خَلَاقَ لَهُمْ فِى الاخِرَةِ } [آل عمران : 77] أي لا نصيب { وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ } [آل عمران : 77] بما يسرهم { وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران : 77] نظر رحمة { وَلا يُزَكِّيهِمْ } [البقرة : 174] ولا يثني عليهم { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة : 174] مؤلم.

{ وَإِنَّ مِنْهُمْ } [آل عمران : 78] من أهل الكتاب { لَفَرِيقًا } هم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وغيرهم { يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ } [آل عمران : 78] يفتلونها بقراءته عن الصحيح إلى المحرف ، واللّي الفتل وهو الصرف والمراد تحريفهم كآبة الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلّم ونحو ذلك.

والضمير في { لِتَحْسَبُوهُ } يرجع إلى ما دل

249

(165/1)

عليه { يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ } [آل عمران : 78] وهو المحرف ، ويجوز أن يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه { مِّنَ الْكِتَابِ } [النمل : 40] أي التوراة { وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ } [آل عمران : 78] وليس هو من التوراة { وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ } [آل عمران : 78] تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم { وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران : 78] أنهم كاذبون { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ } [آل عمران : 79] تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى عليه السلام.

وقيل : قال رجل : يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال : " لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله "

جزء : 1 رقم الصفحة : 246

{ وَالْحُكْمَ } والحكمة وهي السنة أو فصل القضاء { وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ } [آل عمران : 79] عطف على يؤتيه { لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَاكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ } [آل عمران : 79] ولكن يقول : كونوا ربانيين.

والرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته.

وحين مات ابن عباس قال ابن الحنفية : مات رباني هذه الأمة.

وعن الحسن : ربانيين علماء فقهاء.

وقيل : علماء معلمين.

وقالوا : الرباني العالم العامل { بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ } [آل عمران : 79] كوفي وشامي أي غيركم غيرهم بالتخفيف { وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ } [آل عمران : 79] أي تقرأون ، والمعنى بسبب كونكم

عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم كانت الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة ، وكفى به دليلاً على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل ، فكان كمن غرس شجرة حسناء تؤنقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها.

وقيل : معنى تدرسون تدرسونه على الناس كقوله { لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ } [الإسراء : 106] (الإسراء : 601) فيكون معناه معنى تدرسون من التدريس كقراءة ابن جبير.

250

{ وَلا يَأْمُرَكُمْ } [آل عمران : 80] بالنصب عطفاً على ثم يقول ووجهه أن تجعل " لا " مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه الله وينصبه للدعاء إلى اختصاص الله بالعبادة وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم { أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا } [آل عمران : 80] كما تقول " ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي " وبالرفع حجازي وأبو عمرو وعليّ على ابتداء الكلام ، والهمزة في { أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ } [آل عمران : 80] للإنكار والضمير في لا يأمركم وأيأمركم للبشر أو لله.

وقوله { بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران : 80] يدل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 246

(166/1)

آل عمران : 81] هو على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك ، أو المراد ميثاق الأولاد النبيين وهم بنو إسرائيل على حذف المضاف.

واللام في { لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ } [آل عمران : 81] لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف ، وفي لتؤمنن لام جواب القسم ، وما يجوز أن تكون متضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً ، وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به { ثُمَّ جَآءَكُمْ } [آل عمران : 81] معطوف على الصلة والعائد منه إلى ما محذوف والتقدير ثم جاءكم به { رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ } [آل عمران : 81] للكتاب الذي معكم { لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ } [آل عمران : 81] بالرسول { وَلَتَنصُرُنَّهُ } أي الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلّم لما آتيتكم حمزة و " ما " بمعنى الذي ، أو مصدرية أي لأجل إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم.

واللام للتعليل أي أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة ، وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف.

آتيناكم : مدني { قَالَ } أي الله { ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَالِكُمْ إِصْرِى } أي قبلتم عهدي ، وسمي إصراً لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد { قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا } [آل عمران : 81] فليشهد بعضكم على بعض بالإقرار { وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } [آل عمران : 81] وأنا على
251
ذلك من إقراركم وتشاهدكم من الشاهدين ، وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع إذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض.

وقيل : قال الله للملائكة اشهدوا { فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَالِكَ } [آل عمران : 82] الميثاق والتوكيد ونقض العهد بعد قبوله وأعرض عن الإيمان بالنبيّ الجائي { فَأُولَائكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران : 82] المتمردون من الكفار.

جزء : 1 رقم الصفحة : 246

جزء : 1 رقم الصفحة : 252

{ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ } [آل عمران : 83] دخلت همزة الإنكار على الفاء العاطفة جملة على جملة ، والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ، ثم توسطت الهمزة بينهما.

ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره : أيتولون فغير دين الله يبغون.

وقدم المفعول وهو غير دين الله على فعله لأنه أهم من حيث إن الإنكار الذي هو معنى الهمزة متوجه إلى المعبود بالباطل { يَبْغُونَ وَلَهُا أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ } الملائكة { وَالارْضِ } الإنس والجن { طَوْعًا } بالنظر في الأدلة والإنصاف من نفسه { وَكَرْهًا } بالسيف أو بمعاينة العذاب كنتق الجبل على بني إسرائيل وإدراك الغرق فرعون والإشفاء على الموت ، فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده.

وانتصب { طَوْعًا وَكَرْهًا } [آل عمران : 83] على الحال أي طائعين ومكرهين { وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [آل عمران : 83] فيجازيكم على الأعمال يبغون ويرجعون } بالياء فيهما : حفص ، وبالتاء في الثاني وفتح الجيم أبو عمرو لأن الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس ، وبالتاء فيهما وفتح الجيم : غيرهما.

{ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا } [آل عمران : 84] أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأن يخبر عن نفسه وعمن معه بالإيمان فلذا وحد الضمير في قل وجمع في آمنا أو أمر بأن يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك إجلالاً من الله لقدر نبيه.

وعدي أنزل هنا بحرف
252

الاستعلاء وفي البقرة بحرف الانتهاء لوجود المعنيين ، إذ الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسول ، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر.

وقال صاحب اللباب : الخطاب في البقرة للأمة لقوله { قُولُوا } فلم يصح إلا " إلى " لأن الكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أمتهم جميعاً ، وهنا قال قل وهو خطاب للنبي عليه السلام دون أمته فكان اللائق به على لأن الكتب منزلة عليه لا شركة للأمة فيه ، وفيه نظر لقوله تعالى : { ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا } [آل عمران : 72] (آل عمران : 27) { وَمَآ أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالاسْبَاطِ } [آل عمران : 84] أولاد يعقوب وكان فيهم أنبياء { وَمَآ أُوتِىَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ } [آل عمران : 84] كرر في البقرة وما أوتي ولم يكرر هنا لتقدم ذكر الإيتاء حيث قال لما آتيتكم { مِّن رَّبِّهِمْ } [محمد : 3] من عند ربهم { لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ } [البقرة : 136] في الإيمان كما فعلت اليهود والنصارى { وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } [البقرة : 133] موحدون مخلصون أنفسنا له لا نجعل له شريكاً في عبادتنا { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلَامِ } [آل عمران : 85] يعني التوحيد وإسلام الوجه لله أو غير دين محمد عليه السلام { دِينًا } تمييز { فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الاخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران : 85] من الذين وقعوا في الخسران ونزل في رهط أسلموا ثم رجعوا عن الإسلام ولحقوا بمكة.

جزء : 1 رقم الصفحة : 252

{ كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ } [آل عمران : 86] والواو في { وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ } [آل عمران : 86] للحال و " قد " مضمرة أي كفروا وقد شهدوا أن الرسول أي محمداً حق ، أو للعطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل لأن معناه بعد أن آمنوا { وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } [آل عمران : 86] أي الشواهد كالقرآن وسائر المعجزات { وَاللَّهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة : 258] أي ما داموا مختارين الكفر ، أو لا يهديهم طريق الجنة إذا ماتوا كفاراً

253

{ أولئك } مبتدأ { جَزَآؤُهُمْ } مبتدأ ثانٍ خبره { أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ } [آل عمران : 87] وهما خبر أولئك أو جزاؤهم بدل الاشتمال من أولئك { وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ } حال من الهاء والميم في عليهم { فِيهَآ } في اللعنة { لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ * إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَالِكَ } الكفر العظيم والارتداء { وَأَصْلَحُوا } ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح { فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ } [البقرة : 192] لكفرهم { رَّحِيمٌ } بهم.

ونزل في اليهود { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } [النساء : 56] بعيسى والإنجيل { بَعْدَ إِيمَانِهِمْ } [آل عمران : 90] بموسى والتوراة { ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا } [النساء : 137] بمحمد صلى الله عليه وسلّم والقرآن ، أو كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلّم بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفراً بإصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت أو نزل في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة.

وازديادهم الكفر أن قالوا : نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون { لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ } [آل عمران :

90] أي إيمانهم عند البأس لأنهم لا يتوبون إلا عند الموت قال الله تعالى : { فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 252

غافر : 85] (غافر : 58) { وَأُولَائِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الارْضِ } الفاء في فلن يقبل يؤذن بأن الكلام بني على الشرط والجزاء ، وأن بسبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر ، وترك الفاء فيما تقدم يشعر بأن الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب { ذَهَبًا } تمييز { وَلَوِ افْتَدَى بِهِ } [آل عمران : 91] أي فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهباً قال عليه السلام يقال للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت مفتدياً به؟ فيقول : نعم.

فيقال له : لقد سئلت أيسر من ذلك " قيل :

254

(168/1)

الواو لتأكيد النفي { أُوالَائِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الشورى : 42] مؤلم { وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ } [آل عمران : 22] معينين دافعين للعذاب.

{ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ } [آل عمران : 92] لن تبلغوا حقيقة البر أو لن تكونوا أبراراً أو لن تنالوا بر الله وهو ثوابه { حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } [آل عمران : 92] حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها.

وعن الحسن : كل من تصدق ابتغاء وجه الله بما يحبه ولو تمرة فهو داخل في هذه الآية.

قال الواسطي ؛ الوصول إلى البر بإنفاق بعض المحاب وإلى الرب بالتخلي عن الكونين ، وقال أبو بكر الوراق : لن تناولوا بري بكم إلا ببركم بإخوانكم.

والحاصل أنه لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب.

وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يشتري أعدال السكر ويتصدق بها فقيل له : لم لا تتصدق بثمنها؟ قال : لأن السكر أحب إليّ فأردت أن أنفق مما أحب.

{ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } [آل عمران : 92] أي هو عليكم بكل شيء تنفقونه فيجازيكم بحسبه.

ومن الأولى للتبعيض لقراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون والثانية للتبيين أي من أي شيء كان الإنفاق طيب تحبونه أو خبيث تكرهونه.

ولما قالت اليهود للنبي عليه السلام : إنك تدعي أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها

فقال عليه السلام " كان ذلك حلالاً لإبراهيم فنحن نحله " فقالت اليهود : إنها لم تزل محرمة في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام نزل تكذيباً لهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 252

{ كُلُّ الطَّعَامِ } [آل عمران : 93] أي المطعومات التي فيها النزاع فإن منها ما هو حرام قبل 255

ذلك كالميتة والدم { كَانَ حِلا لِّبَنِى إِسْرَاءِيلَ } [آل عمران : 93] أي حلالاً وهو مصدر.

يقال حل الشيء حلاً ولذا استوى في صفة المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى : { لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ } [الممتحنة : 10] (الممتحنة : 01) { إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَاءِيلُ } [آل عمران : 93] أي يعقوب { عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ } [آل عمران : 93] وبالتخفيف مكي وبصري وهو لحوم الإبل وألبانها ، وكانا أحب الطعام إليه.

والمعنى أن المطاعم كلها لم تزل حلاً لبني إسرائيل من قبل إنزال التوراة سوى ما حرم إسرائيل على نفسه ، فلما نزلت التوراة على موسى حرم عليهم فيها لحوم الإبل وألبانها لتحريم إسرائيل ذلك على نفسه { قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران : 93] أمر بأن يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من أن تحريم ماحرم عليهم تحريم حادث سبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه ، فلم يجرؤوا على إخراج التوراة وبهتوا.

وفيه دليل بيّن على صدق النبي عليه السلام وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه { فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ } [آل عمران : 94] بزعمه أن ذلك كان محرماً في ملة إبراهيم ونوح عليهما السلام { مِن بَعْدِ ذَالِكَ } [يوسف : 48] من بعدما لزمهم من الحجة القاطعة { فَأُوالَائِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [البقرة : 229] المكابرون الذين لا ينصفون من أنفسهم ولا يلتفتون إلى البينات { قُلْ صَدَقَ اللَّهُ } [آل عمران : 95] في إخباره أنه لم يحرم وفيه تعريض بكذبهم أي ثبت أن الله تعالى صادق فيما أنزل وأنتم الكاذبون { فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ } [آل عمران : 95] وهي ملة الإسلام التي عليها محمد عليه السلام ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم إلى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم ، وألزمتكم تحريم الطيبات التي أحلها الله لإبراهيم ولمن تبعه

جزء : 1 رقم الصفحة : 252

{ حَنِيفًا } حال من إبراهيم أي مائلاً من الأديان الباطلة { وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [البقرة : 135].

ولما قالت اليهود للمسلمين : قبلتنا قبل قبلتكم نزل 256

{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ } [آل عمران : 96] والواضع هو الله عز وجل.
ومعنى وضع الله بيتاً للناس أنه جعله متعبداً لهم فكأنه قال : إن أول متعبد للناس الكعبة وفي الحديث إن المسجد الحرام وضع قبل بيت المقدس بأربعين سنة " .
قيل : أول من بناه إبراهيم.
وقيل : هو أول بيت حج بعد الطوفان.
وقيل : هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والأرض.
وقيل : هو أول بيت بناه آدم عليه السلام في الأرض.
وقوله وضع للناس في موضع جر صفة لـ " بيت " والخبر { لَلَّذِى بِبَكَّةَ } [آل عمران : 96] أي للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام.
ومكة وبكة لغتان فيه.
وقيل : مكة البلد وبكة موضع المسجد.
وقيل : اشتقاقها من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيها ، أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله.
{ مُبَارَكًا } كثير الخير لما يحصل للحجاج والمعتمرين من الثواب وتكفير السيئات { وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ } [آل عمران : 96] لأنه قبلتهم ومتعبدهم ، ومباركاً وهدى } حالان من الضمير في وضع { فِيهِ ءَايَاتُ بَيِّنَاتٌ } [آل عمران : 97] علامات واضحات لا تلتبس على أحد { مَّقَامِ إِبْرَاهِ مَ } [البقرة : 125] عطف بيان لقوله آيات بينات .
وصح بيان الجماعة بالواحد لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ، ونبوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد ، أو لاشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية ، وغوصه فيها إلى الكعبين آية ، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية ، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة على أن { وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا } [آل عمران : 97] عطف بيان لـ " آيات " ـ وإن كان جملة ابتدائية أو شرطية ـ من حيث المعنى لأنه يدل على أمن داخله فكأنه قيل : فيه آيات بينات مقام لإبراهيم وأمن داخله ، والاثنان في معنى الجمع.
ويجوز أن يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل : فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن داخله وكثير سواهما نحو انمحاق الأحجار مع كثرة الرماة ، وامتناع الطير من العلو عليه وغير ذلك ، ونحوه في طي الذكر قوله عليه السلام
257
"

جزء : 1 رقم الصفحة : 252
حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة " فقرة عيني ليس من الثلاث بل

هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا ، والثالث مطوي وكأنه عليه السلام ترك ذكر الثالث تنبيهاً على أنه لم يكن من شأنه أن يذكر شيئاً من الدنيا فذكر شيئاً هو من الدين.

وقيل في سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف إبراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه.

وقيل : إنه جاء زائراً من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسماعيل عليه السلام : أنزل حتى تغسل رأسك فلم ينزل ، فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه ، وأمان من دخله بدعوة إبراهيم عليه السلام { رَبِّ اجْعَلْ هَاذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا } [إبراهيم : 35] (إبراهيم : 53) وكان الرجل لو جنى كل جناية ثم التجأ إلى الحرم لم يطلب.

وعن عمر رضي الله عنه : لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه.

ومن لزمه القتل في الحل بقود أو ردة أو زنا فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج.

وقيل : آمنا من النار لقوله عليه السلام من " مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا من النار " وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة.

وعنه عليه السلام من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام " .

(170/1)

{ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ } أي استقر له عليهم فرض الحج حج البيت : كوفي غير أبي بكر وهو اسم وبالفتح مصدر.

وقيل : هما لغتان في مصدر حج { مِنْ } في موضع جر على أنه بدل البعض من الكل { اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا } [آل عمران : 97] فسرها النبي عليه السلام بالزاد والراحلة.

والضمير في إليه للبيت أو للحج وكل مأتي إلى الشيء فهو سبيل إليه.

ولما نزل قوله تعالى : ولله على الناس حج البيت .

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلّم أهل الأديان كلهم فخطبهم فقال : إن الله تعالى كتب عليم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون ، وكفرت به

خمس ملل قالوا : لا نؤمن به ولا نصلي إليه ولا نحجه فنزل ومن كفر أي جحد فرضية الحج وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء ، ويجوز أن يكون من الكفران أي ومن لم يشكر ما أنعمت عليه من صحة الجسم وسعة الرزق ولم يحج فإنّ الله غنيٌّ عن العالمين } مستغنٍ عنهم وعن طاعتهم.

وفي هذه الآية أنواع من التأكيد والتشديد : منها اللام و " على " أي أنه حق واجب لله في رقاب الناس ، ومنها الإبدال ففيه تثنية للمراد وتكرير له ، ولأن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين ، ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظاً على تاركي الحج ، ومنها ذكر الاستغناء وذلك دليل على المقت والسخط ، ومنها قوله عن العالمين وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه.

جزء : 1 رقم الصفحة : 252

جزء : 1 رقم الصفحة : 259

{ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِاَايَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ } الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله الدالة على صدق محمد عليه السلام والحال أن الله شهيد على أعمالكم فيجازيكم عليها؟ { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ } الصد المنع { عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ } [آل عمران : 99] عن دين حق علم أنه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الإسلام ، وكانوا يمنعون من أراد الدخول فيه بجهدهم ومحل { تَبْغُونَهَا } تطلبون لها نصب على الحال { عِوَجَا } اعوجاجاً وميلاً عن القصد والاستقامة بتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن وجهها ونحو ذلك { وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ } [آل عمران : 99] أنها سبيل الله التي لا يصد عنها إلاّ ضال مضل { وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [البقرة : 74] من الصد عن سبيله وهو وعيد شديد.

ثم نهى المؤمنين عن اتباع هؤلاء الصادين عن سبيله بقوله

259

{ تَعْمَلُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ } قيل : مرّ شاس بن قيس اليهودي على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون ، فغاظه تحدثهم وتألفهم فأمر شاباً من اليهود أن يذكرهم يوم بعاث لعلهم يغضبون ، وكان يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه للأوس ، ففعل فتنازع القوم عند ذلك وقالوا : السلاح السلاح.

فبلغ النبي عليه السلام فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين والأنصار فقال " أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم " بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وألف بينكم؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان فألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضاً باكين فنزلت الآية { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ } [آل عمران : 101] معنى الاستفهام فيه الإنكار والتعجب أي من أين يتطرق إليكم الكفر { وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ } [آل عمران : 101] والحال أن آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية { وَفِيكُمْ رَسُولُهُ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 259

آل عمران : 101] وبين أظهركم رسول الله عليه السلام ينبهكم ويعظكم ويزيح عنكم شبهكم { وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ } [آل عمران : 101] ومن يتمسك بدينه أو بكتابه ، أو هو حث لهم على الالتجاء إليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم { فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } [آل عمران : 101] أرشد إلى الدين الحق ، أو ومن يجعل ربه ملجأ ومفزعاً عند الشبه يحفظه عن الشبه.

{ مُّسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم.

وعن عبد الله هو أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى.

أو هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو بنيه أو أبيه.

وقيل : لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه.

والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد { وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران : 102] ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام إذا أدرككم الموت

260

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ } [آل عمران : 103] تمكسوا بالقرآن لقوله عليه السلام " القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم " { جَمِيعًا } حال من ضمير المخاطبين.

وقيل : تمكسوا بإجماع الأمة دليله { وَلا تَفَرَّقُوا } [آل عمران : 103] أي ولا تتفرقوا يعني ولا تفعلوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع ، أو ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى ، أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضاً { وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } كانوا في الجاهلية بينهم العداوة والحروب فألف بين قلوبهم بالإسلام وقذف في قلوبهم المحبة فتحابوا وصاروا إخواناً { وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ } [آل عمران : 103] وكنتم مشفين على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر { فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا } [آل عمران : 103] بالإسلام وهو رد على المعتزلة ، فعندهم هم الذين ينقذون أنفسهم لا الله تعالى.

والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا ، وأنث لإضافته إلى الحفرة.

وشفا الحفرة : حرفها ، ولامها واو فلهذا يثنى شفوان { كَذَالِكَ } مثل ذلك البيان البليغ { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ } [البقرة : 242] أي القرآن الذي فيه أمر ونهي ووعد ووعيد { لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [البقرة : 53] لتكونوا على رجاء الهداية أو لتهتدوا به إلى الصواب وما ينال به الثواب.

{ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } [آل عمران : 104] بما استحسنه الشرع والعقل { وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ } [آل عمران : 104] عما استقبحه الشرع والعقل ، أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة.

والمنكر ما خالفهما ، أو المعروف الطاعة والمنكر المعاصي.

261

(172/1)

والدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك وما عطف عليه خاص.

ومن للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ، ولأنه لا يصلح له إلا من علم بالمعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته فإنه يبدأ بالسهل فإن لم ينفع ترقى إلى الصعب قال الله تعالى : { فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات : 9].

ثم قال : { فَقَاتِلُوا } (الحجرات : 9).

أو للتبيين أي وكونوا أمة تأمرون كقوله تعالى : { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } [آل عمران : 110] { وَأُولَائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [البقرة : 5] أي هم الأخصاء بالفلاح الكامل قال عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه }

وعن علي رضي الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

{ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا } [آل عمران : 105] بالعداوة { وَاخْتَلَفُوا } في الديانة وهم اليهود والنصارى فإنهم اختلفوا وكفر بعضهم بعضاً { مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } [آل عمران : 105] الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق { وَأُولَائِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران : 105] ونصب { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ } [آل عمران : 106] أي وجوه المؤمنين بالظرف وهو لهم أو بعظيم أو باذكروا { وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ } [آل عمران : 106] أي وجوه الكافرين.

والبياض من النور والسواد من الظلمة { فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ } [آل عمران : 106] فيقال لهم { أَكَفَرْتُم } فحذف الفاء ، والقول جميعاً للعلم به والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم

جزء : 1 رقم الصفحة : 259

{ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } [التوبة : 66] يوم الميثاق فيكون المراد به جميع الكفار وهو قول أبي وهو الظاهر ، أو هم المرتدون أو المنافقون أي أكفرتم باطناً بعد إيمانكم ظاهراً ، أو أهل الكتاب ، وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد اعترافهم به قبل مجيئه

262

{ اللَّهِ } ففي نعمته وهي الثواب المخلد.

ثم استأنف فقال { هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : 39] لا يظعنون عنها ولا يموتون.
{ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ } [البقرة : 252] الواردة في الوعد والوعيد وغير ذلك { نَتْلُوهَا عَلَيْكَ } [الجاثية : 6] ملتبسة { بِالْحَقِّ } والعدل من جزاء المحسن والمسيء { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ } [آل عمران : 108] أي لا يشاء أن يظلم هو عباده فيأخذ أحداً بغير جرم ، أو يزيد في عقاب مجرم ، أو ينقص من ثواب محسن { وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الارْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الامُورُ } [آل عمران : 109] فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.
ترجع .
شامي وحمزة وعلي.
كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماضٍ على سبيل الإبهام ، ولا دليل فيه على عدم سابق ولا على انقطاع طارىء ومنه قوله.
{ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ } [آل عمران : 110] كأنه قيل : وجدتم خير أمة أو كنتم في علم الله أو في اللوح خير أمة ، أو كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به { أُخْرِجَتْ } أظهرت { لِلنَّاسِ } اللام يتعلق بـ " أخرجت " { تَأْمُرُونَ } كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول " زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم " بينت بالإطعام والإلباس وجه الكرم فيه { بِالْمَعْرُوفِ } بالإيمان وطاعة الرسول { وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ } [آل عمران : 110] عن الكفر وكل محظور { وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران : 110] وتدومون على الإيمان به أو لأن الواو لا تقتضي الترتيب { وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ } [آل عمران : 110] بمحمد عليه السلام { لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ } [محمد : 21] لكان الإيمان خيراً لهم مما هم فيه لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام ، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما
263
هو خير مما آثروا دين الباطل لأجله ، مع الفوز بما وعدوا على الإيمان به من إيتاء الأجر مرتين { مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران : 110] كعبد الله بن سلام وأصحابه { وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران : 110] المتمردون في الكفر.
جزء : 1 رقم الصفحة : 259

(173/1)

{ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى } [آل عمران : 111] إلا ضرراً مقتصراً على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك { وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الادْبَارَ } [آل عمران : 111] منهزمين ولا يضروكم بقتلٍ أو أسر { ثُمَّ لا يُنصَرُونَ } [آل عمران : 111] ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم

، وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بتوبيخهم وتهديدهم وهو ابتداء إخبار معطوف على جملة الشرط والجزاء وليس بمعطوف على يولوكم إذ لو كان معطوفاً عليه لقيل ثم لا ينصروا ، وإنما استؤنف ليؤذن أن الله لا ينصرهم قاتلوا أم لم يقاتلوا ، وتقدير الكلام : أخبركم أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون.

و " ثم " للتراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار.

{ ضُرِبَتْ } ألزمت { عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ } [آل عمران : 112] أي على اليهود { أَيْنَ مَا ثُقِفُوا } [آل عمران : 112] وجدوا { إِلا بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ } [آل عمران : 112] في محل النصب على الحال ، والباء متعلق بمحذوف تقديره إلا معتصمين أو متمسكين بحبل من الله { وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ } [آل عمران : 112] والحبل العهد والذمة ، والمعنى ضربت عليهم الذلة في كل حال إلا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عزلهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية { وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ } [البقرة : 61] استوجبوه { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ } [آل عمران : 112] الفقر عقوبة لهم على قولهم { إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ } [آل عمران : 181] (آل عمران : 181) أو خوف الفقر مع قيام اليسار { ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِاَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الانابِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ } [آل عمران : 112] ذلك إشارة إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق.

ثم قال { ذَالِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ } [البقرة : 61] أي ذلك الكفر وذلك القتل كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده.

264

جزء : 1 رقم الصفحة : 259

{ لَيْسُوا سَوَآءً } [آل عمران : 113] ليس أهل الكتاب مستوين { مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } [آل عمران : 72] كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله { تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } [آل عمران : 110] بياناً لقوله كنتم خير أمة (أمّةٌ قائمةٌ } جماعة مستقيمة عادلة من قولك " أقمت العود فقام " أي استقام وهم الذين أسلموا منهم { يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ } [آل عمران : 113] القرآن { أَمَّنْ هُوَ } [الزمر : 9] ساعاته واحدها " إنى " كمعي أو إنو كقنو أو إنى كنحى.

جزء : 1 رقم الصفحة : 265

{ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } [آل عمران : 113] يصلون.

قيل : يريد صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها.

وقيل : عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود { يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ } [آل عمران : 114] بالإيمان وسائر أبواب البر { وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ } [آل عمران : 104] عن الكفر ومنهيات الشرع { وَيُسَارِعُونَ فِى الْخَيْرَاتِ } [آل عمران : 114] يبادرون إليها خشية الفوت.

وقوله : يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لأمة أي أمة قائمة تالون مؤمنون.

وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الإيمان بالله ، لأن إيمانهم به كلا إيمان لإشراكهم به عزيراً وكفرهم ببعض الكتب والرسل ومن الإيمان باليوم الآخر لأنهم يصفونه بخلاف صفته ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنهم كانوا مداهنين ، ومن المسارعة في الخيرات لأنهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها ، والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لأن من رغب في الأمر سارع بالقيام به { وَأُوالَائِكَ } الموصوفون بما وصفوا به { مِّنَ الصَّالِحِينَ } [آل عمران : 39] من المسلمين أو من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم { وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ } [آل عمران : 115] بالياء فيهما كوفي غير أبي بكر وأبو عمرو.

مخير غيرهم بالتاء.

وعدي يكفروه إلى مفعولين وإن كان شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها ـ لتضمنه معنى الحرمان كأنه

265

قيل : فلن تحرموه أي فلن تحرموا جزاءه { وَاللَّهُ عَلِيمُ بِالْمُتَّقِينَ } [آل عمران : 115] بشارة للمتقين بجزيل الثواب.

{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شيئا } [آل عمران : 10] أي من عذاب الله { وَأُوالَائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة : 217].

جزء : 1 رقم الصفحة : 265

{ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَاذِهِ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا } في المفاخر والمكارم وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس أو ما يتقربون به إلى الله مع كفرهم { كَمَثَلِ رِيحٍ } [آل عمران : 117] كمثل مهلك ريح وهو الحرث أو مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح { فِيهَا صِرٌّ } [آل عمران : 117] برد شديد عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو مبتدأ وخبر في موضع جر صفة لـ ريح مثل { أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } [آل عمران : 117] بالكفر { فَأَهْلَكَتْهُ } عقوبة على كفرهم { وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ } [آل عمران : 117] بإهلاك حرثهم { وَلَاكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } [آل عمران : 117] بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ، أو يكون الضمير للمنفقين أي وما ظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها لائقة للقبول.

ونزل نهياً للمؤمنين عن مصافات المنافقين { يَظْلِمُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً } بطانة

الرجل ووليجته خصيصه وصفيه شبه ببطانة الثوب كما يقال " فلان شعاري " وفي الحديث الأنصار شعار والناس دثار { مِّن دُونِكُمْ } [آل عمران : 118] من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون وهو صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم { لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا } [آل عمران : 118] في موضع النصب صفة لبطانة يعني لا يقصرون في فساد دينكم يقال " ألا في الأمر يألو " إذا
266
قصر فيه ، والخبال الفساد.
وانتصب خبالاً على التمييز أوعلى حذف في أي في خبالكم { وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ } [آل عمران : 118] أي عنتكم فـ " ما " مصدرية.
والعنت شدة الضرر والمشقة أي تمنوا أن يضروكم في دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه ، وهو مستأنف على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة كقوله { قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ } [آل عمران : 118] لأنهم لا يتمالكون مع ضبطهم أنفسهم أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضه للمسلمين { وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 265

(175/1)

آل عمران : 118] مع البغض لكم { أَكْبَرَ } مما بدا { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الايَاتِ } [آل عمران : 118] الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه { إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ } [آل عمران : 118] ما بين لكم.
{ هَاأَنتُمْ أُوْلاءِ } ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وأولاء خبره أي أنتم أولاء الخاطئون في موالاة منافقي أهل الكتاب { تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ } [آل عمران : 119] بيان لخطئهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لأهل البغضاء ، أو أولاء موصول صلته تحبونهم .
والواو في { وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ } [آل عمران : 119] للحال وانتصابها من لا يحبونكم أي لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم ، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم؟ وفيه توبيخ شديد لأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم.
وقيل : الكتاب للجنس.
{ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا } [آل عمران : 119] أظهروا كلمة التوحيد { وَإِذَا خَلَوْا } [آل عمران : 119] فارقوكم أو خلا بعضهم ببعض { عَضُّوا عَلَيْكُمُ الانَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ } [آل عمران : 119] يوصف المغتاظ والنادم بعض الأنامل والبنان والإبهام { قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ } [آل عمران : 119] دعاء عليهم بأن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به ، والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الإسلام وعز أهله

ومالهم في ذلك من الذل والخزي { إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران : 119] فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض ، وهو داخل في جملة المقول أي أخبرهم بما يسرونه من عضهم الأنامل غيظاً إذا خلوا وقل لهم : إن الله عليم بما هو أخفى

267

مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور ، فلا تظنوا أن شيئاً من أسراركم يخفى عليه أو خارج عن المقول ، أي قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من إطلاعي إياك على ما يسرون فإني أعلم بما هو أخفى من ذلك وهو ما أضمروه في صدورهم { إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 265

(176/1)

آل عمران : 120] رهاء وخصب وغنيمة ونصرة { تَسُؤْهُمْ } تحزنهم إصابتها { وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ } [آل عمران : 120] أضداد ما ذكرنا.

والمس مستعار من الإصابة فكأن المعنى واحد ، ألا ترى إلى قوله تعالى : { إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ } [التوبة : 50] (التوبة : 05) { يَفْرَحُوا بِهَا } [آل عمران : 120] بإصابتها { وَأَن تَصْبِرُوا } [النساء : 25] على عداوتهم { وَتَتَّقُوا } ما نهيتم عنه من موالاتهم ، أو وإن تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه { لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شيئا } [آل عمران : 120] مكرهم وكنتم في حفظ الله ، وهذا تعليم من الله وإرشاد إلى أن يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى.

وقال الحكماء : إذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلاً في نفسك.

{ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الانَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شيئا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ } بالتاء : سهل أي من الصبر والتقوى وغيرهما { مُحِيطٌ } ففاعل بكم ما أنتم أهله.

وبالياء : غيره أي أنه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه.

{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ } [آل عمران : 121] واذكر يا محمد إذ خرجت غدوة من أهلك بالمدينة ، والمراد غدوة من حجرة عائشة رضي الله عنها إلى أحد { تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 121] تنزلهم وهو حال { مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ } [آل عمران : 121] مواطن ومواقف من الميمنة والميسرة والقلب والجناحين والساقة.

وللقتال يتعلق بـ " تبوىء " { وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [البقرة : 224] سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم.

روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه ودعا عبد الله بن أبيّ فاستشاره فقال : أقم بالمدينة فما خرجنا على عدو قط إلا أصاب منا ، وما دخلوا علينا إلا أصبنا منهم.

فقال عليه السلام : إني رأيت في

268

جزء : 1 رقم الصفحة : 265

منامي بقراً مذبحة حولي فأولتها خيراً ، ورأيت في ذباب سيفي ثلمة فأولتها هزيمة ، ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فلم يزل به قوم ينشطون في الشهادة حتى لبس لأمته ثم ندموا فقالوا : الأمر إليك يا رسول الله فقال عليه السلام " لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل " فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال { إِذْ هَمَّت } [آل عمران : 122] بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى عليم { طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ } [آل عمران : 122] خيان من الأنصار : بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس.

وكان عليه السلام خرج إلى أحد في ألف ، والمشركون في ثلاثة آلاف ، ووعدهم الفتح إن صبروا فانخذل عبد الله بن أبيّ بثلث الناس وقال : علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله { أَن تَفْشَلا } [آل عمران : 122] أي بأن تفشلا أي بأن تجبنا وتضعفا والفشل الجبن والخور { وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا } [آل عمران : 122] محبهما أو ناصرهما أو متولي أمرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ } [آل عمران : 122] { الْمُؤْمِنُونَ } أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه.

قال جابر : والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا.

ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة فقال :

جزء : 1 رقم الصفحة : 265

جزء : 1 رقم الصفحة : 269

{ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ } [آل عمران : 123] وهو اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدراً فسمي به ، أو ذكر بدراً بعد أحد للجمع بين الصبر والشكر.

{ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ } [آل عمران : 123] لقلة العدد فإنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر ، وكان عدوهم زهاء

ألف مقاتل والعدد ، فإنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم
269
إلا فرس واحد ، ومع عدوهم مائة فرس والشكة والشوكة.
وجاء بجمع القلة وهو أذلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلاً فاتّقوا الله في الثبات مع رسوله { لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة : 52] بتقواكم ما أنعم الله به عليكم من النصر { إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 124] ظرف لـ نصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أي نصركم الله وقت مقالتكم هذه ، أو بدل ثانٍ من إذ غدوت على أن تقول لهم ذلك يوم أحد { أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائكَةِ مُنزَلِينَ } [آل عمران : 124] منزّلين شامي.
منزلين أبو حيوة أي للنصرة.
ومعنى ألن يكفيكم إنكار أن لا يكفيهم الإمداد بثلاثة آلاف من الملائكة ، وجيء بـ " لن " الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر { بَلَى } إيجاب لما بعد لن أي يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية.
ثم قال { إِن تَصْبِرُوا } [آل عمران : 125] على القتال { وَتَتَّقُوا } خلاف الرسول عليه السلام { وَيَأْتُوكُم } يعني المشركين { مِّن فَوْرِهِمْ هَاذَا } [آل عمران : 125] هو من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت بها الحالة التي لا ريث بها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل " خرج من فوره " كما تقول " من ساعته لم يلبث " ومنه قول الكرخي " الأمر المطلق على الفور لا على التراخي " والمعنى إن يأتوكم من ساعتهم هذه { يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائكَةِ } [آل عمران : 125] في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يعني أن الله تعالى يعجل نصرتكم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم
جزء : 1 رقم الصفحة : 269
{ مُسَوِّمِينَ } بكسر الواو : مكي وأبو عمر وعاصم وسهل أي معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامة يعون بها في الحرب.
والسومة العلامة.
عن الضحاك : معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب
270
وأذنابها.
غيرهم : بفتح الواو أي معلمين.
قال الكلبي : معلين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم ، وكانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك.
قال قتادة : نزلت ألفاً فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ } [آل عمران : 126] الضمير يرجع إلى الإمداد الذي دل عليه أن يمدكم { إِلا بُشْرَى لَكُمْ } [آل عمران : 126] أي وما

جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون { وَلِتَطْمَاِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ } [آل عمران : 126] كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم { وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِندِ اللَّهِ } [آل عمران : 126] لا من عند المقاتلة ولا من عند الملائكة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة { الْعَزِيزُ } الذي لا يغالب في أحكامه { الْحَكِيمُ } الذي يعطي النصر لأوليائه ويبتليهم بجهاد أعدائه.

واللام في { لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } [آل عمران : 127] ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش متعلقه بقوله : ولقد نصركم الله .

أو بقوله : وما النصر إلا من عند الله " .

أو بـ يمددكم ربكم { أَوْ يَكْبِتَهُمْ } [آل عمران : 127] أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة ، وحقيقة الكبت شدّة وهن تقع في القلب فيصرع في الوجه لأجله { فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ } [آل عمران : 127] فيرجعوا غير ظافرين بمبتغاهم { لَيْسَ لَكَ مِنَ الامْرِ شَىْءٌ } [آل عمران : 128] اسم ليس شيء والخبر لك ومن الأمر حال من شيء لأنها صفة مقدمة { أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ } [الأحزاب : 24] عطف على ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم ووليس لك من الأمر شيء اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه ، والمعنى أن الله تعالى مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا

(178/1)

جزء : 1 رقم الصفحة : 269

{ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ } [آل عمران : 128] إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث لإنذارهم ومجاهدتهم.

وعن الفراء " أو " بمعنى " حتى " .

وعن ابن

271

عيسى بمعنى إلا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي أي ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم.

وقيل : أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه أن فيهم من يؤمن { فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ } [آل عمران : 128] مستحقون للتعذيب.

{ وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الارْضِ } أي الأمر له لا لك لأن ما في السموات وما في الأرض ملكه { يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ } [آل عمران : 129] للمؤمنين { وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ } [البقرة : 284] الكافرين { تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الانَامِلَ

مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شيئا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ } مضعفّة مكي وشامي.

هذا نهي عن الربا مع التوبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين محله يقول : إما أن تقضي حقي أو تربي وتزيد في الأجل { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [المائدة : 88] في أكله { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } كان أبو حنيفة رضي الله عنه يقول : هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه ، وقد أمد ذلك بما أتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله بقوله { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [آل عمران : 132] وفيه رد على المرجئة في قولهم " لا يضر مع الإيمان ذنب ولا يعذب بالنار أصلاً " وعندنا غير الكافرين من العصاة قد يدخلها ولكن عاقبة أمره الجنة.

وفي ذكره تعالى " لعل " و " عسى " في نحو هذه المواضع وإن قال أهل التفسير إن " لعل " و " عسى " من الله للتحقيق ، ما لا يخفى على العارف من دقة مسلك التقوى وصعوبة إصابة رضا الله تعالى وعزة التوصل إلى رحمته وثوابه.

272

جزء : 1 رقم الصفحة : 269

(179/1)

{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ } [آل عمران : 133] سارعوا : مدني وشامي.

فمن أثبت الواو عطفها على ما قبلها ، ومن حذفها استأنفها.

ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة الإقبال على ما يوصل إليهما.

ثم قيل : هي الصلوات الخمس أو التكبيرة الأولى ، أو الطاعة ، أو الإخلاص ، أو التوبة ، أو الجمعة والجماعات.

{ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالارْضُ } أي عرضها عرض السماوات والأرض كقوله : { عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالارْضِ } [الحديد : 21] (الحديد : 12).

والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه.

وخص العرض لأنه في العادة أدنى من الطول للمبالغة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض.

وما روي أن الجنة في السماء السابعة أو في السماء الرابعة فمعناه أنها في جهتها لا أنها فيها أو في بعضها كما يقال في الدار بستان وإن كان يزيد عليها لأن المراد أن بابه إليها { أُعِدَّتْ } في

موضع جر صفة لـ " جنة " أيضاً أي جنة واسعة معدة { لِّلْمُتَّقِينَ } ودلت الآيتان على أن الجنة والنار مخلوقتان.

ثم المتقي من يتقي الشرك كما قال { وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالارْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } [الحديد : 21] أو من يتقي المعاصي فإن كان المراد الثاني فهي لهم بغير عقوبة ، وإن كان الأول فهي لهم أيضاً في العاقبة ، ويوقف عليه إن جعل { الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ } [آل عمران : 134] في حال اليسر والعسر مبتدأ وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة وجعل الخبر أولئك .

وإن جعل وصفاً للمتقين وعطف عليه والذين إذا فعلوا فاحشة أي أعدت للمتقين والتائبين فلا وقف.

فإن قلت : الآية تدل على أن الجنة معدة للمتقين والتائبين دون المصرين.

قلت : جاز أن تكون معدة لهما ثم يدخلها بفضل الله وعفوه غيرهما كما يقال " أعدت هذه المائدة للأمير " ثم قد يأكلها أتباعه.

ألا ترى أنه قال واتقوا النار التي أعدت للكافرين ثم قد يدخلها غير الكافرين بالاتفاق وافتتح بذكر الانفاق لانه أشق شيء على النفس وأدله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت أعظم للحاجة اليه في مجاهدة العدو

(180/1)

ومواساة فقراء المسلمين وقيل المراد الانفاق في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة { الْغَيْظِ } والممسكين الغيظ عن الإمضاء يقال كظم القربة إذا امتلأها وشد فاها ، ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثراً.

والغيظ : توقد حرارة القلب من الغضب ، وعن النبي عليه السلام من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً { وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ } [آل عمران : 134] أي إذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم إلا من عفا .

وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [آل عمران : 134] اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون ، أو للعهد فيكون إشارة إلى هؤلاء.

عن الثورى : الإحسان أن تحسن إلى المسيء فإن الإحسان إلى المحسن متاجرة.

{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً } [آل عمران : 135] فعلة متزايدة القبح ، ويجوز أن يكون ووالذين مبتدأ

خبره أولئك { أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } [آل عمران : 135] قيل : الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ، أو الفاحشة الزنا وظلم النفس القبلة واللمسة ونحوهما { ذَكَرُوا اللَّهَ } [آل عمران : 135] بلسانهم أو بقلوبهم ليبعثهم على التوبة { فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ } [آل عمران : 135] فتابوا عنها لقبحهما نادمين.
قيل : بكى إبليس حين نزلت هذه الآية { وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ } [آل عمران : 135] من مبتدأ ويغفر خبره ، وفيه ضمير يعود إلى من وإلا الله بدل من الضمير في يغفر والتقدير : ولا أحد يغفر الذنوب إلا الله ، وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وفيه تطييب لنفوس العباد ، وتنشيط للتوبة ، وبعث عليها ، وردع عن اليأس والقنوط ، وبيان لسعة رحمته وقرب مغفرته من التائب ، وإشعار بأن الذنوب وإن جلّت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم.
{ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا } [آل عمران : 135] ولم يقيموا على قبيح فعلهم والإصرار

الإقامة قال عليه السلام ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار
جزء : 1 رقم الصفحة : 269
{ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [البقرة : 75] حال من الضمير في ولم يصروا أي وهم يعلمون أنهم أساءوا ، أو وهم يعلمون أنه لا يغفر ذنوبهم إلا الله { أُولئك } الموصوفون { جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ } [آل عمران : 136] بتوبته { وَجَنَّاتٍ } برحمته { تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ } [آل عمران : 136] المخصوص بالمدح محذوف أي ونعم أجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات ، نزلت في تمار قال لامرأة تريد التمر : في بيتي تمر أجود ، فأدخلها بيته وضمها إلى نفسه وقبلها فندم.
أو في أنصاري استخلفه ثقفي وقد آخى بينهما النبي عليه السلام في غيبة غزوة فأتى أهله لكفاية حاجة فرآها فقبلها فندم فساح في الأرض صارخاً فاستعتبه الله تعالى.
{ قَدْ خَلَتْ } [غافر : 85] مضت { مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ } [آل عمران : 137] يريد ما سنه الله تعالى في الأمم المكذبين من وقائعه { فَسِيرُوا فِى الارْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } [آل عمران : 137] فتعتبروا بها هذا أي القرآن أو ما تقدم ذكره { بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى } [آل عمران : 138] أي إرشاد { وَمَوْعِظَةً } ترغيب وترهيب { لِّلْمُتَّقِينَ } عن الشرك { وَلا تَهِنُوا } [النساء : 104] ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم من الهزيمة { وَلا تَحْزَنُوا } [فصلت : 30] على ما فاتكم من الغنيمة أو على من قتل منكم أو جرح ، وهو تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية لقلوبهم { وَأَنتُمُ الاعْلَوْنَ } [آل عمران : 139] وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد ، أو وأنتم الأعلون بالنصر والظفر في العاقبة وهي بشارة لهم بالعلو والغلبة

وإن جندنا لهم الغالبون ، أو وأنتم الأعلون شأناً لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتاً لهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ، أو لأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار { إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [البقرة : 91] متعلق بالنهي أي ولا تهنوا إن صح إيمانكم يعني أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بوعد الله وقلة المبالاة بأعدائه ، أو بـ الأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله به ويبشركم به من الغلبة.

{ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ } [آل عمران : 140] بضم القاف حيث كان : كوفي غير حفص.

ويفتح القاف : غيرهم.

وهما لغتان كالضعف والضعف.

وقيل : بالفتح الجراحة وبالضم ألمها { فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ } [آل عمران : 140] أي إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ، ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يمنعهم عن معاودتكم إلى القتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا { وَتِلْكَ } مبتدأ { الايَّامِ } صفته والخبر { نُدَاوِلُهَا } نصرفها { بَيْنَ النَّاسِ } [النساء : 58] أي نصرف ما فيها من النعم والنقم نعطي لهؤلاء تارة وطوراً لهؤلاء كبيت الكتاب :

جزء : 1 رقم الصفحة : 269

فيوماً علينا ويوماً لنا

ويوماً نساء ويوماً نسر

{ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [آل عمران : 140] أي نداولها لضروب من التدبير وليعلم الله المؤمنين مميزين بالصبر والإيمان من غيرهم كما علمهم قبل الوجود { وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ } [آل عمران : 140] وليكرم ناساً منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد ، أو ليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة من قوله { لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ } [البقرة : 143] (البقرة : 341) { وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [آل عمران : 57] اعتراض بين بعض التعليل وبعض ، ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيله وهم المنافقون والكافرون { وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا } [آل عمران : 141] التمحيص : التطهير والتصفية { وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ } [آل عمران : 141] ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص ، وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم }

276

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ } [البقرة : 214] أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار أي لا تحسبوا { وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ } [آل عمران : 142] أي ولما تجاهدون لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقة لأنه منتف بانتفائه ، تقول : ما علم الله في فلان خيراً أي ما فيه

خير حتى يعلمه.

ولما بمعنى " لم " إلا أن فيه ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل { وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران : 142] نصب بإضمار " أن " والواو بمعنى الجمع نحو " لا تأكل السمك وتشرب اللبن " ، أو جزم للعطف على يعلم الله ، وإنما حركت الميم لالتقاء الساكنين واختيرت الفتحة لفتحة ما قبلها.

{ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ } [آل عمران : 143] خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم لينالوا كرامة الشهادة ، وهم الذين ألحوا على رسول الله في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة ، يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته

{ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ } [آل عمران : 143] أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل إخوانكم بين أيديكم وشارفتم أن تقتلوا ، وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلّم بإلحاحهم عليه ، ثم انهزامهم عنه.

وإنما تمنوا الشهادة لينالوا كرامة الشهداء من غير قصد إلى ما يتضمنه من غلبة الكفار كمن شرب الدواء من طبيب نصراني فإن قصده حصول الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة إلى عدو الله وتنفيقاً لصناعته.

لما رمى ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلّم فكسر رباعيته أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير ـ وهو صاحب الراية ـ حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلّم فقال : قتلت محمداً وخرج صارخ ـ قيل هو الشيطان ـ ألا إن محمداً قد قتل.

ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يدعو : إليّ عباد الله حتى انحازت

277

إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا : يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فولينا مدبرين فنزل { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ } [آل عمران : 144] مضت { مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ } [آل عمران : 144] فسيخلو كما خلوا ، وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه ، لأن المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه { أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } [آل عمران : 144] الفاء معلقة

للجملة الشرطية بالجملة التي قبلها على معنى التسبيب ، والهمزة لأنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه ، والانقلاب على العقبين مجاز عن الارتداد أو عن الإنهزام { وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شيئا } [آل عمران : 144] وإنما ضر نفسه { وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } [آل عمران : 144] الذين لم ينقلبوا ، وسماهم شاكرين لأنهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا.

جزء : 1 رقم الصفحة : 269

{ وَمَا كَانَ } [التوبة : 114] وما جاز { لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ } [آل عمران : 145] أي بعلمه أو بأن يأذن ملك الموت في قبض روحه ، والمعنى أن موت الأنفس محال أن يكون إلا بمشيئة الله ، وفيه تحريض على الجهاد ، وتشجيع على لقاء العدو ، وإعلام بأن الحذر لا ينفع ، وأن أحداً لا يموت قبل بلوغ أجله وإن خاض المهالك واقتحم المعارك { كِتَابًا } مصدر مؤكد لأن المعنى كتب الموت كتاباً { مُؤَجَّلا } مؤقتاً له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر { وَمَن يُرِدِ } [المائدة : 41] بقتاله { ثَوَابَ الدُّنْيَا } [النساء : 134] أي الغنيمة وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد { نُؤْتِهِ مِنْهَا } [آل عمران : 145] من ثوابها { وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الاخِرَةِ } [آل عمران : 145] أي إعلاء كلمة الله والدرجة في الآخر { نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ } [آل عمران : 145] وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد.

278

(183/1)

{ وَكَأَيّن } أصله أي دخل عليه كاف التشبيه وصارا في معنى كم التي للتكثير.

وكائن بوزن كاع حيث كان : مكي { مّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ } [آل عمران : 146] قتل : مكي وبصري ونافع.

{ مَعَهُ } حال من الضمير في قتل أي قتل كائناً معه { رِبّيُّونَ كَثِيرٌ } [آل عمران : 146] والربيون الربانيون.

وعن الحسن بضم الراء وعن البعض بفتحها ، فالفتح على القياس لأنه منسوب إلى الرب ، والضم والكسر من تغييرات النسب { فَمَا وَهَنُوا } [آل عمران : 146] فما فتروا عند قتل نبيهم { لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا } [آل عمران : 146] عن الجهاد بعده { وَمَا اسْتَكَانُوا } [آل عمران : 146] وما خضعوا لعدوهم ، وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن عند الإرجاف بقتل رسول الله عليه السلام واستكانتهم لهم حيث أرادوا أن يعتضدوا بابن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان { وَاللَّهُ

يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } [آل عمران : 146] على جهاد الكافرين.
{ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا } [آل عمران : 147] أي وما كان قولهم إلا هذا القول وهو إضافة الذنوب إلى أنفسهم مع كونهم ربانيين هضماً لها { وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا } [آل عمران : 147] تجاوزنا حد العبودية { وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا } [البقرة : 250] في القتال { وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة : 250] بالغلبة.
وقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام في مواطن الحرب والنصرة على الأعداء ، لأنه أقرب إلى الإجابة لما فيه من الخضوع والاستكانة.
جزء : 1 رقم الصفحة : 269
جزء : 1 رقم الصفحة : 279
{ فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا } أي النصرة والظفر والغنيمة { وَحُسْنَ ثَوَابِ الاخِرَةِ } [آل عمران : 148] المغفرة والجنة.
وخص بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وأنه هو المعتد به عنده { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [آل عمران : 134] أي هم محسنون والله يحبهم.
{ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } يرجعوكم إلى الشرك { فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ } [آل عمران : 149] قيل : هو عام في جميع الكفار وعلى المؤمنين أن يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء حتى لا يستجروهم إلى
279
موافقتهم.
وعن السدي : إن تستكينوا لأبي سفيان وأصحابه وتستأمنوهم يردوكم إلى دينهم.
وقال علي رضي الله عنه : نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم وادخلوا في دينهم { بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ } [آل عمران : 150] ناصركم فاستغنوا عن نصرة غيره { وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ } الرعب شامي وعلي وهما لغتان.
قيل : قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم أحد فانهزموا إلى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة { بِمَآ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ } [آل عمران : 151] بسبب إشراكهم أي كان السبب في إلقاء الله الرعب في قلوبهم إشراكهم به { مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا } [آل عمران : 151] آلهة لم ينزل الله بإشراكها حجة ، ولم يرد أن هناك حجة إلا أنها لم تنزل عليهم لأن الشرك لا يستقيم أن تقوم عليه حجة ، وإنما المراد نفي الحجة ونزولها جميعاً كقوله :
ولا ترى الضب بها ينجحر
جزء : 1 رقم الصفحة : 279
أي ليس بها ضب فينجحر ، ولم يعن أن بها ضباً ولا ينجحر { وَمَأْوَاهُمُ } مرجعهم { النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ } [آل عمران : 151] النار فالمخصوص بالذم محذوف.

ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلّم مع أصحابه إلى المدينة قال ناس من أصحابه ، من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر؟ فنزل { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ } [آل عمران : 152] أي حقق { إِذْ تَحُسُّونَهُم } [آل عمران : 152] تقتلونهم قتلاً ذريعاً.

وعن ابن عيسى : حسه أبطل حسه بالقتل { بِإِذْنِهِ } بأمره وعلمه

280

(184/1)

{ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ } [آل عمران : 152] جبنتم { وَتَنَازَعْتُمْ فِى الامْرِ } [آل عمران : 152] أي اختلفتم { وَعَصَيْتُم } أمر نبيكم بترككم المركز واشتغالكم بالغنيمة { مِّن بَعْدِ مَآ أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ } من الظفر وقهر الكفار.

ومتعلق إذا محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ، وجاز أن يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم { مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا } [آل عمران : 152] أي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز لطلب الغنيمة.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم جعل أحداً خلف ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا ـ كانت الدولة للمسلمين أو عليهم ـ فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا ، والمسلمون على آثارهم يقتلونهم.

حتى إذا فشلوا وتنازعوا فقال بعضهم : قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا ، فادخلوا عسكر المسلمين وخذوا الغنيمة مع إخوانكم ، وقال بعضهم : لا تخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله { وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الاخِرَةَ } [آل عمران : 152] فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله { ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ } [آل عمران : 152] أي كف معونته عنكم فغلبوكم { لِيَبْتَلِيَكُمْ } ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم عندها وحقيقته ليعاملكم معاملة المختبر لأنه يجازي على ما يعمله العبد لا على ما يعلمه منه { وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ } [آل عمران : 152] حيث ندمتم على ما فرط منكم من عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلّم { وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 152] بالعفو عنهم وقبول توبتهم ، أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء أديل لهم أو أديل عليهم ، لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة.

وانتصب.

جزء : 1 رقم الصفحة : 279

{ إِذْ تُصْعِدُونَ } [آل عمران : 153] تبالغون في الذهاب في صعيد الأرض ، والإصعاد الذهاب في صعيد الأرض أو الإبعاد فيه بصرفكم ، أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار " اذكروا " { وَلا تَلْوُنَ عَلَى أَحَدٍ } [آل عمران : 153] ولا تلتفون وهو عبارة عن غاية انهزامهم
281
وخوف عدوهم { وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ } [آل عمران : 153] يقول " إليّ عباد الله أنا رسول الله صلى الله عليه وسلّم من يكر فله الجنة " والجملة في موضع الحال { فِى أُخْرَاكُمْ } [آل عمران : 153] في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة.
يقال جئت في آخر الناس وأخرهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى { فَأَثَابَكُمْ } عطف على صرفكم أي فجازاكم الله { غَمًّا } حين صرفكم عنهم وابتلاكم { بِغَمٍّ } بسبب غم أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعصيانكم أمره أو غماً مضاعفاً ، غماً بعد غم وغماً متصلاً بغم ، من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر { لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ } [آل عمران : 153] لتتمرنوا على تجرع الغموم فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع { وَلا مَآ أَصَابَكُمْ } [آل عمران : 153] ولا على مصيب من المضار { وَاللَّهُ خَبِيرُ بِمَا تَعْمَلُونَ } [آل عمران : 153] عالم بعملكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، وهذا ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية.
{ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا } [آل عمران : 154] ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم.
عن أبي طلحة : غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه.
والأمنة الأمن ، ونعاساً بدل من أمنة أو هو مفعول وأمنة حال منه مقدمة عليه نحو " رأيت راكباً رجلاً " والأصل أنزل عليكم نعاساً ذا أمنة إذ النعاس ليس هو الأمن ، ويجوز أن يكون أمنة مفعولاً له أو حالاً من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة
جزء : 1 رقم الصفحة : 279
{ يَغْشَى } يعني النعاس.
تغشى بالتاء والإمالة :
282

حمزة وعلي أي الأمنة { طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ } [الأعراف : 87] هم أهل الصدق واليقين { وَطَآ ئِفَةٌ } هم المنافقون { قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ } [آل عمران : 154] ما يهمهم إلا هم أنفسهم وخلاصها لا همّ الدين ولا همّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمسلمين رضوان الله عليهم { يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ } [آل عمران : 154] في حكم المصدر أي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وهو أن لا ينصر محمداً صلى الله عليه وسلّم { ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ } [آل عمران : 154] بدل منه والمراد الظن المختص بالملة الجاهلية ، أو ظن أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله { يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الامْرِ مِن شَىْءٍ } [آل عمران : 154] هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة على العدو { قُلْ إِنَّ الامْرَ } [آل عمران : 154] أي النصر والغلبة { كُلُّهُ لِلَّهِ } [الانفال : 39] ولأوليائه المؤمنين { وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } [الصافات : 173] كله تأكيد للأمر ولله خبر " أن " كله بصري وهو مبتدأ ولله خبره والجملة خبر " ان " { يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ } [آل عمران : 154] خوفاً من السيف { يَقُولُونَ } في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله { لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الامْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا } [آل عمران : 154] أي لو كان الأمر كما قال محمد " إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم الغالبون " لما غلبنا قط ، ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة.

قد أهمتهم " صفة لـ " طائفة " ويظنون خبر لـ " طائفة " أو صفة أخرى ، أو حال أي قد أهمتهم أنفسهم ظانين.

ويقولون بدل من يظنون ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون أو استئناف { قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 279

آل عمران : 154] أي من علم الله منه أنه يقتل في هذه المعركة وكتب ذلك في اللوح لم يكن به من وجوده ، فلو قعدتم في بيوتكم { لَبَرَزَ } من بينكم { الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ } [آل عمران : 154] مصارعهم بأحد ليكون ما علم الله أنه يكون ، والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم ، وأن دين الإسلام يظهر على الدين كله ، وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم { وَلِيَبْتَلِىَ اللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ } [آل عمران : 154] وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك.

أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص { وَاللَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران : 154] بخفياتها.

283

{ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ } [آل عمران : 155] انهزموا { يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ } [آل عمران : 155] جمع محمد عليه السلام وجمع أبي سفيان للقتال بأحد { إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ } [آل عمران : 155] دعاهم إلى الزلة وحملهم عليها { بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } [آل عمران : 155] بتركهم المركز الذي أمرهم رسول الله بالثبات فيه فالإضافة إلى الشيطان لطف وتقريب والتعليل بكسبهم وعظ وتأديب.

وكان أصحاب محمد عليه السلام تولوا عنه يوم أحد إلا ثلاثة عشر رجلاً منهم أبو بكر وعلي وطلحة وابن عوف وسعد بن أبي وقاص والباقون من الأنصار { وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ } [آل عمران : 155] تجاوز عنهم { أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ } [البقرة : 235] للذنوب { حَلِيمٌ } لا يعاجل بالعقوبة { حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا } كابن أبيّ وأصحابه { وَقَالُوا لاخْوَانِهِمْ } [آل عمران : 156] أي في حق إخوانهم في النسب أو في النفاق { إِذَا ضَرَبُوا فِى الارْضِ } [آل عمران : 156] سافروا فيها للتجارة أو غيرها { أَوْ كَانُوا غُزًّى } [آل عمران : 156] جمع غازٍ كعافٍ وعفّى وأصابهم موت أو قتل { لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَالِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ } [آل عمران : 156] اللام يتعلق بـ " لا تكونوا " أي لا تكونوا كهؤلاء في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم ، أو بـ قالوا " أي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون ذلك حسرة في قلوبهم والحسرة الندامة على فوت المحبوب { وَاللَّهُ يُحْيِ وَيُمِيتُ } [آل عمران : 156] رد لقولهم " إن القتال يقطع الآجال " أي الأمر بيده قد يحيي المسافر والمقاتل.

ويميت المقيم والقاعد

{ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة : 265] فيجازيكم على أعمالكم.

يعملون مكي وحمزة وعلي أي الذين كفروا.

جزء : 1 رقم الصفحة : 279

جزء : 1 رقم الصفحة : 285

{ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ } [آل عمران : 157] متم وبابه بالكسر : نافع وكوفي غير عاصم ، تابعهم حفص إلا في هذه السورة كأنه أراد الوفاق بينه وبين قتلتم.

غيرهم : بضم الميم في جميع القرآن ، فالضم من مات يموت ، والكسر من مات يمات كخاف يخاف فكما تقول خفت تقول مت { لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ } ما بمعنى الذي والعائد محذوف وبالياء : حفص { وَلَـاإِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لاَلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ } [آل عمران : 158] لإلى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون.

ولوقوع اسم الله في هذا الموضع مع تقديمه وإدخال اللام على الحرف المتصل به شأن غني عن البرهان.

لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط ، وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولاً في زعمهم أن من سافر من إخوانهم أو غزا لو كان بالمدينة لما مات ، ونهي المسلمين عن ذلك لأنه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم : ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت أو القتل في سبيل الله فإن ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ، فإن الدنيا زاد المعاد فإذا وصل العبد إلى المراد لم يحتج إلى الزاد.

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ } [آل عمران : 159] ما مزيدة للتوكيد والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله.

ومعنى الرحمة ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم { وَلَوْ كُنتَ فَظًّا } [آل عمران : 159] جافياً { غَلِيظَ الْقَلْبِ } [آل عمران : 159] قاسيه { انفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ } لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد منهم { فَاعْفُ عَنْهُمْ } [آل عمران : 159] ما كان منهم يوم أحد مما يختص بك { وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ } [النور : 62] فيما يختص بحق الله إتماماً للشفقة عليهم

285

(187/1)

{ وَشَاوِرْهُمْ فِى الامْرِ } [آل عمران : 159] أي في أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تطييباً لنفوسهم وترويحاً لقلوبهم ورفعاً لأقدارهم ، ولتقتدي بك أمتك فيها.

في الحديث ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه : ما رأيت أحداً أكثر مشاورة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

ومعنى شاورت فلاناً أظهرت ما عندي وما عنده من الرأي.

وشرت الدابة استخرجب جريها ، وشرت العسل أخذته من مآخذه ، وفيه دلالة جواز الاجتهاد وبيانا أن القياس حجة

جزء : 1 رقم الصفحة : 285

{ فَإِذَا عَزَمْتَ } [آل عمران : 159] فإذا قطعت الرأي على شيء بعد الشورى { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } [آل عمران : 159] في إمضاء أمرك على الأرشد لا على المشورة { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران : 159] عليه والتوكل الاعتماد على الله والتفويض في الأمور إليه.

وقال ذو النون : خلع الأرباب وقطع الأسباب { إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ } [آل عمران : 160] كما نصركم يوم بدر { فَلا غَالِبَ لَكُمْ } [آل عمران : 160] فلا أحد يغلبكم وإنما يدرك نصر الله من تبرأ من حوله وقوته واعتصم بربه وقدرته { وَإِن يَخْذُلْكُمْ } [آل عمران : 160] كما خذلكم يوم أحد { فَمَن ذَا الَّذِى يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ } [آل عمران : 160] من بعد خذلانه وهو ترك المعونة ، أو هو من قولك

ليس لك من يحسن إليك من بعد فلان تريد إذا جاوزته ، وهذا تنبيه على أن الأمر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه { وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [آل عمران : 122] وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض إليه لعلمهم أنه لا ناصر سواه ، ولأن إيمانهم يقتضي ذلك.

{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ } [آل عمران : 161] مكي وأبو عمرو وحفص وعاصم أي يخون ،

286

وبضم الياء وفتح الغين : غيرهم.

يقال غلّ شيئاً من المغنم غلولاً وأغلّ إغلالاً إذا أخذه في خفية ، ويقال أغله إذا وجده غالاً ، والمعنى ما صح له ذلك يعني أن النبوة تنافي الغلول ، وكذا من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع إلى هذا لأن معناه : وما صح له أن يوجد غالاً ولا يوجد غالاً إلا إذا كان غالاً.

روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر مما أصيب من المشركين فقال بعض المنافقين : لعل رسول الله صلى الله عليه وسلّم أخذها فنزلت الآية { وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران : 161] أي يأت بالشيء الذي غله بعينه حاملاً له على ظهره كما جاء في الحديث أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه { ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ } [البقرة : 281] تعطي جزاءها وافياً ولم يقل " ثم يوفى ما كسب " ليتصل بقوله ومن يغلل بل جيء بعام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ ، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزى فموفى جزاءه علم أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب

جزء : 1 رقم الصفحة : 285

{ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ } أي جزاء كل على قدر كسبه { أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ } [آل عمران : 162] أي رضا الله قيل هم المهاجرون والأنصار { كَمَن بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران : 162] وهم المنافقون والكفار { وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [آل عمران : 162] المرجع { هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ } [آل عمران : 163] هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات أو ذوو درجات ، والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين أو التفاوت بين الثواب والعاقب { وَاللَّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ } [البقرة : 96] عالم بأعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها.

{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [آل عمران : 164].

على من آمن مع رسول الله عليه السلام من قومه ، وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون بمبعثه { إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْ أَنفُسِهِمْ } [آل عمران : 164] من جنسهم عربياً مثلهم أو من ولد إسماعيل كما أنهم من ولده ، والمنة في ذلك من حيث إنه إذا كان منهم كان اللسان واحد فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه

287

عنه ، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه ، وكان لهم شرف بكونه منهم.

وفي قراءة رسول الله من أنفسهم أي من أشرفهم { يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ } [آل عمران : 164] أي القرآن بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي { وَيُزَكِّيهِمْ } ويطهرهم بالإيمان من دنس الكفر والطغيان أو يأخذ منهم الزكاة { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [آل عمران : 164] القرآن والسنة { وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ } [الروم : 49] من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلّم { لَفِى ضَلَـٰل } [الشورى : 18] عمى وجهالة { مُّبِينٌ } ظاهر لا شبهة فيه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والتقدير : وإن الشأن والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين.

جزء : 1 رقم الصفحة : 285

{ أَوَ لَمَّآ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ } [آل عمران : 165] يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم { قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا } [آل عمران : 165] يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين وهو في موضع رفع صفة لـ " مصيبة " { قُلْتُمْ أَنَّى هَاذَا } [آل عمران : 165] من أين هذا { قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ } [آل عمران : 165] لاختياركم الخروج من المدينة أو لترككم المركز.

لما نصب بـ " قلتم " وأصابتكم في محل الجر بإضافة لما إليه وتقديره : أقلتم حين أصابتكم.

وأنى هذا نصب لأنه مقول والهمزة للتقرير والتقريع ، وعطفت الواو هذه الجملة على ما مضى من قصة أحد من قوله : ولقد صدقكم الله وعده .

أو على محذوف كأنه قيل : أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 20] يقدر على النصر وعلى منعه.

{ وَمَآ أَصَابَكُم } [الشورى : 30] ما بمعنى " الذي " وهو مبتدأ { يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ } [آل عمران : 155] جمعكم وجمع المشركين بأحد والخبر { فَبِإِذْنِ اللَّهِ } [الحشر : 5] فكائن بأذن الله أي بعلمه وقضائه { وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا } وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر 288

إيمان هؤلاء ونفاق هؤلاء { وَقِيلَ لَهُمْ } [الشعراء : 92] للمنافقين وهو كلام مبتدأ { تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ } [آل عمران : 167] أي جاهدوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون { أَوِ ادْفَعُوا } [آل عمران : 167] أي قاتلوا دفعاً على أنفسكم وأهليكم وأموالكم إن لم تقاتلوا للآخرة.

وقيل : أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين إن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما تروع العدو { قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا اتَّبَعْنَاكُمْ } أي لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم يعنون أن ما أنتم فيه لخطإ رأيكم ليس بشيء ، ولا يقال لمثله قتال إنما هو إلقاء النفس في التهلكة { اتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَاإِذٍ

أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلايمَانِ } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 285

(189/1)

آل عمران : 167] يعني أنهم كانوا يتظاهرون بالإيمان قبل ذلك وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم ، فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر ، أو هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليلهم سواد المؤمنين بالانخذال تقوية للمشركين { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ } [آل عمران : 167] أي يظهرون خلاف ما يضمرون من الإيمان وغيره والتقييد بالأفواه للتأكيد ونفي المجاز { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } [آل عمران : 167] من النفاق { الَّذِينَ قَالُوا } [المائدة : 41] أي ابن أبيّ وأصحابه وهو في موضع رفع على " هم " الذين قالوا أو على الإبدال من واو يكتمون أو نصب بإضمار أعني ، أو على البدل من الذين نافقوا أو جر على البدل من الضمير في أفواههم أو قلوبهم { لاخْوَانِهِمْ } لأجل إخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم أحد { وَقَعَدُوا } أي قالوا وقد قعدوا عن القتال { لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا } [آل عمران : 168] لو أطاعنا إخواننا فيما أمرناهم به من الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم والقعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل { قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [آل عمران : 168] بأن الحذر ينفع من القدر فخذوا حذركم من الموت ، أو معناه قل إن كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلاً وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت سبيلاً.
وروي أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقاً.
ونزل في قتلى أحد { وَلا تَحْسَبَنَّ } [آل عمران : 169] شامي وحمزة وعلي وعاصم ، وبكسر السين غيرهم :
289
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلّم أو لكل أحد { الَّذِينَ قَتَلُوا } [الأنعام : 140] قتلوا : شامي { فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَآءٌ } [آل عمران : 169] بل هم أحياء { عِندَ رَبِّهِمْ } [فاطر : 39] مقربون عنده ذوو زلفى { يُرْزَقُونَ } مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون ، وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين حال من الضمير في يرزقون
جزء : 1 رقم الصفحة : 285
{ بِمَآ ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ } [آل عمران : 170] وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلاً لهم رزق الجنة ونعيمها.
وقال النبي عليه السلام لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في

أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وقيل : هذا الرزق في الجنة يوم القيامة وهو ضعيف لأنه لا يبقى للتخصيص فائدة { وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ } [آل عمران : 170] بإخوانهم المجاهدين الذين { لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم } [آل عمران : 170] لم يقتلوا فيلحقوا بهم { مِّنْ خَلْفِهِمْ } [آل عمران : 170] يريد الذين من خلفهم قد بقوا من بعدهم وهم قد تقدموهم أو لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم { أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } [آل عمران : 170] بدل من الذين والمعنى : ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون آمنين يوم القيامة ، بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به.

وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم ، بعثٌ للباقين بعدهم على الجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء { وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة : 38].

جزء : 1 رقم الصفحة : 285

{ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ } [آل عمران : 171] يسرون بما أنعم الله عليهم وما تفضل عليهم من زيادة الكرامة { وَأَنَّ اللَّهَ } [المائدة : 97] عطف على النعمة والفضل.

وإن الله : عليٌّ بالكسر على الاستئناف وعلى أن الجملة اعتراض { لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 290

آل عمران : 171] بل يوفر عليهم.

{ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ } [آل عمران : 172] مبتدأ خبره للذين أحسنوا ، أو صفة للمؤمنين ، أو نصب على المدح { مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ } [آل عمران : 172] الجرح.

روي أن أبا

290

(190/1)

سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلّم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة ، فندب النبيّ أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان ، فخرج يوم الأحد من المدينة مع سبعين رجلاً حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدنية على ثمانية أميال ، وكان بأصحابه القرح فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا } [آل عمران : 172] من للتبيين.

مثلها في قوله : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً } [الفتح : 29] (الفتح : 92).

لأن الذين استجابوا الله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم { أَجْرٌ عَظِيمٌ } [آل عمران : 172]

في الآخرة.
{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ } [آل عمران : 173] بدل من الذين استجابوا { إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ } [آل عمران : 173] روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه من أحد : يا محمد موعدنا موسم بدر القابل.
فقال عليه السلام " إن شاء الله " ، فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمراً فقال : يا نعيم إني واعدت محمداً أن نلتقي بموسم بدر وقد بدا لي أن أرجع فالحق بالمدينة ، فثبطهم ولك عندي عشرة من الإبل ، فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم : أتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام " والله لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد " فخرج في سبعين راكباً وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدراً وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارة فباعوها وأصابوا خيراً ، ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ولم يكن قتال ، ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا : إنما خرجتم لتأكلوا السويق.
فالناس الأول نعيم وهو جمع أريد به الواحد أو كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه ، والثاني أبو سفيان وأصحابه.
جزء : 1 رقم الصفحة : 290
{ فَاخْشَوْهُمْ } فخافوهم { فَزَادَهُمْ } أي المقول الذي هو إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم أو القول ، أو
291

(191/1)

نعيم { إِيمَانًا } بصيرة وإيقاناً { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } [التوبة : 59] كافينا الله أي الذي يكفينا الله.
يقال أحسبه الشيء إذا كفاه وهو بمعنى المحسب بدليل أنك تقول " هذا رجل حسبك " فتصف به النكرة لأن إضافته غير حقيقية لكونه في معنى اسم الفاعل { وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } [آل عمران : 173] ونعم الموكول إليه هو { فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } [آل عمران : 174] وهي السلامة وحذر العدو منهم { وَفَضْلٍ } وهو الربح في التجارة فأصابوا بالدرهم درهمين { لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ } [آل عمران : 174] لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو وهو حال من الضمير في انقلبوا ، وكذا بنعمة والتقدير : فرجعوا من بدر منعمين بريئين من سوء { وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ } [آل عمران : 174] بجرأتهم وخروجهم إلى وجه العدو على أثر تثبيطه وهو معطوف على انقلبوا { وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ } [آل عمران : 174] قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا.

{ إِنَّمَا ذَالِكُمُ الشَّيْطَانُ } [آل عمران : 175] هو خبر ذلكم أي إنما ذلك المثبط هو الشيطان وهو نعيم { يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ } [آل عمران : 175] أي المنافقين وهو جملة مستأنفة بيان لشيطنته ، أو الشيطان صفة لاسم الإشارة ويخوف الخبر { فَلا تَخَافُوهُمْ } [آل عمران : 175] أي أولياءه { وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } [آل عمران : 175] لأن الإيمان يقتضي أن يؤثر العبد خوف الله على خوف غيره.

و " خافوني " في الوصل والوقف : سهل ويعقوب ، وافقهما أبو عمرو في الوصل.

{ وَلا يَحْزُنكَ } [آل عمران : 176] " يحزنك " في كل القرآن : نافع إلا في سورة الأنبياء { لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الاكْبَرُ } [الأنبياء : 103] (الأنبياء : 301) { الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْرِ } [آل عمران : 176] يعني لا يحزنوك لخوف أن يضروك ألا ترى إلى قوله { إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شيئا } [آل عمران : 176] أي أولياء الله يعني أنهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير أنفسهم وما وبال ذلك عائداً على غيرهم.

ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله { يُرِيدُ اللَّهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الاخِرَةِ } [آل عمران : 176] أي نصيباً من الثواب { وَلَهُمْ } بدل الثواب { عَذَابٌ عَظِيمٌ } [البقرة : 7] وذلك أبلغ ما ضر به الإنسان نفسه ،

292

والآية تدل على إرادة الكفر والمعاصي لأن إرادته أن لا يكون لهم ثواب في الآخرة لا تكون بدون إرادة كفرهم ومعاصيهم.

جزء : 1 رقم الصفحة : 290

(192/1)

{ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالايمَانِ } [آل عمران : 177] أي استبدلوه به { لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شيئا } [محمد : 32] هو نصب على المصدر أي شيئاً من الضرر.

الآية الأولى فيمن نافق من المتخلفين أو ارتد عن الإسلام ، والثانية في جميع الكفار أو على العكس { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلا يَحْسَبَنَّ } وثلاثة بعدها مع ضم الباء في " يحسبنهم " بالياء : مكي وأبو عمرو ، وكلها بالتاء : حمزة ، وكلها بالياء : مدني وشامي إلا { فَلا تَحْسَبَنَّهُم } [آل عمران : 188] فإنها بالتاء.

الباقون : الأوليان بالياء والأخريان بالتاء.

{ الَّذِينَ كَفَرُوا } [النمل : 67] فيمن قرأ بالياء رفع أي ولا يحسبن الكافرون.

و " أن مع اسمه وخبره في قوله { أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لانفُسِهِمْ } [آل عمران : 178] في موضع

المفعولين لـ " يحسبن " والتقدير : ولا يحسبن الذين كفروا إملاءنا خيراً لأنفسهم.
وما مصدرية وكان حقها في قياس علم الخط أن تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الإمام متصلة فلا يخالف.
وفيمن قرأ بالتاء نصب أي ولا تحسبن الكافرين وأنما نملي لهم خير لأنفسهم بدل من الكافرين ، أي ولا تحسبن أن ما نملي للكافرين خير لهم ، وأن مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين ، والإملاء لهم إمهمالهم وإطالة عمرهم.
{ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا } [آل عمران : 178] ما هذه حقها أن تكتب متصلة لأنها كافة دون الأولى ، وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كأنه قيل : ما بالهم لا يحسبون الإملاء خيراً لهم؟ فقيل : إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً.
والآية حجة لنا على المعتزلة في مسألتي الأصلح وإرادة المعاصي { وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ } [آل عمران : 178].
اللام في { مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ } [آل عمران : 179] من اختلاط
293
المؤمنين الخلص والمنافقين لتأكيد النفي { حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ } [آل عمران : 179] حتى يعزل المنافق عن المخلص.
يميز : حمزة وعلي.
والخطاب في أنتم للمصدقين من أهل الإخلاص والنفاق كأنه قيل : ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض حتى يميزهم منكم بالوحي إلى نبيه وإخباره بأحوالكم
جزء : 1 رقم الصفحة : 290
{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ } [آل عمران : 179] وما كان الله ليؤتي أحد منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند إخبار الرسل بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب إطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها { وَلَاكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ } [آل عمران : 179] أي ولكن الله يرسل الرسول فيوحي إليه ويخبره بأن في الغيب كذا وأن فلاناً في قلبه النفاق وفلاناً في قلبه الإخلاص ، فيعلم ذلك من جهة إخبار الله لا من جهة نفسه.
والآية حجة على الباطنية فإنهم يدعون ذلك العلم لإمامهم فإن لم يثبتوا النبوة له صاروا مخالفين للنص حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسول ، وإن أثبتوا النبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله { وَخَاتَمَ النَّبِيّانَ } [الأحزاب : 40] (الأحزاب : 04) { فَاَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } [آل عمران : 179] بصفة الإخلاص { وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا } [آل عمران : 179] النفاق { فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [آل عمران : 179] في الآخرة.
{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ } [آل عمران : 180] من قرأ

بالتاء قدر مضافاً محذوفاً أي ولا تسحبن بخل الباخلين وهو فصل وخيراً لهم مفعول ثانٍ ، وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله أو ضمير أحد ، ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان التقدير : ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خير لهم وهو فصل وخيراً لهم مفعول ثانٍ { بَلْ هُوَ } [العنكبوت : 49] أي البخل { شَرٌّ لَّهُمْ } [آل عمران : 180] لأن أموالهم ستزول عنهم ويبقى عليهم وبال البخل { سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران : 180] تفسير لقوله { بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ } [آل عمران : 180] أي سيجعل مالهم الذي منعوه عن الحق طوقاً في أعناقهم كما جاء في الحديث من منع زكاة ماله يصير حية ذكراً

294

(193/1)

أقرع له نابان فيطوق في عنقه فينهشه ويدفعه إلى النار " { وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره ، فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيل الله؟ والأصل في ميراث موراث فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

{ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [البقرة : 234] وبالياء مكي وأبو عمرو ، فالتاء على طريقة الالتفات وهو أبلغ في الوعيد ، والياء على الظاهر.

جزء : 1 رقم الصفحة : 290

{ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 295

آل عمران : 181] قال ذلك اليهود حين سمعوا قوله تعالى : { مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا } [البقرة : 245] (البقرة : 542).

وقالوا : إن إله محمد يستقرض منا فنحن إذاً أغنياء وهو فقير.

ومعنى سماع الله له أنه لم يخف عليه وأنه أعد له كفاء من العقاب { سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا } [آل عمران : 181] سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوا في الصحائف ، أو سنحفظه إذ الكتاب من الخلق ليحفظ ما فيه فسمي به مجازاً.

وما مصدرية أو بمعنى " الذي " { وَقَتْلِهِمُ الانابِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ } [النساء : 155] معطوف على ما . جعل قتلهم الأنبياء قرينة له إيذاناً له بأنهما في العظم أخوان ، وأن من قتل الأنبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول { وَنَقُولُ } لهم يوم القيامة { ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [آل عمران : 181] أي عذاب النار كما أذقتم المسلمين الغصص.

قال الضحاك : يقول لهم ذلك خزنة جهنم ، وإنما أضيف إلى الله تعالى لأنه بأمره كما في قوله

سنكتب سيكتب وقتلهم ويقول : حمزة.
{ ذَالِكَ } إشارة إلى ما تقدم من عقابهم { بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ } [آل عمران : 182] أي ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي ، والإضافة إلى اليد لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدي فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب ، ولأنه يقال للآمر بالشيء فاعله فذكر الأيدي للتحقيق يعني أنه فعل نفسه لا غيره بأمره { وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } [آل عمران : 182] وبأن الله لا يظلم عباده فلا يعاقبهم بغير جرم
295
{ الَّذِينَ قَالُوا } [المائدة : 41] في موضع جر على البدل من الذين قالوا أو نصب بإضمار أعني أو رفع بإضمارهم { إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ } [آل عمران : 183] أمرنا في التوراة وأوصانا { أَلا نُؤْمِنَ } [آل عمران : 183] بأن لا نؤمن { لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ } [آل عمران : 183] أي يقرب قرباناً فتنزل نار من السماء فتأكله فإن جئتنا به صدقناك ، وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لأن أكل النار القربان سبب الإيمان للرسول الآتي به لكونه معجزة فهو إذاً وسائر المعجزات سواء
جزء : 1 رقم الصفحة : 295

(194/1)

{ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ } [آل عمران : 183] بالمعجزات سوى القربان { وَبِالَّذِى قُلْتُمْ } [آل عمران : 183] أي بالقربان يعني قد جاء أسلافكم الذين أنتم على ملتهم ورضوان بفعلهم { فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ } [آل عمران : 183] أي إن كان امتناعكم عن الإيمان لأجل هذا فلم لم تؤمنوا بالذين أتوابه ولم قتلتموهم { إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة : 23] في قولكم إنما نؤخر الإيمان لهذا { فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ } [آل عمران : 184] فإن كذبك اليهود فلا يهولنك فقد فعلت الأمم بأنبيائها كذلك { جَآءُو بِالْبَيِّنَاتِ } [آل عمران : 184] بالمعجزات الظاهرات { وَالزُّبُرِ } الكتب جمع زبور من الزبر وهو الكتابة.
وبالزبر : شامي { وَالْكِتَابِ } جنسه { الْمُنِيرِ } المضيء.
قيل : هما واحد في الأصل وإنما ذكرا لاختلاف الوصفين ، فالزبور كتاب فيه حكم زاجرة ، والكتاب المنير هو الكتاب الهادي.
{ كُلُّ نَفْسٍ } [الأنعام : 164] مبتدأ والخبر { ذَآ ئِقَةُ الْمَوْتِ } [العنكبوت : 57] وجاز الابتداء بالنكرة لما فيه من العموم ، والمعنى لا يحزنك تكذيبهم إياك فمرجع الخلق إليّ فأجازيهم على التكذيب وأجازيك على الصبر وذلك قوله { وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران : 185] أي تعطون ثواب أعمالكم على الكمال يوم القيامة فإن الدنيا ليست بدار الجزاء { فَمَن زُحْزِحَ } [آل عمران :

185] بعد ، والزحزحة : الإبعاد { عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ } [آل عمران : 185] ظفر بالخير.

وقيل : فقد حصل له الفوز المطلق.

وقيل : الفوز نيل المحبوب والبعد

296

عن المكروه { وَمَا الْحَيَواةُ الدُّنْيَآ إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ } شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته ، والشيطان هو المدلس الغرور.

وعن سعيد بن جبير : إنما هذا لمن آثرها على الآخرة ، فأما من طلب الآخرة بها فإنها متاع بلاغ.

وعن الحسن : كخضرة النبات ولعب البنات لا حاصل لها

جزء : 1 رقم الصفحة : 295

{ لَتُبْلَوُنَّ } والله لتبلون أي لتختبرن { فِى أَمْوَالِكُمْ } [آل عمران : 186] بالإنفاق في سبيل الله وبما يقع فيها من الآفات { وَأَنفُسَكُمْ } بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليه من أنواع المخاوف والمصائب ، وهذه الآية دليل على أن النفس هي الجسم المعاين دون ما فيه من المعنى الباطن كما قال بعض أهل الكلام والفلاسفة ، كذا في شرح التأويلات { وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ } [آل عمران : 186] يعني اليهود والنصارى { وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا } [آل عمران : 186] كالطعن في الدين وصد من أراد الإيمان وتخطئة من آمن ونحو ذلك { وَأَن تَصْبِرُوا } [النساء : 25] على أذاهم { وَتَتَّقُوا } مخالفة أمر الله { فَإِنَّ ذَالِكَ } [آل عمران : 186] فإن الصبر والتقوى { مِنْ عَزْمِ الامُورِ } [آل عمران : 186] من معزومات الأمور أي مما يجب العزم عليه من الأمور ، خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيلقون من الشدائد والصبر عليها حتى إذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه.

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } [آل عمران : 187] واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب { لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ } [آل عمران : 187] عن الناس بالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله { وَقَضَيْنَآ إِلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ } [الإسراء : 4] (الإسراء : 4) وبالياء : مكي وأبو عمرو وأبو بكر ، لأنهم غيب والضمير للكتاب ، أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه { فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ } [آل عمران : 187] فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم أي لم يراعوه ولم يلتفتوا إليه ، والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ، وهو دليل على أنه يجب على العلماء أن يبينوا الحق للناس وما علموه وأن لا يكتموا منه شيئاً لغرض فاسد من

297

تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم ، أو لجر منفعة أو دفع أذية ، أو لبخل بالعلم ، وفي الحديث من كتم علماً عن أهله ألجمه الله بلجام من نار { وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا } [آل عمران : 187] عرضاً يسيراً { فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ } [آل عمران : 187].

جزء : 1 رقم الصفحة : 295

والخطاب في { لا تَحْسَبَنَّ } [النور : 57] لرسول الله وأحد المفعولين { الَّذِينَ يَفْرَحُونَ } [آل عمران : 188] والثاني بمفازة ، وقوله فلا تحسبنهم تأكيد تقديره : لا تحسبنهم فائزين { بِمَآ أَتَوا } [آل عمران : 188] بما فعلوا وهي قراءة أبيّ و " جاء " و " أتى " يستعملان بمعنى فعل { إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا } [مريم : 61] (مريم : 16).

{ لَقَدْ جِئْتِ شيئا فَرِيًّا } [مريم : 27] (مريم : 72).

وقرأ النخعي بما آتوا أي أعطوا { وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ } [آل عمران : 188] بمنجاة منه { وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة : 174] مؤلم.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه وأروه أنهم قد صدقوه واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا من تدليسهم ، فأطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن تحمدهم بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ، ناجين من العذاب.

وقيل : هم المنافقون يفرحون بما أتوا من إظهار الإيمان للمسلمين وتوصلهم بذلك إلى أغراضهم ، ويستحمدون إليهم بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة.

وفيه وعيد لمن يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس بما ليس فيه.

{ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } فهو يملك أمرهما ، وفيه تكذيب لمن قال " إن الله فقير " { وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [البقرة : 284] فهو يقدر على عقابهم.

298

{ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لايَاتٍ } لأدلة واضحة على صانع قديم عليم حكيم قادر { لاوْلِى الالْبَابِ } [آل عمران : 190] لمن خلص عقله عن الهوى خلوص اللب عن القشر ، فيرى أن العرض المحدث في الجواهر يدل على حدوث الجواهر ، لأن جوهراً ما لا ينفك عن عرض حادث وما لا يخلو عن الحادث فهو حادث ، ثم حدوثها يدل على محدثها وذا قديم وإلا لاحتاج إلى محدث آخر إلى ما لا يتناهى ، وحسن صنعه يدل على علمه ، وإتقانه يدل على حكمته ، وبقاؤه يدل على قدرته ، قال عليه السلام ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وحكي أنه كان في بني إسرائيل من إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة ، فعبدها فتى فلم تظله فقالت له أمه : لعل فرطة فرطت منك في مدتك.

قال : ما أذكر.

قالت : لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر.

قال : لعل.

قالت : فما أوتيت إلا من ذاك

جزء : 1 رقم الصفحة : 295

{ الَّذِينَ } في موضع جر نعت لـ " أولي " أو نصب بإضمار أعني أو رفع بإضمارهم { يَذْكُرُونَ اللَّهَ } [النساء : 142] يصلون { قِيَامًا } قائمين عند القدرة { وَقُعُودًا } قاعدين { وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } [آل عمران : 191] أي مضطجعين عند العجز وقياماً وقعوداً حالان من ضمير الفاعل في يذكرون . وعلى جنوبهم حال أيضاً ، أو المراد الذكر على كل حال لأن الإنسان لا يخلو من هذه الأحوال ، وفي الحديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله " { وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ } وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الأفهام عن إدراك بعض عجائبه من عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه ، وعن النبي عليه السلام بينا رجل مستلق على فراشه إذ رفع رأسه فنظر إلى النجوم وإلى السماء فقال : أشهد أن لك رباً وخالقاً ، اللهم اغفر لي ،

299

(196/1)

فنظر الله إليه فغفر له " وقال عليه السلام لا عبادة كالتفكر وقيل ؛ الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية ، وما جليت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكر.

{ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَاذَا بَاطِلا } [آل عمران : 191] أي يقولون ذلك وهو في محل الحال أي يتفكرون قائلين ، والمعنى ما خلقته خلقاً باطلاً بغير حكمة بل خلقته لحكمة عظيمة وهو أن تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ، وهذا إشارة إلى الخلق على أن المراد به المخلوق ، أو إلى السماوات والأرض لأنها في معنى المخلوق كأنه قيل : ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلاً { سُبْحَانَكَ } تنزيهاً لك عن الوصف بخلق الباطل وهو اعتراض { فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [آل عمران : 191] الفاء دخلت لمعنى الجزاء تقديره إذا نزهناك فقنا.

جزء : 1 رقم الصفحة : 295

{ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ } [آل عمران : 192] أهنته أو أهلكته أو فضحته ، واحتج أهل الوعيد بالآية مع قوله : { تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ } (التحريم : 8).

في أن من يدخل النار لا يكون مؤمناً ويخلد.

قلنا : قال جابر : إخزاء المؤمن تأديبه وإن فوق ذلك لخزياً { وَمَا لِلظَّالِمِينَ } [البقرة : 270] اللام إشارة إلى من يدخل النار والمراد الكفار { مِنْ أَنصَارٍ } [

جزء : 1 رقم الصفحة : 300
البقرة : 270] من أعوان وشفعاء يشفعون لهم كما للمؤمنين { رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا } [آل عمران : 193] تقول : سمعت رجلاً يقول كذا ، فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لأنك وصفته بما يسمع فأغناك عن ذكره ، ولولا الوصف لم يكن منه بد وأن يقال سمعت كلام فلان.
والمنادي هو الرسول عليه السلام أو القرآن { يُنَادِى لِلايمَانِ } [آل عمران : 193] لأجل الإيمان بالله ، وفيه تفخيم لشأن المنادي إذ لا منادي أعظم من منادٍ ينادي للإيمان { أَنْ ءَامِنُوا } [التوبة : 86] بأن آمنوا أو أي آمنوا { بِرَبِّكُمْ فَاَامَنَّا } [آل عمران : 193] قال الشيخ أبو منصور رحمه الله : فيه دليل بطلان الاستثناء في الإيمان { رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا } [آل عمران : 193] كبائرنا { وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا } [آل عمران : 193] صغائرنا
300
{ وَتَوَفَّنَا مَعَ الابْرَارِ } [آل عمران : 193] مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم ، والأبرار والمتمسكون بالسنة جمع " بر " أو " بار " كـ " رب " وأرباب وصاحب وأصحاب { رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ } [آل عمران : 194] أي على تصديق رسلك ، أو ما وعدتنا منزلاً على رسلك ، أو على ألسنة رسلك ، و " على " متعلق بـ وعدتنا والموعود هو الثواب أو النصرة على الأعداء.
وإنما طلبوا إنجاز ما وعد الله والله لا يخلف الميعاد لأن معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب إنجاز الميعاد ، أو المراد اجعلنا ممن لهم الوعد إذ الوعد غير مبين لمن هو ، أو المراد ثبتنا على ما يوصلنا إلى عدتك يؤيده قوله { وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ } [آل عمران : 194] أو هو إظهار للخضوع والضراعة { إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ } [آل عمران : 194] هو مصدر بمعنى الوعد.
{ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ } [آل عمران : 195] أي أجاب يقال استجاب له واستجابه { إِنّى } بأني { لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنكُم } [آل عمران : 195] منكم صفة لـ عامل { مّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى } [
جزء : 1 رقم الصفحة : 300